الجمـــهورية الـــجزائرية الديمقـــــراطية الشعـــــبية
وزارة التعلـــيم العالي والبـــحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
قسنطينة

كلية الآداب والحضارة الإسلامية
قسم التاريخ

رقم التسجيل:.....

الرقم التسلسلي:.....

التفاعل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن (11هـ-17م)

مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

تخصص: العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الجزائر العثمانية ودول المغرب الكبير

إعداد الطالب:
البشير عمارة

إشراف الدكتورة:
جميلة معاشي

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلميّة	الجامعة الأصليّة	الصّفة
أ.د.أحمد صاري	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر-قسنطينة	رئيسا
د. جميلة معاشي	أستاذ محاضر	جامعة قسنطينة 2	مشرفا
أ.د.عبد المجيد قدور	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر-قسنطينة	عضوا
د.ثنيو نور الدين	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر-قسنطينة	عضوا

السنة الجامعية: 2013- 2014

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

[الحجرات:13].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله نبينا محمداً عبده ورسوله القائل "لا يشكُر الله من لا يشكُر الناس".

من منطلق هذا التوجيه النبوي الشريف، أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ممثلة في كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، الذي احتضننا علمياً وشملنا برعايته خلال مرحلة السنة الأولى ماجستير وإعداد هذه الرسالة، وقدم لنا كافة المساعدات المعنوية، التي سهلت لنا مهمة إجراءات الحصول على المعلومات في كافة جوانب الدراسة، فلهم مني جزيل الشكر والعرفان.

ثم أخص بالذكر والثناء والدعاء والامتنان لسعادة الدكتورة الفاضلة جميلة معاشي: المشرفة على الرسالة، حيث كانت نعم المشرفة التي كان حرصها يفوق حرصي؛ وقد كانت نعم الموجه الدائم الذي يحرص على كل التفاصيل مهما بلغت دقتها، ونعم الأستاذة الأكاديمية التي تحرص على جودة ودقة البحث العلمي وفق مناهجه وأصوله، والذي كان لها الفضل بعد الله في إنجاز وإتمام هذا المشروع العلمي، الذي أرجو أن يعم نفعه الجميع، فلها مني جزيل الشكر والتقدير، ومن الله تعالى الأجر والمثوبة إن شاء الله.

ثم الشكر مكرراً لجميع أعضاء هيئة التدريس في قسم التاريخ وأخص بالشكر سعادة عميد الكلية الدكتور: إسماعيل سامعي، والدكتور رئيس المشروع: عبد المجيد قدور، والدكتور: احميدة عميراوي والدكتور: علاوة عمارة والدكتور: أحمد صاري، والدكتور: خليفة حماش، كما أشكر لجنة المناقشة على ما بذلته في قراءة وتقويم هذه المذكرة، كما أخص بالشكر والتقدير الأساتذة: وداد بيلامي، سمية قايم، محمد عمارة، فارس قاجة، وكل من ساعدني في الحصول على معلومة، فلهم مني جزيل الشكر والعرفان.

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن دراسة التاريخ الثقافي بمختلف مجالاته، يُبرز مدى تفاعل وتبادل الثقافات في ما بينها، ويرصُد أيضا ذلك الحراك الفكري في مجتمع بلاد المغارب، والمؤثرات الدافعة إلى ذلك، حيث تعتبر الدراسات التاريخية هي الوسيلة الأساسية التي تتحقق بها وظيفة الثقافة من خلال المحافظة على الإرث الثقافي المشترك لبلاد المغارب.

تُعد المواضيع الخاصة بدراسة العلاقات الثقافية بين الجزائر والمغرب الأقصى حجر الزاوية في التاريخ المغاربي خلال العهد العثماني، ذلك أن الإرث الثقافي والتاريخي للبلدين يبدو واحدا من حيث وحدة التاريخ وتداخله، والتماثل في الخصائص السكانية والتكوين القبلي، والتنظيمات الاجتماعية والملامح البشرية، ووحدة الانتماء الديني والمذهبي، وتشابه التقاليد والعادات، لكن العديد من الحواجز حالت دون توحيد هذا الفضاء المجالي سياسيا، بسبب الصراع العثماني_الشريفي، هذا ما تجلى في الصراع العسكري المجالي بين الجزائر والمغرب الأقصى، وهذا ما يدفع في غالب الأحيان بالدارسين[1] إلى تبني أحكام تاريخية حول العلاقات الثقافية بين البلدين، يكون لها أرضية تاريخية مرتبطة بذلك الصراع، أو لوجود أحكام جاهزة عن الحياة الثقافية، والتي من بينها أن البلاد الإسلامية عرفت جمودا فكريا بسبب سياسة العثمانيين، ولإجراء دراسة تاريخية تخلص إلى أحكام موضوعية، لابد من تقصي المصادر والوثائق الرئيسية للموضوع، خاصة إذا علمنا مدى غزارة المادة التاريخية المتوفرة في كتب التراجم والرحلات والمناقب والنوازل الفقهية عن هذا الموضوع، ومنه تزداد أهمية دراسته وذلك لرصد أبعاد التفاعل الثقافي تأثيرا وتأثرا.

من هنا يُطرح موضوع التفاعل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن11هـ/17م، كإشكالية بحث تتعدى تلك الحواجز السياسية وخصوصيات الجزائر –**العثمانية**–، والمغرب الأقصى–**الشريفي**– إلى ما يخص متانة شبكة علاقاتهما الثقافية، وأهمية النخب الدينية والعلمية في نسج هذه الشبكة، والدور الذي قامت به

(1) جاء في مقدمة كتاب "العثمانيون المؤسسات والاقتصاد والثقافة" للباحث المغربي"عبد الرحيم بنحادة" أن المؤرخين المغاربة لم يُقبلُوا على دراسة التاريخ العثماني و لم يعتنوا به، وبالتالي ضيعوا على أنفسهم فرصة فهم التطورات التي عرفها المغرب، كما يوصي بإجراء دراسات مقارنة بين التاريخ المغربي والعثماني وذلك لاعتبارات ثقافية، عبد الرحيم بنحادة، **العُثمانيون المؤسسات والاقتصاد والثقافة**، ط1، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 2008، ص:10.

الحواضر الثقافية بين البلدين خلال القرن الحادي عشر/السابع عشر الميلادي.

وقد اهتم المؤرخون عامة[1] في كتاباتهم حول تاريخ العلاقات بين البلدين في العصر الحديث بالعلاقات السياسية والاقتصادية لكل بلد مع أوربا حيث ركزوا على المعاهدات السياسية والاقتصادية، وعلى ظاهرة القرصنة في المتوسط والمحيط الأطلسي والجهاد ضد الاحتلال الأسباني والبرتغالي، كما نجد بعض الدراسات التاريخية قد تناولت مواضيع تؤرخ للثقافة في كل بلد على حدة[2]، أو تطرقت بالبحث في موضوع العلاقات الثقافية لكل بلد مع محيطه الإسلامي بصفة عامة[3]، هذا ما يطرح مشكلة نقص الدراسات التاريخية حول الموضوع، ولعل أبرز الدراسات الأكاديمية التي طرقت الموضوع رسالة الباحث"عمار بن خروف" والذي عالج العلاقات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن10هـ/16م، حيث ركزّ على القضايا الثقافية التي جمعت بين البلدين خلال القرن 10هـ/16م[4]، إضافة إلى دراسة الباحثة"ليلى غويني" والتي تناولت موضوع التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية، حيث ركزت على التواصل الفكري بين علماء الجزائر من جهة، وبينهم وبين علماء المغارب من جهة أخرى، بالإضافة إلى ماقدمه الباحث"محفوظ رموم" حول موضوع الثقافة والمثاقفة في المجتمع الحضري الجزائري خلال العهد العثماني، حيث ركز على التبادل الثقافي بين العلماء في مختلف العلوم في حواضر الجزائر.

ومنه يُطرح نقص الدراسات التاريخية التي تخص موضوع التفاعل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى، حيث كانت سببا في اختياري البحث في هذا الموضوع الموسوم بـــ"**التفاعل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن11هـ/17م**"للمساهمة في كتابة تاريخ العلاقات الثقافية وفق مقاربات علمية، وذلك بإخراج تاريخ العلاقات بين الجزائر والمغرب

---

(1) وولف جون، **الجزائر وأوربا**، تر، تع: أبو القاسم سعد الله، د.ط، م،و،ك،الجزائر،1986، أيضا: عبد المجيد القدوري، **المغرب وأوربا مابين القرنين15-18م**،ط2، المركز الثقافي المغربي، الدار البيضاء،2012.

(2) أبو القاسم سعدالله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ط6،(ج1+2)، دار البصائر، الجزائر، 2009م، أيضا: محمد حجي، **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، د.ط، مطبعة فضالة، المحمدية،1978.

(3) محمد الطمار، **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، ش،و، ن،ت، الجزائر1983م.

(4) عماربن خروف، **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن10هـ/16م**، د.ط، دار الأمل، الجزائر، 2008.

الأقصى من مجال البحث في التاريخ السياسي العدائي إلى حقيقة الاندماج السوسيوثقافي، ولو بصورة تقريبية وإبراز أبعاد التفاعل الثقافي من خلال التواصل الأفقي المتزامن بين البلدين في عهد تميز بالصراع السياسي.

وبعد طرح فكرة الموضوع على الأستاذة المشرفة، لقيت منها ترحيبا وتشجيعا على خوض غماره، بحيث كانت أكبر محفز لي على الانطلاق فيه.

وقد حصرت فترة الدراسة في القرن **الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي** لأنها فترة عرفت تزايدا لنشاط تدوين الرحلة المغربية نحو الحجاز وذكر مجالس العلم والتعريف بالعلماء، وأيضا كتابة الفهارس و الأثبات، وتبادل الفتاوى بين العلماء وتزايد المد الصوفي، وهو ما يشجع الاتجاه إلى استقراء التراث المخطوط وتسليط الضوء عليه، بالإضافة إلى الصراع الجلي والخفي الذي طبع العلاقات السياسية وما ميزها من مشاكل حول ترسيم الحدود بين البلدين، هذا ما جعل من القرن11هـ/17م جديرا بالبحث والدراسة في موضوع العلاقات الثقافية بين الجزائر والمغرب الأقصى.

وأطمح من خلال هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف المحورية يمكن حصرها في النقاط التالية:

1- إبراز السمات الثقافية المشتركة بين الجزائر والمغرب الأقصى، والتي مهدت للتفاعل الثقافي بينهما.

2- معرفة أبرز قنوات التفاعل الثقافي بين البلدين من خلال(الهجرة، الرحلة، الحج) التي استطاعت ربط الجزائر والمغرب الأقصى بواسطة شبكة علمية ودينية،وذلك من أجل توضيح صورة العلاقات الثقافية بينهما خلال القرن11هـ/17م.

3- تسليط الضوء على أدوات التفاعل الثقافي(الإجازات، الأسانيد، الرسائل الفتاوى، مجالس الدرس وتبادل الفتاوى)، والتي شكلت أحد أهم الروابط التي اخترقت المجالين ثقافيا.

ومن أهم النتائج المرجوة من هذا البحث هو الوصول إلى تثمين العلاقة الثقافية التي نشأت بين أهل الدين والعلم الجزائريين والمغاربة والتأكيد على حصول دينامية انفتاح حقيقية بين البلدين بالمعنى "السوسيو- ثقافي".

للخوض في الموضوع طرحت إشكالية **البحث في تاريخ العلاقات الثقافية بين الجزائر والمغرب الأقصى،أي في مختلف المكونات الثقافية التي توحد علميا البلدين في القرن 11هـ/17م**، وتتكون من مجموعة من التساؤلات، حاولت من خلال الإجابة عنها إلقاء الضوء على صور التفاعل الثقافي، ومن أبرزها:

- هل تأثر التفاعل الثقافي بالسمات الثقافية المشتركة التي ميزت كل من الجزائر والمغرب الأقصى؟
- ما هي أبرز القنوات التي اخترقت المجالين، وأدت إلى التفاعل الثقافي بين البلدين؟
- ما هي أدوات التفاعل الثقافي التي من خلالها تم التبادل بين البلدين ثقافيا؟
- إلى أي مدى نجح أهل العلم والدين من خلال طلب الإجازة والإسناد في محاولتهم إلى خلق شبكات تواصل عليا، لعب فيها الارتباط بأقطاب العلم والتصوف دورا موحدا"فوق وطني" كان كفيلا برفع الحواجز السياسية؟
- هل يمكن الحديث عن الفتوى الموحدة ذات المرجعية المالكية كأساس للتفاعل الثقافي، خاصة أنها لم تكن وفق تصور مجالي ضيق؟

أما فيما يخص المنهج المتبع في هذه الدراسة، فكان **المنهج التاريخي** وهو ضروري لإعطاء صورة عن السمات العامة للحياة السياسية، والاجتماعية، والثقافية في الجزائر والمغرب الأقصى للوصول إلى معرفة أهم الدوافع التي أثرت في قنوات التفاعل الثقافي بالإضافة إلى اعتماد **المنهج الإحصائي** وكان الغرض منه الخروج بعينة موحدة لأهل العلم والدين، منحتني تصورا واضحا لأبعاد التفاعل الثقافي في حواضر الجزائر والمغرب الأقصى، فقمت بإنجاز جداول اشتملت على إحصاء نماذج لحالات الهجرة الدائمة العكسية والرحلة العلمية العكسية، ومجالات تبادل الإجازات والأسانيد والفتاوى

وذلك لتوضيح مجالات التأثير والتأثر، ومعرفة المراكز العلمية المستقطبة لأهل العلم والدين، وبنفس المنهج تعرفت على الطبقة التي ينتمي إليها أهل العلم والدين "خطباء فقهاء، قضاة، متصوفة...الخ" وبتطبيق **المنهج التحليلي** عملت على القراءة التحليلية لجداول العينات والوقوف على معرفة مدى متانة شبكة العلاقات الثقافية، كما لم تخل الدراسة في بعض جوانبها من **منهج المقارنة** إذ وضعت في نهاية كل قراءة لعينات النماذج بين البلدين دراسة مقارنة، في محاولة مني معرفة مدى الفئة المؤثرة وتأثير الأوضاع السياسية والأمنية على أهل العلم والدين، ومن هي الحواضر الأكثر استقطابا للعلماء.

وتنطلق الدراسة أساسا من رصد أوجه التفاعل الثقافي بين البلدين، وبالتالي كل المكونات الدينية والعلمية، ولهذا تنوعت مصادر البحث من كتب التراجم والطبقات والمناقب والرحلات والنوازل الفقهية، والتاريخ، أهمها:

كتب التراجم:

- **الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر**، تأليف: عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان الفاسي(ت1131هـ/1718م)، وتكمن أهمية الكتاب في أنه يترجم لأعلام من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، أفادنا في تراجم الأعلام الجزائريين الذين وفدوا إلى فاس، كما أمدنا بمعلومات هامة حول الوظائف التي تقلدوها.
- **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**،تأليف عبد الكريم الفكون(ت1073هـ/1662م)، أفادنا الكتاب في معرفة المؤثرات السياسية والاجتماعية والسمات الثقافية التي عرفتها حاضرة قسنطينة، كما أفادنا أيضا في رصد الوافدين من المغاربة على المدينة وخاصة نشاط مجلس درس محمد التواتي.

كتب الرحلات:

- **رحلة "ماء الموائد "**، تأليف: أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي (ت1090هـ/1679م)، أفادتنا الرحلة في تتبع نشاط ركب الحاج المغربي داخل الجزائر ذهابا وإيابا، وأمدتنا بنشاط العلماء في كل من طرابلس الغرب ومصر ومكة.

- **رحلة المقري إلى المغرب والمشرق**، تأليف: أحمد المقري أبو العباس (ت1041هـ/1631م)، أفادتنا في رصد المراسلات والإجازات التي تمت بين مؤلفها والعلماء المغاربة، كما وضحت لنا الحياة الثقافية في المغرب ومصر.

كتب النوازل الفقهية:

- **مخطوط "الجواهر المختارة مما وقفت علية من النوازل بجبال غمارة"**، تأليف: عبد العزيز بن الحسن الزياتي، (ت1055هـ/1646م)، أفادنا في رصد بعض فتاوى العلماء الجزائريين في المغرب في القرن (10-11هـ/16-17م)
- **مخطوط"نوازل محمد بن عبد الكريم"**(ت1114هـ/1702م)" أفادنا في رصد فتاوى الفقيه محمد التواتي بقسنطينة، وبعض الفتاوى الواردة من فاس خلال القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي.

كتب الفهارس:

- **الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة**، تأليف: أبو زيد عبد الرحمان التمنارتي(ت1060هـ/1650م)، أفادنا الكتاب في رصد شبكة الأسانيد المشتركة بين العلماء الجزائريين والمغاربة، أيضا أفادنا في معرفة أسانيد شيوخ تلمسان وأهميتها لدى المغاربة.
- **إتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء**، تأليف: أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي(ت1090هـ/1679م)، أفادتنا فهرسة العياشي في رصد الشبكة العلمية والصوفية التي ربطت علماء الجزائر بالمغاربة.

الكتب الإخبارية:

- **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تأليف: محمد الصغير الإفراني(ت1151هـ/1738م)، وقد أفادني في معرفة المؤثرات الاجتماعية كالأوبئة والمجاعات، ومراسلات سلاطين المغرب لحكام الجزائر.
- **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تأليف: أحمد بن خالد الناصري(ت1310هـ/1893م)، أفادني في دراسة الوضع السياسي للمغرب

الأقصى والجزائر، واستفدنا منه في دراسة الأزمات الحدودية بينهما.

الدراسات التاريخية:

- **تاريخ الجزائر الثقافي"ج1و2"**، تأليف: أبو القاسم سعد الله، أفادني كثيرا وخاصة في مواضيع الهجرة والرحلة التي تخص أعلام الجزائر في العهد العثماني، حيث اعتمدته ككشاف في تبيان الكثير من الصعوبات التي واجهتني.
- **التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية**، تأليف: ليلى غويني، وقد أفادتني في نشاط الرحالة الجزائريين في المغرب الأقصى من خلال تبادل الإجازات والمراسلات، حيث كانت الدراسة الأقرب إلى موضوع بحثي.

في بداية البحث في غمار هذا الموضوع لم أستقر على خطة قارة، وذلك لما اتسمت به مصادر التراجم والرحلات والفهارس من تداخل في المعلومات والتشابه الكبير في الأسماء وسكوتها في بعض الأحيان عن وفيات الأعلام، وبصعوبة كبيرة توصلت إلى خطة بدت لي أنها تخدم الموضوع من خلال توضيح صور وأبعاد التفاعل الثقافي بين البلدين.

وحتى لا أضيع بين المعطيات المتداخلة في المصادر المعتمدة، اتخذت عينات من العناصر العلمية والدينية التي تحمل لقبا أو كنية جغرافية من الجزائر، على أنها من الجزائر أصلا والعكس بالنسبة للمغاربة، بالإضافة فقد واجهتني ظاهرة خضرمة العلماء والتي تعني العلماء الذين عايشوا فترة نهاية وبداية قرنين، وأمام هذا الإشكال فإنه تحتم عليَ أن أنظر إلى الأثر الثقافي مجردا من توقيعه الزمني، وعلى هذا الأساس جعلت البحث يدور حول عنصرين هما: العنصر الجزائري والعنصر المغربي.

وقد قسمت البحث إلى **مدخل** وثلاثة فصول فبعد المدخل الذي عرفت فيه بمفردات البحث"التفاعل"، "الثقافة"، "الثقافة الإسلامية"، "المنطقة الثقافية" في اللغة والاصطلاح، الأمر الذي سهل عليّ التحكم في صياغة الإشكالية وحصر عينات البحث المدروسة، ثم بينت السمات الثقافية بين البلدين من حيث النشاط الثقافي، وذلك

بتوظيف نصوص من المصادر المعاصرة لفترة البحث، ثم بينت ذلك بإنجاز جدول(1) خاص بالنشاط الثقافي من خلال نصوص لإجازات علمية، ثم بينت السمة البارزة التي طبعت الثقافة بين البلدين في القرن11هـ/17م.

تطرقت في **الفصل الأول** إلى دراسة مؤثرات التفاعل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى، فتعرضت بالبحث **أولا** إلى الفتن والاضطرابات الحاصلة في البلدين من خلال عرض نصوص من مصادر معاصرة لفترة البحث، **وثانيا** إلى دراسة الأوبئة و انتشار اللصوصية التي ضربت المنطقة في القرن11هـ/17م، وذلك من خلال إحصاء أبرز الأوبئة التي ضربت البلدين في الجدول(2)، **وثالثا** درست ظاهرة شيوع المناكر والمعاصي في البلدين، هذه العناصر التي كانت من أبرز المؤثرات الدافعة إلى التفاعل الثقافي بين البلدين.

أما **الفصل الثاني** فخصصته لدراسة قنوات التفاعل الثقافي بين البلدين، فتعرضت **أولا** بدراسة الهجرة ومفهومها اللغوي والاصطلاحي ومشروعيتها في القرآن والسنة النبوية، ثم درست نماذج لحالات هجرة واستقرار أهل العلم والدين الجزائريين في المغرب الأقصى بواسطة حصر نماذج لمجموعة من العينات في جدول(3) و استقرائه، ثم نماذج لحالات هجرة واستقرار أهل العلم والدين المغاربة في الجزائر و قراءة تحليلية للجدول(4)، وإجراء المقارنة بين الجدولين، ثم أنجزت خريطة توضح شبكة الهجرة المعاكسة لأعلام البلدين خلال القرن11هـ/17م، **وثانيا** بينت مفهوم الرحلة بين اللغة والاصطلاح ومشروعيتها في القرآن والسنة، و درست نماذج لحالات رحلة أهل العلم والدين الجزائريين إلى المغرب الأقصى و قراءة تحليلية للجدول(5)، ثم دراسة نماذج لحالات رحلة لأهل العلم والدين المغاربة إلى الجزائر مع قراءة تحليلية للجدول(6) ثم إجراء مقارنة بين الجدولين، مع توضيح شبكة الرحلة المعاكسة لأعلام البلدين خلال القرن11هـ/17م من خلال انجاز خريطة جغرافية تثبت ذلك، **وثالثا** درست مفهوم الحج لغة واصطلاحا ومشروعيته في القرآن والسنة النبوية، ثم تعرضت بالدراسة لمحطات الركب الحجازي المغربي في الجزائر من خلال ثلاث نماذج رحلية، وذلك بتحديد محطات انطلاقها ومسارها ذهابا وإيابا داخل الجزائر في الجدول(7)، وتناولت الأثر الثقافي

للركب المغربي من خلال نماذج نصوص رحلية، مع انجاز خريطة جغرافية تبيّن محطات ركب الحاج المغربي بالجزائر خلال القرن11هـ/17م.

أما **الفصل الثالث** فتناولت فيه أدوات التفاعل الثقافي بين البلدين، **أولا** أبرزت مفهوم الإجازة والإسناد لغة واصطلاحا، ثم بينت أهميتهما من خلال توظيف نصوص اعتمادا على كتب الفهارس والأثبات، ودرست نماذج لإجازات العلماء الجزائريين لعلماء مغاربة، ثم درست نماذج عكسية أي إجازات وأسانيد المغاربة لعلماء الجزائر **وثانيا** بينت مفهوم كل من الرسالة والفتوى لغة واصطلاحا ثم بينت نماذج للمراسلات المتبادلة بين أعلام البلدين في الجدول(8) واستقرائه من خلال تبيان غرضها، ثم تطرقت إلى دراسة نماذج فتاوى فقهية تُبودلت بين أعلام البلدين من خلال مصدريين في فقه النوازل خلال القرن11هـ/17م، الأول مغربي والثاني جزائري، **وثالثا** بينت مجالس الدرس بين البلدين من خلال التعريف بأشهر حلقات الدرس في الحواضر العلمية والتي شهدت تفاعلا بين الأعلام،ثم درست نماذج لأهم المؤلفات التي تُبودلت أو أُعيرت بين أعلام البلدين داخل المجال الجغرافي المدروس وخارجه في مختلف حواضر المشرق الإسلامي.

وقد ذيلت البحث بمجموعة من الملاحق وهي عبارة عن وثائق تاريخية تخص نصوص (فتاوى) وأشكال تخص(تسلسل الأسانيد)، تُعنى بالبحث مباشرة حرصا مني على ربط موضوع المتن بوثائقه الأصلية.

وختمت الموضوع **بخاتمة** وصلت من خلالها إلى نتائج محددة تبرز مجالات التأثير والتأثر بين العلماء الجزائريين والمغاربة، ومدى نجاح النخب العلمية في تذويب الخلافات السياسية ودرء النزاعات بين الجزائر والمغرب الأقصى.

أما المشاكل والصعوبات التي اعترضت سبيلي في هذا البحث، فهي تعترض أي باحث ومنها:

- صعوبة البحث في مواضيع الثقافة لأنها متعددة المجالات وتحتاج لأكثر من تخصص(فقه وأصوله، تصوف، أدب، عقيدة...الخ)، ومنه صعوبة التعامل مع المصطلحات والنصوص وهذا ما أربكني في الكثير من الأحيان.

- التشابه الكبير في أسماء الأعلام مع سكوت المصادر في بعض الأحيان عن وضع تاريخ للوفيات يصَعب من دراسة العينة.
- صعوبة التعامل مع المخطوطات التي اعتمدتها، وهذا يرجع إلى عدم تخصصي في قراءة أنواع الخطوط.

وقد حاولت في هذه الدراسة الإلمام قدر الإمكان بأهم جوانب الموضوع، ولا أدعي أن حصر وإحصاء العينات في الدراسة هو إحصاء شمولي وأن نتائجه آلية قطعية فقد يكون ميزان الفرز غير دقيق، ولكنني استقصيت وأحصيت في إطار النسبية للتوصل إلى نتائج قد تجاوز حدود التقريب.

وفي الأخير أحمد الله تعالى على توفيقه بإتمام هذا العمل، كما أشكر الأستاذة المشرفة على قبولها الإشراف على المذكرة أولا، وعلى تقويمها وإرشادها ونصائحها ثانية.

والله الموفق والمستعان

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مدخل

واقع الثقافة في الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن11هـ/17م

1/ ضبط المفاهيم.

2/ النشاط الثقافي في الجزائر والمغرب الأقصى .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن موضوع التفاعل الثقافي والعلاقات التواصلية مبثوث ومتناثر على مساحة شاسعة من المعرفة الإنسانية، مما يصْعُب لملمته في كيان معرفي واحد، وهو ما فرض عليّ في إطار بحثي رصد تجلياته كمفاهيم اصطلاحية.

1/ضبط المفاهيـــم:

1-1/ التفاعل:

لغة: يعود أصل الكلمة من فعل الشيء فِعلا وفِعالا: عمله، ويقال تفاعلا: أي أثر كل منهما في الآخر[1]، كما جاء في معجم الرائد اللغوي: تَفَاعلَ، تفاعُلا، «**ف.ع.ل**» الشخصان أو الشيئان أي أثر كل منهما في الآخر، والتفاعل «**ف.ع.ل**» مصدر تفاعل[2].

أمااصطلاحا فقد جاء في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية أن: «**التفاعل ظاهرة اجتماعية يحدث فيها تأثير بين فرد أو جماعتين أو هيأتين فأكثر، ويتم هذا التفاعل عن طريق الاتصال المادي المباشر وغير المباشر**»[3].

ويُفيد هذا التعريف في أن عملية الاتصال هي الخطوة الأولى في بناء عملية التفاعل، كما أن هذا الاتصال قد يكون ثنائي القطب أو يحدث بين جماعتين، وقد يكون الاتصال مباشرا كما هو الشأن في اتصال العلماء بطلابهم في حلقات الدرس ومجالس العلم، أو غير مباشر كما هو الشأن في الاتصال الذي يحدث بالمراسلة كطلب الإجازة مثلا.

وقد يتسائل الباحث بعد حدوث عملية الاتصال، هل يكفي لحدوث عملية التفاعل؟ وللإجابة على هذا التساؤل لا بد من إضافة مفهوم آخر للتفاعل، ألا وهو "التبادل" ليصبح المفهوم مركبا "التفاعل المتبادل".

---

(1) إبراهيم أنيس وآخرون، **المعجم الوسيط**، ط2، مصر، دار المعارف، 1972، ج2،ص: 695.

(2) مسعود جبران، **الرائد**، ط3، بيروت، دار العلم للملايين ، 1992، ص ص:225-226.

(3) اليونسكو، **معجم العلوم الاجتماعية**، تص: إبراهيم مـــدكور، د،ط، القاهرة،الهيـــأة المصـــرية العامـــة للكتـــاب،1975 ص:167.

1-2/ التفاعل المتبادل:

يكْتسِب مفهوم التفاعل المتبادل في علوم الكيمياء والفيزياء والأحياء دلالة ذات معان عميقة، فهو مظهر من مظاهر الحيوية في الإنسان والكون، فإذا انتقل المفهوم إلى العلوم الإنسانية والاجتماعية يصبح التفاعل عملية تبادلية في حدّ ذاته، فالتفاعل يفيد التبادل[1].

وانطلاقا من تحديد مفهوم التفاعل المتبادل تتحدد الإجابة على التساؤل السابق، حيث أن حدوث الاتصال في عملية التفاعل وحده لا يكفي، بل لا بد من أن يؤدي الاتصال إلى تأثير معين، ولا يكفي أيضا أن يكون خطبا في اتجاه واحد، بل لا بد من أن يكون دائريا متبادلا، أي تنعكس آثاره على القطبين على حد سواء، ومنه يحصل ما يسمى بالتفاعل في مجال العلاقات الإنسانية.

1-3/ الثقـــافة:

لغة: ثقف الشيء ثقفا وثقافا وثقوفه:حذقه، ورجل ثقف: حاذق فهم، وثقف الشيء: هو سرعة التعلم، وثقف الرجل ثقافة: أي صارحاذقا خفيفا ومنه المثاقفة[2].

ترجع كلمة ثقافة في قواميس اللغة العربية إلى مادة: «**ث ق ف**»، ثقف فلان ثقافة أي صار حاذقا فطنا، وثقف الشيء أي أقام المعوَج منه وسوّاه، ويقال: فلان تثقف والثقافة هي العلوم والمعارف والفنون التي يطلب العلم بها، والحذق فيها[3].

أما اصطلاحا فقد تناولها علماء التربية والاجتماع من زوايا مختلفة، فبعضهم نظر إليها على أنها الجانب المعنوي في مجتمع من المجتمعات، كالمعارف والعادات واللغة...الخ، ورأى آخرون بأنها تمثل الجانب المادي لذلك المجتمع الذي يتشكل من وسائل الإنتاج والأدوات المصنعة وأساليب العمارة...الخ[4]،ومن الأفيد إيراد بعض تعاريف الثقافة التي ذكرها بعض المهتمين بهذا المفهوم:

---

(1) عبد العزيز التويجري، **التفاعل المتبادل والتواصل بين الحضارة الإسلامية والحضارة الأخرى**، بحث مقدم في مؤتمر: التسامح في الحضارة الإسلامية، القاهرة، 28 أفريل- 01 ماي، 2004، ص:83.

(2) جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب**، ط4، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر،2005، ج3، ص:28.

(3) مجمع اللغة العربية، **المعجم الوجيز**، تصدير: إبراهيم مذكور،د،ط، مصر، وزارة التربية والتعليم، 1994، ص:85.

(4) خليف يوسف الطراونة، **أساسيات في التربية**، ط1، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2004، ص:128.

– تعريف تايلر "Tyler": «الثقافة هي ذلك المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعادات وسائر الممكنات التي يحصل عليها الفرد بوصفه عضوا في المجتمع»[1].

– تعريف كلباتريك "Kelpatric": «الثقافة هي كل ما صنعته يد الإنسان وعقله من مظاهر في البيئة الاجتماعية، أي كل ما اخترعه الإنسان واكتشفه وكان له دور في العملية الاجتماعيـــة»[2]

ومن الأفيد أن نُبرز رأي الباحث "خليف يوسف الطراونة" حول هذه المفاهيم بحيـــث يـــرجح تعريف "كلباتريك" أنه هو الأكثر قربا من مفهوم الثقافة الشامل فهي مزيج من الجانبين المعنوي والمادي[3]، وبعد تحديد مفهوم الثقافة في إطارها العام، يمكن إبراز مفهوم الثقافة الإسلامية، وذلك من منطلق أنها تمثل موضوع البحث.

1–4/ الثقـــافة الإسلامية:

هي كل المعارف والأفكار والنظريات التي تنبع من الإسلام بصفته دينا يتوفر على عقيدة وعبادات وتشريعات، وما يتصل به باعتباره إطارا لمذهبيه فكرية وحضارية إنسانية، وهناك مجالا آخر يتعلق بمفهوم الثقافة الإسلامية وهو"الخصوصية البيئية المحلية"[4]، فعندما ندرس مثلا الثقافة المغاربية —موضوع بحثنا–فإنها تعني في جزء منها القاسم المشترك مع الثقافة الإسلامية، كإطار ومرجع ومبادئ وقيم، وتعني في جزء آخر ما يختص به المغرب الإسلامي العربي في أسلوب تطبيقه لهذه الثقافة ونوعية إسهامه فيها، كما أن التشابه بين ثقافة الأشخاص أو التشابه الثقافي بين البلدان يزيد من درجة التأثر والتأثير فكلما ازداد الشبه ازداد التفاعل بينهما[5]، ومنه يكون التأثير والتأثر هو المحصلة النهائية للاتصال .

---

(1) دينيس كوش، **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**، تر: منير السعيداني، ط1، بيروت، المنظمة العربية للترجمة،2007 ص:31.

(2)خليف يوسف الطراونة، المرجع السابق، ص:128.

(3) المرجع نفسه، ص:128.

(4) محمد بلبشير الحسني، **أي وجهة للثقافة الإسلامية**، بحث مقدم في ندوة: الثقافة الإسلامية والثقافية الغربية الأخذ والعطاء أكاديمية، المملكة المغربية، مكناس، 4–5 ديسمبر 1991، ص:125–126.

(5) إبراهيم أبو عرقوب، **الاتصال الإنساني ودورة في التفاعل الاجتماعي**، ط4، الأردن، دار مجدلاوي للنشر، الأردن1993 ص:165.

1-5/المنطقة الثقافية:

وهي منطقة جغرافية تضم عددا من الشعوب والقبائل، تختص كل منها بأن لها نظرة اجتماعية واقتصادية وثقافية متقاربة إلى حد كبير، بالرغم من الاختلافات الجزئية في بعض التفاصيل[1]، وهو ما ينطبق على الجزائر والمغرب الأقصى إلى حد كبير.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) أحمد زكي بدوي، **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، ط2، بيروت، مكتبة لبنان،1982، ص:92.

2/ النشاط الثقافي[1] في الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن11هـ/17م:

اتسم النشاط الثقافي في الجزائر بارتباطه بالوقف والأعيان والعلماء، فقد كان من أهدافهم هو العناية بالعلم والطلبة، فالوقف هو المورد الأول للمساجد والمدارس والزوايا[2]،كما تعددت المؤسسات الثقافية التي عمت المدن والقرى فانتشر العلم وكثر طلابه في مختلف جهات الوطن.

ففي الجزائر نشطت مجالس العلم بالجامع الأعظم، بفضل كل من "سعيد قدورة"، و"علي بن عبد الواحد الأنصاري"[3]، وفي قسنطينة خلال القرن 11هـ/17م، نجد أنها كانت منارة لاستقطاب العلماء والطلاب، فقد كانت بها حلقات للعلم والدرس[4]، ومن خلال الشبكة العلمية التي تأسست بقسنطينة وتولت مهمة التدريس والإفتاء يتضح أن العلماء وردوا عليها من كل جهات الوطن بل وحتى من الخارج، فنجدهم وردوا من بلاد زواوة ببلاد القبائل وميلة وعنابة والجزائر، وقلعة بني راشد بالغرب بالإضافة إلى علماء جاؤوا من تونس والمغرب الأقصى[5].

وتحفل رحلة "العياشي" بإشارات دالة على حركة النشاط الثقافي وعلمائه في الجنوب وللدلالة نورد قوله: «**وقد أخبرني بنفسه[محمد بن إسماعيل] رحمه الله قبل موته بسنة [1603هـ/ 1653م] لما لقيته بفجيج أن كتبه تبلغ قريبا من ألف وخمسمائة تأليف**»[6]، كما أن تنقل العالم التونسي "أحمد بن مصطفى بزنار" بين عنابة وقسنطينة والجزائر وزواوة، للقراءة على علمائها

---

(1) عالج الباحث" محفوظ رموم" في الفصل الرابع من مذكرة الماجستير الثقافة العلمية ودورها الاجتماعي والثقافي في الجزائر خلال العهد العثماني بالتفصيل،حيث درس العلوم الشرعية و علوم اللغة والأدب والاداب والفنون، محفوظ رموم، **الثقافة والمثاقفة في المجتمع الحضري الجزائري خلال العهد العثماني1519-1830 دراسة تاريخية أنثروبولوجية**، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة الامير عبد القادر بقسنطينة، 2012، ص ص:132-161.

(2) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ط6، الجزائر، دار البصائر،2009،ج1، ص ص: 230،231.

(3) المرجع نفسه، ص ص:372، 373.

(4) كمال فيلالي، **الهجرة العلمية والطلابية إلى قسنطينة في عهد عبد الكريم الفقون علامة العصر1580-1662 م**، الملتقى العلمي الأول حول سوسيولوجية الهجرة الجزائرية في التاريخ الماضي والحاضر، قسنطينة ماي2008، ص: 17.

(5) أبو القاسم سعدالله، **شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية**، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي،1986،ص:35.

(6) أبو سالم العياشي، **الرحلة العياشية"ماء الموائد"**، تح، تق: سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، ط1،ج1، أبو ظبي، دار السويدي للنشر والتوزيع، 2006،ج1 ص:108.

لدليل على وجود حركة للنشاط الثقافي[1].

ويُستفاد من الإجازات التي تحصل عليها الرحالة "بن زاكور" من طرف مشايخه في الجزائر ومعرفة النشاط الثقافي ومجالاته وكتبه التي كانت تدرَس خلال القرن11هـ/17م وقد اعتمدت في انجاز الجدول على ما ورد في نصوص الإجازات[2] التي مُنحت لـ"بن زاكور" في الجزائر، وهذا ما يوضحه الجدول التالي:

الجدول رقم01: النشاط الثقافي في الجزائر من خلال إجازات ابن زاكور.

المجالات الثقافية	الكتب المقروءة في كل مجال
الأصول والبيان	جمع الجوامع للسبكي وشروحه[المحلي وولي الدين العراقي والكوراني] وحواشيه ومختصر ابن الحاجب وشروحه وتلخيص المفتاح للسكاكي، ومختصر التلخيص لسعد الدين التفتازاني.
علم العروض	الخزجية لأبي محمد الخزرجي.
المنطق والعقيدة	الجمل للخونجي، ومختصر الشيخ السنوسي/ ونظم سيدي عبد الرحمن الأخضري وعقائد الشيخ السنوسي، شرح أبي عبد الله بن خليفة للسلم المرونق.
الحديث وعلم المصطلح	صحيح البخاري والجامع الصغير للسيوطي وألفية العراقي.
السيرة	الشفا للقاضي عياض والبردة للإمام البوصيري.
الفقه والأحكام	مختصر خليل، ونظم ابن عاصم.
التصوف	الحكم والتنوير لابن عطاء الله السكندري.
الفرائض	نظم [أرجوزة] أبي إسحاق التلمساني.

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص ص: 324،325.

(2) محمد بن قاسم أبو عبد الله بن زاكور الفاسي، **نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان**، تح: مصطفى ضيف ومصطفى بوكراع، ط،خ، الجزائر، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، 2011، ص ص: 42، 73.

من خلال الكتب التي درسها "ابن زاكور" وأُجيز فيها نستنتج أن الثقافة يغلب عليها الطابع الديني- الفقهي والصوفي- الذي هو سمة العصر، كما أن مجالاتها متعددة، كما يبرز حضور المؤلفات المشرقية، مع المؤلفات الخاصة بالجزائريين وخاصة في مجال العقيدة "الأخضري" و"السنوسي".

أما بالنسبة للمغرب الأقصى فقد فرضت حالة الفوضى والاضطرابات بعد وفاة "أحمد المنصور الذهبي" تعدد المراكز الثقافية، كما انتقلت من مدن فاس ومراكش إلى البوادي، بحيث شدّت الرحال إليها وخصوصا إلى "الزاوية الناصرية" بتمكروت و"الزواية الدلائية" في الأطلس المتوسط، والتي امتازت بطرق التدريس التي تعتمد المتون الكبرى أساسا لها، وهذا ما افتقرت إليه مدارس فاس التي اعتمدت على حفظ الملخصات والشروح كمنهج تعليمي[1].

أنشأ السلاطين كثيرا من الكراسي العلمية بمختلف المساجد التي كان يتم بها التعليم كالقرويين ومدرسة الشراطين بفاس والجامع الكبير بتارودانت، وخصصوا لها أوقافا لتغطية مصاريف المدارس وأجور المدرسين وأغنوا مكتباتها بالمصنفات في مختلف العلوم، كما أسسوا مكتبات جديدة، وبرزت إلى جانب الحواضر الكبرى مراكز أخرى ساهمت في نشر العلم والمعرفة في أنحاء البلاد أهمها: الزاوية الدلائية التي تعتبر من المراكز الفعالة، كما تميزت مدارس الشمال من بلاد الهبط، وغمارة، وتطوان بنشاطها الثقافي، بحيث أمدت البلاد بأعلام أجلاء[2].

ومما يُلفت الانتباه إقبال بعض السلاطين على المشاركة الفعلية في المجال الثقافي وبلوغهم في ذلك مرتبة علية مكنتهم من التأليف، فقد عُرف "أحمد المنصور" بثقافته الواسعة وإلمامه بعلوم عصره، واستجارته لفقهاء عصره[3]، وممن ورث عنه اهتمامه العلمي من أبنائه "زيدان" الذي تميز بسعة الاطلاع، وقد ذكرت المصادر أن ثلاثة آلاف من الكتب في علوم الدين والأدب والفلسفة

---

(1) الحسن بن مسعود أبو على اليوسي، **رسائل اليوسي**، در، تح، فاطمة خليل القبلي، ط1، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1981، ج1، ص: 37 .

(2) محمد حجي، **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، د،ط،ج2، المحمدية(المغرب الأقصى)، مطبعة فضالة،1978 ص ص:345،405،499.

(3) أحمد بن خالد أبو العباس الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**،تح،تع:جعفر ومحمد الناصري، د،ط،الدار البيضاء، دار الكتاب،1955،ج5، ص:115، ينظر أيضا: إبراهيم حركات ، **المغرب عبر التاريخ**، ط1، ج2، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، 1978، ص ص: 451، 452.

كانت ضمن المحتويات النفيسة بمركب له استولى عليه قراصنة الأسبان[1]، ولعل شهادة الفقيه "اليوسي" على عناية الملوك بالعلم ورجالاته أبلغ دقة، فيقول: «**ثم اندثر بعد أولئك العلم بفاس وغيرها، حتى جاء السلطان أحمد المنصور فأحيا باعه وعمّر رباعه، وجمع الكتب وخالط العلماء وجالسهم وأعطاهم وأرضاهم**»، ثم يذكر خصال كل من المولى "محمد بن الشريف" والمولى "رشيد بن الشريف" بقوله: «**ثم جاء المولى محمد بن الشريف أخو سيدنا[المولى إسماعيل] فأحيا العلم في بلاده[...]وكثرت المجالس، ثم جاء المولى رشيد بن الشريف فأعلى منارة وأوضح نهاره[العلم] وأكرم العلماء إكراما لم يُعهد، وأعطاهم ما لا يُعد**»[2]، كما تزايد نشاط الفقهاء والمتصوفة، في خدمة المجال الثقافي، فقد انتشرت الزوايا واضطلعت بدور التعليم كإحدى المهام الرئيسية، فقد كان الطلبة بالزاوية الدلائية يُعدون بالآلاف[3]، وأقبلت هذه الزوايا على إنشاء المكتبات واقتناء الكتب ونسخها[4]، وقد عبّر الباحث "إبراهيم حركات" عن هذا النشاط بقوله:«**وقد أصبح التعليم في القرنين العاشر والحادي عشر [16-17م] أقرب ما يكون إلى الديمقراطية حيث عم عدة مدن صغرى ومراكز قروية في شتى جهات البلاد**»[5].

وقد أشارت الباحثة" ليلي غويني" أن المغرب الأقصى بعد وفاة المنصور عرف عهدا جديدا في إصلاح واقع التعليم والعلماء، وذلك من خلال تشييد المدارس، مثل مدرسة الشراطين بمدينة فاس في عهد "المولى الرشيد"، بالإضافة إلى ترميم القديمة منها، هذا ماساهم في إبقاء الإشعاع العلمي في البلاد بالرغم من فترة المتغيرات السياسية والاضطرابات التي عرفها المغرب الأقصى بعد وفاة السلطان"احمد المنصور الذهبي"[6].

---

(1) أحمد بن خالد ، المصدر السابق،ج6، ص: 70 .

(2) الحسن بن مسعود اليوسي، المصدر السابق، ج1، ص ص: 145، 147.

(3) محمد حجي، **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**، ط2، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1988 ص: 74.

(4) أبو سالم العياشي، **إتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء**، تق، تح، محمد الزاهي، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1999، ص: 20.

(5) إبراهيم حركات، المرجع السابق، ج2،ص: 454.

(6) ليلي غويني، **التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية**، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر2،2011، ص:128.

و يلمس الباحث أن النشاط الثقافي في البلدين حافظ على حركيته في هذه الفترة بفضل رجال الفقه والتصوف وبعض الحكام، وهذا بالرغم من الظروف التي عطلته كالاحتلال الأسباني والبرتغالي الذي شغل أمر النخبة بالجهاد وصرفهم عن نشاطهم التعليمي والتأليفي، والمحن التي تعرض لها الفقهاء وما نتج عنها من هجرة الكثير منهم.

2-1/ سيادة الطابع الديني:

يُلاحظ الدارس لحركة النشاط الثقافي في هذه الفترة غلبة الطابع الديني باتجاهيه الفقهي والصوفي[1]، والذي صبغ فكر المنطقةالجزائر والمغرب الأقصىمنذ اتصالها بالإسلام، إلا أن هذا الطابع برزت ملامحه بقوة في فترة الخطر المسيحي الذي داهم المنطقة، فقد شكل الغزو الأيبيري للمنطقة تهديدا للعقيدة والمقدسات الدينية، وعلى إثر هذا أحس الفقهاء ورجال التصوف بالحقد الصليبي الذي سوف ينجر على ذلك الغزو، فعملُوا على تعبئة العامة تعبئة دينية تحت راية الجهاد لتحرير المنطقة من أيدي الكفار.

اهتم العلماء بالعلوم الدينية بصفة خاصة، فأولوها أكبر قدر من التأليف، كما أن بعض الباحثين[2] تناولوا تصانيف العلماء في مجالات أدبية وعلمية، إلا أن ذلك لا يمكن قياسه بما يُخصص للمجال الديني، إذ نجد أن أغلب تآليف الفترة تتعلق بعلوم الفقه والحديث والتوحيد والتصوف[3]، ومن خلال الجدول الذي أنجزته الباحثة"ليلي غويني" الخاص بالمصنفات العلمية المتداولة في بلاد المغرب خلال العهد العثماني، يتأكد للباحثين سيادة الطابع الديني على الثقافة المغاربية[4].

---

(1) ينظر:الجدول رقم:(1) الخاص بالنشاط الثقافي بالجزائر من خلال إجازات "بن زاكور"،وأيضا ينظر: محمد العمري، **الثقافة والأدب في مغرب ما بين منتصفي القرنين 17،18م**، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 7 جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، 1983،1984، ص: 285.

(2) مثل أهم هذه الدراسات في الجزائر: أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء1و2، وفي المغرب الأقصى: محمد المنوني وكتابه المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث، الجزء1و2.

(3) يُبيَن الباحث "العمري محمد" بأنه لا توجد حدود فاصلة بين الاتجاه الفقهي والاتجاه الصوفي، لأن كثيرا من رجال الفقه كانوا رجال تصوف، المرجع السابق، ص: 290.

(4) ليلي غويني، المرجع السابق، ص:164.

اشتغل الفقهاء بفروع فقه المذهب المالكي[1]، كما شغفوا بالشروح والتعاليق وكتابة الحواشي حول مؤلفات معينة أهمها: "مختصر خليل"، و"الرسالة لأبي زيد القيرواني"، و"تحفة ابن عاصم"، و"أرجوزة ابن عاشر"، كما تناولوا في علوم الحديث "شرح كتب الصحاح"، وخصوصا صحيح كل من "البخاري ومسلم"، وفي علم التوحيد اختصوا بالعقائد "كشرح عقائد السنوسي"، وفي مجال التصوف نجدهم قد برعوا في مؤلفات تبحث في مفاهيم المتصوفة، فتحدثوا عن "الولاية" و"الذكر" و"السماع"، كما تناولوا بالشرح القصائد والأذكار الصوفية كـــ"دلائل الخيرات للجزولي"، و"صلاة الأنوار لابن مشيش العلمي"[2].

من خلال ضبط مفاهيم البحث يتضح جليا أن الثقافة المدروسة هي ثقافة البيئة المغاربية في إطارها العام الإسلامي، وأن مفهوم التفاعل بالنسبة للبحث يخص العينات التي تبادلت التآثر فيما بينها أي التبادل الدائري، كما أن المجال الجغرافي للجزائر والمغرب الأقصى يمثل منطقة ثقافية ذات خصائص مشتركة، هذا ما يساعد في دراسة التفاعل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى.

(1) بعد ارتباط الجزائر بالخلافة العثمانية تعزز المذهب المالكي بالمذهب الحنفي، الذي يمثل المذهب الرسمي للخلافة، وبقي السكان محتفظين بالمذهب المالكي، ينظر: ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، **الجزائر في التاريخ "العهد العثماني"** د،ط،الجزائر،دار الكتاب العربي،2009، ص: 126.

(2) قامت الباحثة "فتيحة بونفيخة" بفهرسة الإنتاج الفكري الجزائري المخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، حيث أفردت مبحثا خاصا بمخطوطات مؤلفي القرن 11هـــ/17م، وذلك بالتعريف بالمؤلفين ومصنفاتهم وأماكن حفظها، ويُستفاد من هذه الدراسة معرفة الاتجاه الفكري لعلماء الجزائر في هذه الفترة. فتيحة بونفيخة، **الإنتاج الفكري الجزائري المخطوط في المكتبة الوطنية الجزائرية**، مذكرة ماجستير، غير منشورة، معهد علم المكتبات والتوثيق، جامعة الجزائر،،1999، ج2،ص ص: 340،407، ينظر أيضا: في ما يخص المغرب الأقصى: محمد المنوني، **المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث**، د،ط، الرباط منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1983، ج1، ص ص: 140،180.

الفصل الأول:

مؤثرات التفاعل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن11هـ/17م

1/الفتن والاضطرابات.

2/ الأوبئة وانتشار اللصوصية.

3/ تدهور القيم وشيوع المناكر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

للبحث في موضوع التفاعل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى، لابد من التطرق إلى أبرز المؤثرات الدافعة إلى ذلك، والتي أثرت على حركية النخب الدينية والعلمية، وساعدت في انتقال الأفكار، التي زادت من فرص التبادل الثقافي بينهما.

1/ الفتن والاضطرابات:

1-1/الثورات في الجزائر:

اتسمت الحياة السياسية في الجزائر خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي[1] بكثرة الفتن والاضطرابات، إلى درجة تبدو معها فترات الهدوء والاستقرار قصيرة، فقد أشار الباحث "كمال فيلالي" حول سّمات القرن السابع عشر الميلادي بقوله:«**يعتبر القرن السابع عشر الميلادي عصر التقلبات التاريخية الكبرى، والأزمات السياسية والاقتصادية في كل المجال المتوسطي**»،ومنه فقد عرفت الجزائر خلال هذا القرن تعاقب الحكام بوتيرة سريعة، والحكم الثنائي في أعلى هرم السلطة وخاصة بعد تنامي دور آغا الانكشارية(1069-1081هـ/1659-1671م) وسيطرتهم على السلطة، حيث كانوا يمثلون القوة الضاربة في الجيش[2].

فعلى الصعيد الداخلي نجد أن التمردات التي قامت بها الانكشارية كثيرة ترجع دوافعها إلى سياسة الباشوات(995-1069هـ/1587-1659م)[3] المتمثلة في عدم دفع رواتب الجند فقد استولت على الحكم مباشرة، ليبدأ عهد جديد من الحكم عرف باسم "الآغوات"[4]، إلا أن أبرز سماته أنه كان أسوأ من حكم سابقيه، وأنه عرف عدة متناقضات منها تقلباته وثوراته على حكامه الذين اختيروا بطريقة ديمقراطية[5] كما استطاعوا أن يجردوا الباشا من كل وظائفه، عدا الدور الرسمي الشكلي«**لم يتم طرد الباشا من طرف الانكشارية وذلك لكونهم في حاجة إلى تجنيد أعضائهم**

---

(1) كمال فيلالي، المرجع السابق، ص:14.

(2) خليفة حماش، **العلاقات بين أيالة الجزائر والباب العالي1798-1830**، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة الإسكندرية، مصر،1988م، ص:93، و ينظر أيضا: جميلة معاشي، **الانكشارية والمجتمع بايالك قسنطينة نهاية العهد العثماني**، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة قسنطينة2،2008م، ص:37.

(3) احمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشا داى الجزائر** د،ط، الجزائر، م.و.ك، 1986، ص ص:32-39.

(4) المرجع نفسه، ص ص:40-42.

(5) جميلة معاشي، المرجع السابق، ص:41.

من أقاليم الإمبراطورية،كما أن الرسائل الموجهة إلى الحكام الأجانب خلال بقية القرن 17م حملت توقيع كل من الباشا و الآغا،ثم بعد سنة 1672م أصبحت تحمل توقيع داي الجزائر»[1]فعمت الفوضى والانقلابات المتكررة والاغتيالات بالإضافة إلى نزوعهم إلى الانفصال عن السلطة المركزية[2] نتج عن كل هذا عدم انتهاء هذه الأزمة، واغتيال كل الآغوات وفي ربيع الثاني1082هـ/ سبتمبر1671م، تمرد الجيش الانكشاري على "علي آغا"(1066-1081هـ/1665-1671م)وتم اغتياله، هذا ما أعقب فوضى عارمة نتج عنها عجز ديوان الانكشارية في الوصول إلى انتخاب آغا وإعادة الأمن للبلاد، ما دفع طائفة رياس البحر وأعضاء مجلس ديوان الجند البري التدخل وتعين أحدهم دايا على الجزائر وهو"الحاج محمد التركي"(1081-1092هـ/1671-1682م)، وبذلك وُضع حد لحكم الآغوات الدموي[3]، ومن خلال الإحصاء الذي قامت به الباحثة "جميلة معاشي" للثورات و الانقلابات التي قامت بها الانكشارية تبين مدى سيطرة هذه الفئة على الحكم في الجزائر وخاصة منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي[4].

ثم سرعان ما استرجعت الانكشارية نفوذها سنة 1689م/1100هـ، ولعل أبرز ما اتسم به حكم الدايات خلال الثلث الأخير من القرن السابع عشر ميلادي، تقلص موارد البحر، هذا ما دفع بالسلطة من مد نفوذها إلى المناطق الداخلية وإخضاعها بالقوة، نتج عنه حدوث اضطرابات وثورات مست أغلب نواحي الجزائر[5]، وقيام ثورات عديدة اختلفت دوافعها وأهدافها،كما اختلفت من حيث المدة والمجال[6].

وسأركز على تقديم نماذج لأبرز هذه الثورات، للدلالة على حجم هذه الظاهرة وخطورتها،كما تجدر الملاحظة إلى أن هذه الثورات تتوزع على مختلف نواحي الجزائر، وستكون ممثلة في ثورات عائلات أو جهات أو طبقات اجتماعية.

---

(1) جون.ب.وولف، **الجزائر وأوربا**، تر.وتع، أبو القاسم سعد الله، د.ط، الجزائر، م.و.ك،1986،ص ص: 128،137.

(2) جميلة معاشي، المرجع السابق، ص:41.

(3) صالح عباد، **الجزائر خلال الحكم التركي1514-1830 م**، د،ط،الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،2007 ص:132 .

(4) جميلة معاشي، المرجع السابق،ص:43 .

(5) ناصر الدين سعيدوني، مهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص:39 .

(6) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص: 210.

ثورة الكراغلة: استغل الكراغلة[1] تمـــرد الانكشـــارية علـــى "حســـين باشـــا" ســـنة 1038هـــ/1629م، وقتله بسبب الأجور، فقاموا بمهاجمتهم سنة 1039هـــ/1630م[2]، بعدما بلغوا من القوة للقيام بانقلاب عسكري للاستيلاء على السلطة[3]، إلا أن الوقت لم يكـــن مناســـبا لأن جنود الانكشارية قتلوا عددا كبيرا منهم واضطروهم للتروح إلى أعالي مدينة الجزائـــر ولاحقـــوا البقية إلى غاية بلاد القبائل ويقول الباحث" أبو القاسم سعد الله " أن هذه الثورة كانت: «**تمثـــل محاولة فئة اجتماعية[...] الاستيلاء على السلطة، فقد كانت هذه الفئة تـــرى[...]أنهـــا الأحـــق بالسلطة من العثمانيين القادمين من اناظوليا ومن شذاذ الآفاق الطامعين في حكم الجزائر**»[4].

كان لفشل هذه الثورة عواقب وخيمة على هذه الفئة وعلى الجزائر، فقد جعلت العثمانيين يكوَنون حاجزا بينهم وبين أبنائهم، ويتمسكون بالسلطة أكثر من أي وقت مضى دفاعا على مصالحهم الشخصية[5] بالإضافة إلى عزل الكراغلة من المناصب الحساسة أو شغلها، و إسنادها للعرب وبهذه الإجراءات يصف "حمدان بن عثمان خوجة" الوضع بقوله: «**ولقد قضى هذا النوع من المراقبة على بذور الكفاءة عند رجال هذا البلد وخلق مجتمع حذرا عاما استمر حتى مجيء الفرنسين**»[6].

كما بيَن الباحث"خليفة حماش"إلى أن دارس قضية الكراغلة في الجزائر بسطحية يصعب عليه فهمها، ومرد ذلك في رأيه يعود إلى فلسفة الحكم عند العثمانيين التي تجعل من هذه الفئة هي المؤهل لتولي المناصب السامية في الدولة، على حساب صلة النسل التي من المفروض أنها تكون أقوى من أي مانع يمنعهم من مشاركة آبائهم في الحكم[7].

ثورتا تلمسان: تبرز ثورتا تلمسان[8] السَمة العامة لعلاقات الحكام العثمانيين بالأهالي،

---

(1) حمدان عثمان خوجة ، **المرآة**، تق وتع وتح:محمد العربي الزبيري، دط، الجزائر،م.و.ف.م،2006، ص:116-117.

(2) صالح عباد، المرجع السابق، ص:119.

(3) خليفة حماش، المرجع السابق، ص:123.

(4) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 215.

(5) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(6) حمدان خوجة ، المصدر السابق،ص:120.

(7) حماش خليفة، المرجع السابق، ص ص:124-125.

(8) أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**، ط،خ، الجزائر، دار الرائد، عالم المعرفة،2009، ج3،ص ص: 255 -227.

والتي كان يطبعها في أغلب الأحيان الجور والظلم، بالإضافة إلى التدخل المغربي في شؤون الجزائر- بايلك الغرب-ففي سنة 1035هـ/1625م رفض أهالي تلمسان دفع الضرائب وذلك بسب تردي المنتوج الفلاحي[1] وسوء معاملة قائد الحامية التركية "محمد بن سوري" لأهالي تلمسان، هذا مادفع بأحد المرابطين"الشيخ محمد بن علي العبدلي"بالتدخل لوضع حد لهذه الثورة لدى باشا الجزائر"خصرف باشا"[2]، ويقول"الضعيف الرباطي" في تاريخ الدولة العلوية:«**أنه كانت فتنة عظيمة في مدينة تلمسان بسب قيام أهلها على الترك**»[3]

ثم اندلعت الثورة ثانية وتطورت سنة 1037هـ/1627م إلى تمرد حقيقي، هذا ما أحدث مجزرة في صفوف أفراد الحامية من الجنود الانكشارية، يقول ابن سليمان الصايم: «**وبعد حوالي السنتين قامت فتنة أعظم من الأولى بنصر أمير آخر من المغرب**»، وأن متزعم هذه الثورة هو"محمد بن أحمد السوسي"الذي كان يعمل لصالح الملك المغربي[4]، في عهد القائد محمد بن سوري، الذي استطاع القضاء عليها وعلى متزعمها، وقد شبهها ابن الصايم بواقعة صفين 37هـ/657م نظرا لخطورتها وشدتها[5].

ثورة ابن الصخري تعتبر ثورة ابن الصخري(10491047هـ/16391637م)[6] من أكبر الثورات الشعبية في الشرق الجزائري في العهد العثماني من حيث طول مدتها واتساع مجالها من جهة، وانعكاساتها على الحكم العثماني في الجزائر من جهة أخرى، فقد امتد مجال هذه الثورة على

---

(1) صالح عباد، المرجع السابق، ص:117.

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1،ص:216 .

(3) محمد بن احمد الضعيف الرباطي، **تاريخ الضّعيف،الدولة العلوية السعيدة1633-1812**، در، تح، محمد البوزيدي الشيخي، ط1، الدار البيضاء المغرب،دار الثقافة،1988،ج1،ص:160.

(4) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء،ج3، ص: 226، ويقدم ابن المفتي سنة 1038هـ/1629م بداية لثورة تلمسان ينظر: حسين بن رجب شاوش بن المفتي، **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**،در،تح،فارس كعوان، ط1 الجزائر، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، 2009،ص ص:48-49.

(5) محمد بن سليمان الصايم الجزولي،**كعبة الطائفين وبهجة العاكفين**، مخ خ، صورة طبق الأصل بيصغة (P.D.F)ملك للسيد نقادي محمد،تلمسان،ص ص:2-17.

[6] berbrugger(A),**Notes relatives à la révolte BenSakheri**,R ,A,N°10,1866,PP:337-352.

و تم شرح تفاصيل ثورة " بن الصخري" في: جميلة معاشي، **الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق من ق16-19م**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة قسنطينة2،1992 ص:396.

كامل بايلك الشرق دخلت خلالها قسنطينة عاصمة البايلك في فوضى كبيرة، واستطاعت أن تطيح بعدد من الباشوات وكثر ضحاياها، كانت الشرارة الأولى لانطلاقها تتمثل في رفض قبائل بايلك قسنطينة دفع الضرائب بقيادة "خالد السرير"[1]، وفي نفس الوقت الانتقام لمقتل "محمد بن الصخري" وابنه ومجموعة من أعيانه من طرف "مراد باي"حاكم قسنطينة، هذا ما نتج عنه ثورة"أحمد بن الصخري"أخ محمد القتيل الذي بدوره قاد جموع قبائل الشرق الحنانشة والذواودة، وهاجموا خلالها مدينة قسنطينة[2] وقاموا بعمليات قتل وحرق وتخريب، واستطاعوا قتل ما يزيد عن العشرين جنديا، هذا ما اضطر باشا الجزائر إلى إرسال تعزيزات عسكرية، لكنها هُزمت بنواحي قجال(سطيف)، في نفس الفترة كانت بعض المناطق والقبائل في حالة تمرد مثل ثورة قبائل فليسة بجرجرة بعد انقسام مملكة كوكو[3] وثورة خالد بن ناصر الحناشي[4] بنواحي قسنطينة.

1-2/الثورات في المغرب الأقصى:

أما بالنسبة للمغرب الأقصى فقد اتسمت الفترة الممتدة منذ وفاة السلطان السعدي "أحمد المنصور"(986-1012هـ/1587-1603م)[5] المعروف بالذهبي إلى غاية العقدين الأولين من حكم المولى إسماعيل(1056-1139هـ/1645-1727م)[6]، بالنزاعات السياسية بين الأمراء السعديين ورجال الزوايا وأمراء الجهاد[7].

---

[1] De Grammont(Henri Delmas), **Histoire d'Alger sous la domination turque 15151830**,présentation:Lemnouar Merouche,editions:Bouchene,paris,2002,p:162.

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1،ص ص:216-217.

(3) صالح عباد، المرجع السابق،ص:122.

(4) عبد الكريم الفكون، **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، تق،تح،أبو القاسم سعد الله،ط1،بيروت دار الغرب الإسلامي،1987،ص:167.

(5) أبو العباس احمد المنصور بالله، من أبرز الملوك السعديين،عرف عهده بالاستقرار والازدهار وفتح بلاد السودان، أحمد بن خالد الناصري،المصدر السابق، ج5، ص ص:89-92.

(6) المولى إسماعيل بن الشريف من أعظم الملوك العلويين وأطولهم حكما للمغرب (1056-1139هـ/1645-1727م) من أهم منجزاته تحريره كل من مدينتي طنجة والعرائش، عبد الرحمن بن محمد بن زيدان السجلماسي، **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**،تح،علي عمر،ط1،القاهرة،مكتبة الثقافة الدينية،2008،ج2،ص ص:63-95.

(7) عبد المجيد القدوري، **المغرب وأوربا مابين القرنين15-18م**،ط2، المركز الثقافي المغربي، الدار البيضاء،2012،ص:276.

يُعد التناحر على السلطة بين أفراد العائلة المالكة السمة المميزة لبداية القرن السابع عشر الميلادي، وذلك نظرا لبروز حدثها التي أثارت اهتمام الإخباريين[1] الذين رصدوا أحداثها في كتاباتهم، وهي ظاهرة برزت مع قيام الدولة السعدية ولازمتها إلى سقوطها[2]، فبمجرد وفاة المنصور، تأزمت الأوضاع واختل النظام ودام الصراع على العرش بين أبناءه وأحفاده مدة تزيد على نصف قرن، عانى فيها المغرب الأقصى من اضطرابات وفتن خطيرة عصفت بوحدته واستقراره.

وقد ترك لنا"عبد الرحمان التمنارتي" الذي كان معاصرا للأحداث وصفا للوضع بقوله: «[...]**وكان ذلك إثر وفاة المنصور رحمه الله، واضطرب الأمر، وهاجت الفتن والأهوال، وتغيرت الأحوال[...]وطوي ما كان بها من الأمن منشورا، وعم الخوف الذي كان بالأمس كامنا مغمورا[...]**»[3].

دخل أبناء السلطان"أحمد المنصور" الثلاثة "زيدان"[4] و"أبو فارس"[5] و"محمد الشيخ"[6] في صراع أدى بالمغرب الأقصى إلى التمزق وكان سببا في قيام ثورات عديدة، ونتج عن ذلك

---

(1) محمد الصغير بن الحاج الإفراني، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**،تصحيح: هوداس،د،ط،انجيه،مطبعة بوردين،1888،ص:190 وما بعدها.

(2) عرف المغرب مع بداية الخطوات الأولى للدولة السعدية(916-1043هـ/1510-1633م)عدة نزاعات أخطرها،الصراع بين احمد الأعرج وأخيه محمد الشيخ1540م،واغتيال عبد الله الغالب لجل أخواته وأبنائهم،وصراع محمد المتوكل مع عميه عبد الملك واحمد المنصور.وثورة كل من داود بن عبد المؤمن بن محمد الشيخ والناصر بن عبد الله الغالب على احمد المنصور بعد إسناده ولاية العهد لابنه المأمون، أحمد بن خالد الناصري،المصدر السابق،ج5،ص ص:14 -94.

(3) عبد الرحمان التمنارتي، **الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة**، إعداد: محمد بن عبد الله الروداني، تح: اليزيد الراضي، تق: محمد المنوني، ط1، الدار البيضاء، مطبوعات السنتيسي، 1999، ص:166.

(4) أبو المعالي زيدان بن احمد المنصور،بويع بفاس (16ربيع الأول1012هـ-24أوت1603م) بعد وفاة أبيه،ثار عليه إخوته،فكان عهده عهد فتنة واضطراب، محمد الصغير الإفراني، المصدر السابق،ص:191.

(5) أبو فاس عبد الله بن احمد المنصور، (ت1018هـ/1690م)، من السلاطين السعديين، بويع بمراكش وكان طرفا في الصراع الدائر بين إخوته على الحكم،ينظر: أحمد بن خالد الناصري،المصدر السابق،ج6،ص:17.

(6) محمد الشيخ المأمون بن أحمد المنصور، (ت05رجب1022هـ/21أوت1613)، من ملوك الدولة السعدية، دخل في صراع مع أبيه وإخوته، قتل بالقرب من تطوان على يد المقدم محمد أبو الليف، محمد الصغير الإفراني، المصدر السابق ص ص:197-199.

انقسام المغرب إلى مملكتين شمالية عاصمتها فاس، وجنوبية عاصمتها مراكش[1].

ومع وفاة زيدان وقع نزاع آخر بين أبنائه على السلطة، ولم يحسم الصراع بسقوط السعديين بل ظل قائما في عصر العلويين، فقد وصل الرشيد[2] إلى الحكم بعد خروجه عن أخيه محمد[3] الذي قتل في معركة بينهما وبعد تولية المولى إسماعيل خرج عليه ابن أخيه أحمد بن محرز[4] يدعوا لنفسه بمراكش وفاس[5]، ثم شق عليه عصا الطاعة ثلاثة من إخوته،كلف القضاء على فتنتهم خسائر فادحة[6].

ويكفي هذا النموذج للدلالة على حجم هذه الظاهرة وخطورتها، وأن الحلول التي اعتمدها أبناء المنصور، أو ملوك الدولة العلوية الأوائل تعكس تفكيرهم الأناني والاستبدادي الذي طبع سلوكهم السياسي بصفة عامة، وقد كان للصراع المستمر على السلطة بين أفراد العائلة المالكة في هذه الفترة انعكاسات جد وخيمة، فقد عصف بوحدة البلاد السياسية، وعرض المجتمع إلى حروب أهلية جلبت معها الأوبئة والجوع والدمار وأهدرت فيها طاقات مادية وبشرية كان من الممكن أن تستغل في تنمية المغرب وتحرير ثغوره المحتلة.

أدى ضعف السلطة السعدية بعد وفاة المنصور وتناحر أبنائه على السلطة إلى بروز كثير من الحركات السياسية و الدينية التي تمكنت من استثمار هذه الظروف فقادت ثورات شعبية استهدفت من خلالها الإطاحة بالعرش[7].

---

(1) عمار بن خروف، **العلاقات بين المغرب والجزائر في عهد أبناء المنصور1603-1627**، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد4، جامعة الجزائر،2004، ص:63.

(2) المولى الرشيد بن الشريف، (ت1040هـ/1630م)،أحد ملوك الدولة العلوية في عصرها الأول، محمد بن احمد الضعيف، المصدر السابق،ج1،ص:154.

(3) المولى محمد بن الشريف،ت(ت08محرم1075هـ/01أوت1664م)،أخ كل من المولى الرشيد والمولى إسماعيل،دخل في صراع مع أخيه الرشيد على العرش، المصدر نفسه،،ص ص:132-133.

(4) أحمد بن محرز،ت(ت1096هـ/1684م)،ثار على عمه المولى إسماعيل العلوي،قتل بتارودانت بعد مواجهات وحروب كثيرة، نفسه،ص:174.

(5) وقعت الفتنة بمراكش في 15 ربيع الثاني 1087هـ/27جوان 1676م، نفسه، ص ص:156-157.

(6) في 19 رمضان عام1089هـ/04نوفمبر1678م،تمرد إخوة السلطان المولى إسماعيل عليه وهم "الحران" و"هاشم" و"احم" مع ثلاثة من أبناء عمهم، نفسه،ص:163.

(7) عبد الكريم كريم، **المغرب في عهد الدولة السعدية**، ط3، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة،2006،ص ص:328-331.

ثورة ابن محلّي[1] أعلن عن ثورته ودعوته للجهاد بعد تسليم "الشيخ المأمون" مدينة العرائش إلى الأسبان سنة1019هـ/1610م، فاحتشد حوله الأتباع وتمكن من الانتصار في المعارك التي خاضها ضد المولى زيدان فاستولى على درعة و سجلماسة ثم على مراكش، وأرغم "زيدان" على الفرار منها إلا أنه في الأخير قتل في معركة دارت بينه وبين "أبي زكريا الحاحي" بعد استغاثة زيدان به وذلك بضواحي مراكش سنة1022هـ/1613م[2]، وقد وصفه الباحث"جاك بيرك" بالرجل المرابط الذي يريد أن يصبح ملاكا، وأن ثورته لم تكن سوى مرحلة من الفوضى التي بينت بصورة كارثية شغور السلطة المركزية[3].

وتفيد الدراسات أن اجتماع العامة على ابن أبي محلى يرجع إلى عدة عوامل أهمها:

-دعوته إلى الجهاد وذلك بعد تسليم مدينة العرائش إلى الأسبان، وابرز بأن ذلك يتطلب الجهاد وحث المغاربة عليه، وهذا ما أكسبه الكثير من الأتباع في ظل تنامي الغضب الذي اجتاح نفوس العامة.

-إعلانه المهدوية بوادي الساورة بالصحراء الجزائرية، في عهد آمن فيه الناس بالأولياء وقدسوهم، ونسبوا إليه الكرامات، وظن أصحابه أنه تغيب و لم يمت[4].

ثورة أبو زكريا يحي الحاحي[5] تشير المصادر إلى أن يحي الحاحي بعد انتصاره على ابن أبي محلى، تمرد على زيدان وذلك بسب عدم وفائه بما تعهد به، خاصة أنه كان يبعث له برسائل ينصحه فيها ويرشده بقصد لم الشمل[6]، و أن يقنعه بالمهادنة إلى غاية وفاته، ولقد سار أبو زكريا في نهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكثر أتباعه، هذا ما أكسبه نفوذا واسعا بالمنطقة[7].

---

(1) أبو العباس أحمد بن الله السجلماسي المعروف بابن أي محلى(967-1022هـ/1551-1613م)،أحد الفقهاء المتصوفة ثار بالجنوب الشرقي للمغرب وبوادي الساورة جنوب غرب الجزائر، محمد الصغير الإفراني،المصدر السابق،ص:200.

(2) محمد حجي،الزاوية الدلائية ،ص:132-134.

(3) jacques (Berque), **Ulémas, fondateurs, insurgés du Maghreb XVII siècle**, Paris Sindbad, 1982,P:45.

(4) محمد حجي، الزاوية الدلائية ، ص:136.

(5) يحي بن عبد الله الحاحي، (ت1035هـ/1626م)،فقيه وأديب،برز في المجال السياسي،ساند زيدان بن المنصور في صراعه مع ابن أبي محلى، أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق،ج6،ص ص:35:-50.

(6) Jacques (Berque),op.cit,p:26.

(7) المصدر نفسه،ج6،ص:35.

ثورة محمد الحاج الدلائي[1] في ظل اضمحلال نفوذ السعديين وسيطرة الثوار عليهم في جل مناطق المغرب الأقصى ظهر "محمد الحاج" كخليفة لشيخ الزاوية الدلائية"محمد بن بكر الدلائي"[2] والذي أظهر ميولا ونزوعا إلى السلطة، وقد استند إلى دافع شرعي ألا وهو عدم تحقق أهم ركن من أركان الخلافة للسعديين وهو"الكفاية"، وبالتالي عدم تجديد البيعة لهم، وبهذا كثر أتباعه واستطاع أخذ البيعة له في أوائل سنة 1061هـ/1651م[3].

قاد "محمد الحاج" حملة عسكرية ضد جيش محمد الشيخ السعدي في سنة 1048هـ/1638م، والتقى الجمعان على ضفة وادي العبيد ببلاد تادلا، أسفرت عن انتصار الدلائيين، ورجوع السلطان السعدي نحو مراكش، ثم زحفت جموع الدلائيين على مناطق نفوذ المجاهد العياشي، واستطاعوا التخلص منه سنة1051هـ/1641م، ثم ملكوا فاس وسلا وتطوان وسائر بلاد المغرب الأقصى[4].

وفي العهد العلوي اصطدم "محمد الحاج" بـ"محمد بن الشريف" بتافيلالت أوائل سنة1056هـ/1646م وجرت بينها وقعة "القاعة " التي أسفرت عن انتصار الدلائيين[5]،وفي عهد السلطان الرشيد العلوي استطاع أن يقضي على الدلائيين ويخرب زاويتهم بعد معركة فاصلة بينهما سنة1079هـ/1668م، نتج عنها أخذ البيعة للسلطان من طرف "محمد الحاج"، ونفيهم إلى تلمسان و فاس[6].

---

(1) محمد الحاج(ت1079هـ/1668م)،أكبر أبناء الشيخ محمد بن أبو بكر الدلائي، بايعه أهل المغرب سنة 1061هـ/1651م،كان له طموح سياسي في قيادة المغرب،ينظر: محمد حجي، الزاوية الدلائية،ص ص:161-163.

(2) محمد بن أبي بكر الصنهاجي الدلائي، (ت1046هـ/1636م)،فقيه ومتصرف،أحد شيوخ أبو العباس المقري،درس بالزاوية الدلائية، ينظر: محمد بن أحمد الحضيكي، **طبقات الحضيكي**،تق وتح: أحمد بومزكو،ط1،الدار البيضاء،مطبعة النجاح الجديدة،2006،ج2،ص ص:342-343.

(3) محمد حجي، الزاوية الدلائية ،ص ص:163-167.

(4) أبو عبد الله محمد بن أبي العباس سيدي أحمد المالكي الزياني المعروف بالعياشي،ت،(1051هـ/1641م)قاد المقاومة ضد الاحتلال الأجنبي للمغرب، ينظر حول حركته: عبد الطيف الشاذلي،**الحركة العياشية حلقة من تاريخ المغرب في القرن 17م** ط1، الرباط، منشورات،كلية الأدب والعلوم الإنسانية،1982،ص ص:197-170.

(5) عبد الطيف الشاذلي، المرجع السابق،ص:172.

(6) المرجع نفسه، ص ص:252-253.

لقد أدت الفتن والاضطرابات التي عرفها المغرب الأقصى خلال القرن الحادي عشر/السابع عشر الميلادي، إلى هلاك الكثير من الناس، وتسببت في محو الكثير من المقومات الثقافية،ولعل أبرزها موت الفقيه"ابن محلّي" وهجرة العلامة "أحمد المقري" إلى المشرق.

1-3/ أزمات الحدود:

اتسم تاريخ العلاقات بين المغرب والباب العالي بميزة بارزة وهي أن المغرب الأقصى لم تشمله قبضة دولة الخلافة العثمانية،كما أن العلاقات بينهما خضعت للمواجهة التي حدثت بين "دار الإسلام"و"دار الحرب"، فكان المغرب يمثل مسرح الصراع بين المسيحية ممثلة في الدول الأوربية وعلى رأسها اسبانيا،والإسلام ممثلا في الدولة العثمانية[1].

ويورد الباحث" عبد الرحيم بنحادة" في بداية حديثه عن علاقات المغرب الأقصى مع الدولة العثمانية آواخر القرن السادس عشر إلى غاية الستينات من القرن السابع عشر الميلادي، بما كتبه "دوسيلفا" حول السمة التي طبعت العلاقات المغربية العثمانية والتي مفادها ازدواجية هذه العلاقات بين التبعية والاستقلال فيقول:«**أن إمبراطور المغرب يسخر منا فهو بين مصانعتنا ومصانعة الأتراك، فعندما يطالبه صاحب الجلالة بالعرائش يقول: هيا بنا إلى الأتراك في الجزائر، وعندما يهدده الأتراك يقول:هيا بنا إلى اسبانيا**»[2].

ومع قيام الدولة العلوية برز دور الباب العالي في الدعوة إلى التعاون على مستوى العمليات الجهادية والكف عن الهجمات المتكررة على الجزائر، إضافة إلى تزايد نشاط البعثات الدبلوماسية وتبادل الرسائل بين حكام المغرب الأقصى والجزائر، ويشير الباحثون أن حجر الزاوية في العلاقات المغربية_العثمانية هي الجزائر، لذلك طُبعت هذه العلاقات بسمة المساجلات والمواجهات في الكثير من الأحيان[3].

---

(1) عبد الرحيم بنحادة، **المغرب والباب العالي من منتصف القرن 16الى نهاية 18م**، ط1، تونس، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات،1998،ص:9.

(2) المرجع نفسه،ص:111.

(3) يقسم الباحث عبد الرحيم بنحادة علاقات المغرب مع الباب العالي إلى مراحل، لكل منها سماتها أوردت منها ما يخص القرن11هـ/ 17م، عبد الرحيم بنحادة، المرجع السابق، ص ص:148-153.

وتعتبر أزمات الحدود بين الجزائر والمغرب الأقصى من الأزمات القديمة والتي اتسمت بها المنطقة منذ زمن الدولتين الزيانية والمرينية(ق7-9هـ/13-15م)، واستمرت حتى مجيء العثمانيين للجزائر وقيام الدولة السعدية ثم العلوية بالمغرب الأقصى[1] فتدخلات المغاربة كانت تندرج ضمن السياسة السعدية الرامية إلى إبعاد الخطر العثماني والتوسع على حساب الجزائر في منطقة تلمسان وهذا ما أكمله فيما بعد العلويون، أما الحملات العثمانية التي تمت داخل المغرب فكانت أساسا ترمى إلى إبعاد الخطر السعدي ثم العلوي عن الأيالة الجزائرية التي أصبحت جزءا من الدولة العثمانية، ودفاعا عن الحدود القائمة والموروثة عن الزيانيين و المرينين، فنجد أن حكام الجزائر وقفوا لهذه المحاولات بالمرصاد وردوا المغاربة إلى غاية غرب وادي ملوية[2] وباعتلاء العلويين سدة الحكم(1076هـ/1666م)، وإلى غاية فترة حكم "المولى إسماعيل"(11391082هـ/1672-1727م)، ازدادت أزمات الحدود حدة وأحيت الأطماع التوسعية، فوَجه المولى "محمد بن الشريف" غارات على قبائل منطقة تلمسان كبنى يزناسن، وبني سنوس وأولاد زكري، ووصل إلى غاية منطقة عين ماضي بالأغواط، وجاء رد فعل الجزائر في عهد "عثمان باشا" سنة 1064هـ/1654م بإرسال محلة عسكرية نحو تلمسان وسفارة على رأسها الفقيه "عبد الله النفزي"، التي جلبت عهدا كتابيا من "المولى محمد" بأنه لا يتعدى وادي التافنة[3]، ومع ذلك فإنه لم يلتزم بعهده أمام السفارة، وهاجم تلمسان مرة أخرى إلا أنه وللمرة الثانية لم يستطيع مواجهة الجزائر عسكريا فقفل نحو الجنوب الغربي للاستيلاء على فاس[4].

وفي عهد "المولى الرشيد بن الشريف"(1076-1082هـ/1665-1672م) تفاوض مع حكام الجزائر وجدد معهم المعاهدة التي أبرمها أخيه "المولى محمد" سنة 1075هـ/1665م وذلك حتى تسنح له الفرصة للسيطرة على المغرب الأقصى، إلا أنه سرعان ما أغار على قبيلة بني يزناسن بتلمسان ثم انسحب إلى منطقة تازة[5]، أما في عهد "المولى إسماعيل" فإنه أكمل مشروع أخويه للتوسع على حساب الجزائر، فقام بتحريض سكان تلمسان على الثورة ضد العثمانيين ثم أغار

---

(1) جلول المكي، **مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب1234-1847م**،رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الجزائر، 1993، ص:102.

(2) ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعدلي، المرجع السابق،ص:43

(3) أحمد بن خالد الناصري،المصدر السابق،ج7،ص ص:22-27.

(4) جلول المكي،المرجع السابق،ص:107.

(5) المرجع نفسه،ص:109.

على قبيلة "سقونة"، وبعد أن قضى على الثورات بالمغرب الأقصى توجه مرة أخرى نحو الجزائر حتى وصل سهل الشلف وهناك صده الجيش الجزائري وأرغمه على الاعتراف بالمعاهدة التي أبرمها أخوه محمد،كما أن الحدود لم يطرأ عليها أي تغير ليبقى "وادي التافنة" هو الحد الفاصل بين البلدين[1]، وأثناء حملة دوكين[2] على الجزائر استغل المولى إسماعيل تحالفه مع فرنسا وانشغال الجزائريين بمجابهة الحملة الفرنسية، ليوجه حملة عسكرية صوب تلمسان، إلا أن الإمدادات العسكرية التي وجهت نحو حامية تلمسان عن طريق البحر من الجزائر استطاعت هزم قوات المولى إسماعيل، هذا ما اضطره إلى الانسحاب نحو المغرب لتبقى الحدود على ما هي عليه دون أي تغيير ليجهز حملة أخرى سنة 1103هـ /1692م، بقيادة ابنه "محمد زيدان"، إلا أن مآلها كان الفشل و لم تتغير الحدود[3].

كان رد فعل الجزائر بأن سيَرت حملة عسكرية وصلت غرب "وادي ملوية" بقيادة "الداى شعبان" استطاعت أن تهزم قوات "زيدان" التي تراجعت نحو فاس، وبعد تدخل العلماء ورجال التصوف من البلدين وطلب المولى إسماعيل للصلح أبرمت معاهدة صلح وترسيم الحدود في "وجدة" سنة 1105هـ/1694م، أسفرت عن اعتراف المغرب الأقصى بـ"وادي ملوية" كحد فاصل بينها وبين الجزائر، وبعد سنة واحدة من توقيع معاهدة "وجدة" استغل المولى إسماعيل المشاكل الداخلية للجزائر، ودعم فرنسا له ليرسل ابنه زيدان مرة أخرى للإغارة على قبائل الحدود الجزائرية، إلا أنه لم يحقق ما كان يصبو إليه من مطامح توسعية[4].

وفي سنة 1112هـ/1701م،سيَر المولى إسماعيل حملة عسكرية على كل من تلمسان ومعسكر، مستفيدا من تحالف مع "مراد بن على" باي تونس[5]، على أن يهاجموا الجزائر في نفس

---

(1) أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق،ج7، ص ص:59 -60.

(2) حملة الأميرال الفرنسي دوكين"Duquesne "في رجب 1093هـ/ جويلية 1682م،ينظر:جون ب.وولف،المرجع السابق،ص:343.

(3) صالح عباد، المرجع السابق،ص:147.

(4) جلول المكي،المرجع السابق،ص ص:114-115.

(5) عرفت تونس في بداية القرن11هـ/17م مواجهتين حدوديتين مع الجزائر، وقعت الأولى سنة1023هـ/1614م، أما الثانية فوقعت سنة1037هـ/1628م، وكانت بسبب عدم استقرار القبائل الحدودية في دفع الضرائب، والمراوغة في الولاء= =بين السلطتين للاستفادة من المنافع مثل قبيلة"الحنانشة"، عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية بناء الدولة والمجال**، د،ط، تونس، منشورات تبر الزمان،2012، ص ص:128،129.

الوقت من الشرق والغرب[1] فوصلت قوات باي تونس إلى غاية منطقة "العلمة" شرق الجزائر واستطاعت أن تحاصر قسنطينة خمسة أشهر، كما وصلت قوات المولى إسماعيل بالقرب من منطقة "الشلف"، إلا أن الحملتين فشلتا شرقا وغربا، و لم يطرأ أي تغير على معالم الحدود[2].

ومنه فإن أزمات الحدود بين البلدين عرفت تصاعدا كبيرا، ميزها عدم الاستقرار خلال القرن(11هـ/17م)، أثرت كذلك على الجانب الاجتماعي، فانعدم الأمن وكثرت اللصوصية فتدهورت القيم وفشت البدع والمنكرات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) جلول المكي، المرجع السابق، ص:149.

(2) نفسه،ص ص:115-117.

2/ الأوبئة وانتشار اللصوصية:

2-1/الأوبئة والمجاعات:

تتحدث المصادر عن وقوع الأوبئة والمجاعات في الجزائر خلال العهد العثماني والانعكاسات السلبية التي خلفتها في الأرواح وفي الحياة المادية،كما أنها لم تقتصر على الحواضر بل شملت جميع أنحاء البلاد.

يرصد "عبد الكريم الفكون" في كتابه "منشور الهداية"، الطاعون بقوله: « **ورجع بعد مدة صاحبنا أبو عبد الله محمد البهلولي بعد مدة أعوام قبل سنة الطاعون الواقع في عام 1031هـ** [1622م]» والذي أدى إلى وفاة عدد من العلماء والصلحاء[1] .

ويفيدنا الرحالة "العياشي" الذي رصد الطاعون ببسكرة أثناء عودته من رحلته الحجازية سنة1060هـ/1650م فيقول: « **ونزلنا بسكرة ضحى يوم الاثنين، وكان نزولنا خارج البلد من غربية لأجل الوباء[...]**»، كما يشير إلى وفاة أحد الصلحاء الذين لقيهم ببسكرة قبل رجوعه من الحجاز،فيقول: « **وقد لقيت بها في سنة تسع وخمسين [1649م]رجلا من الصالحين ممن جمع بين العلم والعمل والزهد والورع...واسمه سيدي بوطيب نصير..،ولما رجعت من الحجاز في سنة ستين[1650م] وجدته قد توفي بالوباء في تلك السنة**»، ومما يدل على انتشار الطاعون تحري العياشي عن مواطنه، فعند وصوله لبلدة سيدي عقبة يقول: « **وتحققنا الوباء فيه،وفي البلاد التي في أطراف بسكرة، ولم ندخل لزيارته، وبتنا بينه وبين بسكرة**»، ثم يعطي وصفا للطاعون وإحصاء لعدد ضحاياه، فيقول: «**وكان وباءا مفرطا مات به في بسكرة على ما قيل نحو من سبعين ألف نفس**»[2] .

ووردت إشارة "القادري" إلى وقوع الطاعون في الجزائر، إذ كان سببا في وفاة الفقيه عبد الكريم الفكون فيقول: « **وكانت وفاته عشية الخميس الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين وألف [30جويلية 1663م]،شهيدا بالطاعون** »[3].

---

(1) عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص:205.

(2) أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية،ج2، ص ص:539-540.

(3) محمد بن الطيب القادري،**نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**،(من خلال موسوعة أعلام المغرب)، تح: محمد حجي وأحمد التوفيق،ط1،ج4، بيروت، دار الغرب الإسلامي،1996، ص:1551. .

ويعتقد كل من الباحثين "روزنبرجي" و"التريكي" أن تسرب الطواعين إلى فاس كان بواسطة القوافل التجارية القادمة من الجزائر وأن الطاعون الأعظم"الحبوبة الكبيرة" ابتداء في الجزائر منذ سنة 1029هـ/1620م، حيث بلغ أقصى مبالغه من الشراسة، وقد دام لما يقرب من مدة المجاعة وهي المدة التي طالت بين سنتي 1029-1038هـ /1620- 1629م، وفي سنة 1031هـ/1622م ظهر الطاعون بقسنطينة وبسكرة، وتواصل إلى غاية سنة 1035هـ/ 1629م، وكان من جملة ضحاياه القنصل الفرنسي والكثير من الضحايا[1]،كما ينقلا عن صاحب "الإحياء والانتعاش" أنه ابتداء من رجب 1072هـ/مارس1662م، عمت مجاعة نابت سائر المناطق بما فيها تلمسان[2].

أما بالنسبة للمغرب الأقصى فقد توالت عليه ضربات من الأوبئة والجفاف أدت إلى تقلص ثرواته المادية والبشرية وتدهور أنشطته الاقتصادية، فالأوبئة التي شهدها المغرب الأقصى خلال القرن السابع عشر الميلادي /الحادي عشر الهجري،كانت أكثر تواتر عليه وطويلة الآماد، فقد ورد الحديث عن أولى الإصابات سنة 1006هـ /1597م، في تطوان وفاس، ليظهر مرة أخرى بين سنتي 1033-1040هـ/ 1624-1631م، ليشمل مرة أخرى فاس ومراكش والجديدة، ليصل الساقية الحمراء بالساحل الجنوبي[3]، وتراوح عدد ضحايا طاعون سنة1006هـ /1597م بين خمسمائة وألفين شخص في اليوم الواحد، وهلك فيه من شرفاء فاس وفقهائه وأعيانها ما يزيد على الستة الآف[4].

ويرصد صاحب"النزهة" الوباء بقوله:«**كان بالمغرب وباء استطال وطال من عام وسبعة وألف [1598م]إلى عام ستة عشر وألف[1607م]وعم سهل المغرب وجباله حتى أفنى أكثر الناس ومات جمع من الأعيان، وبه مات السلطان أبو العباس أحمد المنصور عام اثني عشر وألف[1603م]** »[5] وصاحب هذا الوباء مجاعة عظيمة حدثت أثناء الاضطرابات التي عرفتها فاس سنة

(1) برنار روزنبرجي و حميد التريكي ،**المجاعات و الأوبئة في المغرب القرنين 16و17**،تر: عبد الرحيم حزل،ط،2، الرباط منشورات دار الأمان، 2010،ص:132..

(2) المرجع نفسه،ص ص:148-149.

(3) نفسه،ص ص:192-195..

(4) محمد بن الطيب القادري ،المصدرالسابق،ج2،ص:1096..

(5) محمد الصغير الإفراني، المصدر السابق، ص:188.

1022هـ/1613م، ارتفعت فيها الأثمان وهلك الآلاف جرائها[1].

ومما يدل على تحري الوباء والاحتياط منه بواسطة الوسائل الوقائية لدى المغاربة ما ورد في رسالة المنصور إلى ولده بقوله:«**وفي ليلة الثلاثاء موفى عشرين من جمادى الأولى عام أحدى عشر وألف[05 نوفمبر 1602م]، وقفت على رسالة كتب بها المنصور إليه [إلى ابنه أبو فارس] أيضا في فاس مجيبا له عما كتب إليه في شأن الوباء لما ظهر بمراكش[...] أول ما تبادرون به قبل كل شيء هو خروجكم إذا لاح لكم شيء من علامات الوباء، ولو أقل القليل حتى بشخص واحد[...] من المداومة على الترياق، فها هي الشربة المعروفة النافعة لذلك**»[2]، كما تتالت ضربات الجفاف في المناطق الجنوبية ذات المناخ الجاف بقوة دون غيرها من المناطق، هذا ما نتج عنه مجاعة كبيرة مابين سنتي 1071-1072هـ/ 1661- 1662م كانت أشد وطأة على سكان المدن[3].

وبالنسبة للتأثير الخطير للأوبئة التي حاقت الجزائر، فإن ذلك يرجع أساسا لعلاقتها القوية بالمشرق العربي مقارنة بالمغرب الأقصى الذي كانت علاقاته بالمشرق محدودة، هذا ما جنبه خطورتها، كما أن علاقات المغرب الأقصى بالجزائر كانت محدودة في القرن السابع عشر بالرغم من وصول بحارة الجزائر إلى موانئ "تطوان" و"سلا" و"العرائش"، كما شكلت المجالات الحدودية الصحراوية في شرق المغرب الأقصى حاجزا طبيعيا[4].

ولتوضيح أبرز الأوبئة والمجاعات التي ضربت كل من الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن 11هـ/17م نلخصها في الجدول التالي:

(1) أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ج6، ص ص: 55، 54 .

(2) محمد الصغير الإفراني، المصدر السابق، ص ص: 183،185.

(3) برنار روزنبرجي وحميد التريكي، المرجع السابق، ص: 213.

(4) المرجع نفسه،ص:191.

الجدول[1] رقم (2): أبرز الأوبئة والمجاعات في الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن(11هـ/17م).

التاريخ الهجري والميلادي	المناطق المستهدفة في الجزائر والمغرب الأقصى	نوع الجائحة
1006هـ/1597م	الجزائر و فاس وتطوان	(طاعون)
1011هـ/1602م	الجزائر وسوس	(طاعون)
1012هـ/1603م	الجزائر سوس ومراكش ثم كل مناطق المغرب الأقصى	(طاعون+مجاعة) (طاعون)
1033هـ/1624م	الجزائر فاس والجديدة	(مجاعة) (مجاعة+طاعون)
1034هـ/1625م	الجزائر فاس وبواديها	(مجاعة) (طاعون)

ومن خلال كرونولوجيا الأوبئة في الجدول، نستنتج أن الوباء قد أثر على الجزائر والمغرب الأقصى في كل سنة يضرب فيها، وذلك نظرا للامتداد والقرب الجغرافي، وحركة تنقلات الأفراد، ومنه فالأوبئة أدت إلى انعدام الأمن وشيوع اللصوصية بالمنطقة.

2-2/ اللصوصية وانعدام الأمن:

أدت الفتن والاضطرابات السياسية، وتوالي سنين القحط والمجاعات التي عرفتها الجزائر خلال القرن 11هـ/17م، إلى شيوع اللصوصية وانعدام الأمن وانتشار الفوضى، فقد شهدت أزمات حادة هذا ما شكل مجالا واسعا لنشاط اللصوصية وكثرة سفك الدماء ونهب الأموال والاعتداء على الأعراض، والمصادر ترصد في هذا الباب أمثلة عديدة.

[1] اعتمدت في انجاز هذا الجدول على المعلومات الواردة في المعطيات الإحصائية الذي قام بها الباحثان: برنار روزنبرجي وحميد التريكي، المرجع السابق، ص ص: 267،268.

يرصد لنا صاحب "منشور الهداية" انعدام الأمن وتجاسر اللصوص بمنطقة العلمة بقوله: «**ولقد جاءني يوما جماعة من غمريان شاكين بابن أم هانئ بعض فعله معهم من تحجير أموالهم إلا برفع يده وتسليط اللصوص عليهم**»، كما وردت إشارة دالة على نشاط اللصوص ضد القوافل التجارية والحجازية ببلد زواوة « **إذ لصوص الغالب عليهم استلاب القوافل والسفار**»[1].

ويذكر الرحالة "العياشي" أثناء مروره بالجزائر حالات عديدة لانعدام الأمن وتفشي اللصوصية بالجنوب، ومنها ماذكره أثناء رجوع الركب من الحج سنة1063هـ/ 1663م، وفي الطريق بين الزاب وسيدي عقبة وجدوا أن "أولاد صولة" قد أغاروا على بعض الأشراف، ووجدوا الركب الذي وصل قبلهم قد نزلوا بسكرة وأقاموا بها يومين مخافة من عرب "أولاد نصر بن بوعكاز" وحذروهم من غاراتهم على إبل الركب، ويذكر يوم ارتحاله من بلاد بسكرة أنه ساروا في خوف من عرب "أولاد نصر" لكثرة ما خوفهم الناس منهم[2].

يستفاد من ترجمة الشيخ "أبو محمد عبد الله بن طمطم الدغامسي" من بلاد توات أنه لا يترك أحدا من الأعراب يأكل طعامه، «**هؤلاء اللصوص لا أتركهم يأكلون طعامي ويستعينون به على ظلم المسلمين**»[3]، كما أن الخرجات التي ينظمها الأسبان ضد الأهالي من حين لآخر، أدت إلى فقدان أعداد هائلة من قطعان المواشي وأسر الكثير من سكان منطقة وهران، هذا ما أفقد الأمن بالمنطقة[4].

ويرصد الرحالة "ابن مليح" حالات لانعدام الأمن وانتشار اللصوصية والنهب بمنطقة"إفران" إحدى مداشر توات بقوله: «**أخذنا فيه النصف من رمضان السنة المذكورة [1042هـ/26 مارس 1633م] لانتظار الرفيق، لسلوك الطريق، لكونه مخوفا**»[5].

---

(1) عبد الكريم الفكون، المصدر السابق،ص ص: 113، 201.

(2) أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية،ج2، ص ص: 538-539.

(3) محمد الصغير الإفراني، **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**، تق، وتح، عبد المجيد خيالي، ط1، الدار البضاء، مركز التراث الثقافي المغربي، 2004،ص: 169.

(4) صالح عباد، المرجع السابق، ص ص: 110،140.

(5) عبد الله محمد بن مليح السراج القيسي، **أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمارب سيد الأعاجم والأعارب**، تح، تق، تع: محمد الفاسي، د،ط، فاس، مطبعة الخامس الثقافية والجامعية،1970، ص ص: 133 .134

أما في المغرب الأقصى فاجتاحت أطرافه الحروب العنيفة، فقويت بذلك النزاعات المحلية وتعددت مراكز القرار جراء الثورات المتعددة الداخلية بين السعديين ثم العلويين والإمارات المحلية والزوايا الدينية، والأخطار الخارجية كالتدخل الأسباني والبرتغالي وقيام حركات الجهاد، وانتشار الممارسات الإجرامية والفوضوية التي طبعها العنف ونهب الأموال والاعتداء على الحرمات، فانتشر الخوف بين الناس.

فأثناء الصراع على السلطة بعد وفاة المنصور، هجم "عبد الله" وعمه "أبو فارس" على مدينة فاس، على إثرها انهزم جيش زيدان « **هلك ما لا يحصى من الناس، ووقع النهب، حتى انتهب من البقر التي تحلب نحو ستة آلاف[...] وذلك سابع ربيع الثاني عام ثمانية عشر وألف [10 جويلية 1609م]** » [1]، وصدر أمر زيدان بسلب من جاء لتهنئته من ساكنة فاس بعد إخراجه "عبد الله بن الشيخ" من فاس سنة 1019هـ/1610م« **وكان عدد السلب نحو عشرة آلاف كسوة، ودخل أصحاب زيدان فاسا فنهبوها، وفعلوا فيها الأفاعيل**»، كما شهدت المدينة ثورات متتالية وفتنا عصفت بأمنها واستقرارها « **وفي يوم الجمعة خامس ذي القعدة من سنة اثنتين وثلاثين وألف[31 أوت 1623م]قتل الفقيه العالم القاضي أبو القاسم ابن أبي النعيم بعد أن نزل من صلاة الجمعة بفاس الجديد فقتله اللصوص بباب المدرسة العنانية[...]فوقع بسبب قتله شر عظيم** »، بحيث أصبح التجار لا يأمنون على أنفسهم، واستولى الخراب على مدينة فاس«**حتى كادت تضمحل ويعفو رسمها**»[2].

وتتحدث المصادر عن معاناة الحواضر الكبرى خلال هذه الأزمات، نتج عنها نهب واسع فقد خيمت على فاس القلاقل والفتن ما بين سنتي 1040- 1050هـ/ 1630- 1640م، بسبب استفحال النزاع بين أهلها، وبلغ من انعدام الأمن أن سد جامع القرويين وعطلت به الصلوات ورفع الأذان[3].

---

(1) أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ج6، ص: 16.

(2) المصدر نفسه، ص ص:16، 57،58.

(3) محمد بن الطيب القادري ، المصدر السابق، ج3،ص: 1293.

ويفيدنا "العياشي" عن وضع المغرب أثناء بدء رحلته الحجازية بقوله: « **وذلك في سنة تسع وستين[1069هـ/ 1658م]، دبت في مغربنا عقارب الفتن، وهاجت بين الخاصة والعامة مضمرات الإحن، فانقطعت السبل أو كادت، وهاجت الأرض بأهلها ومادت** »[1].

ومنه فإن النزاع على السلطة، أو المعارك التي دارت بين المجاهدين والمحتلين من الأسبان والبرتغال، من أهم مسببات انعدام الأمن وشيوع الفوضى في كل من الجزائر والمغرب الأقصى بحيث تركت سماتها على الجوانب الاجتماعية، فدفعت بعدد من السكان خارج أراضيهم، والباقي لجأ تحت وطأة الجفاف والأوبئة إلى السرقة والنهب وقطع الطرق، هذا كله في ظل ضعف السلطات وتمزقها وعدم قدرتها على إقرار الأمن داخل البلاد.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، ج1، ص:54.

3/ تدهور القيم وشيوع المناكر:

3-1/اختلال القيم:

تعكس المصادر المتعلقة بهذه الفترة سخط الفقهاء والمتصوفة وتذمرهم من اختلال القيم الأخلاقية في الحياة اليومية للناس عامتهم وخاصتهم، حيث نجد أن ظاهرة الدعوة إلى الإصلاح وحالة التذمر بارزة بشكل قوي، هذا ما يشير إلى أن الاختلال الذي اكتسح قيم المجتمع كان كبيرا.

ففي الجزائر يورد لنا صاحب "كعبة الطائفين" وضع المجتمع ونخبه في صورة قاتمة بقوله: «**بل لم نجد نحن من هذا القرن الحادي عشر[17م] إلا العقارب واللفاع والشقاق والنزاع، وظهر الهمج والرعاع، المؤثرين سُبل الشر والابتداع**»[1]، وكذلك يقدم لنا صاحب "منشور الهداية" العديد من المناكر، فقد جاء في مقدمته استياءه من الزمان وأهله بقوله: « **فلما رأيت الزمان بأهله تعثر، وسفائن النجاة من أمواج البدع تتكسر، وسحائب الجهل قد أضلت[...]وصاحب أهل الطريقة قد أصبح وأعلام الزندقة على رأسه لائحة**»[2].

وفي ترجمة "أبو عبد الله بن نعمون" وردت إشارات دالة على تدهور القيم الأخلاقية مثل توقيع الفتن بين المسلمين، «**وكان أبو عبد الله المذكور جادا في طريقة الإذاية والنكاية والإغراء بين المسلمين والغواية**»، كما برزت ظاهرة السب واللعن التي تؤدي إلى الكفر[3]، وشاعت البدع مثل ضرب الخطوط في أوساط العامة، ففي ترجمة "أحمد العطار" رصد الفكون هذه البدعة بقوله: «**وكان معروفا بالضرب على الخطوط**»[4].

كما شاع شرب الدخان والخمر والغناء في أوساط المجتمع، فقد ذكر الفكون ما كان يجري في دار "أبو العباس أحمد الغربي" بقوله: « **فاحتفل النادي بهم، وأظهروا من المناكر بدر أبي العباس المذكور ما لا ينبغي ذكره، وأعلنوا بشرب الدخان وجمعوا فئات من الأشرار وصاروا يتعاورون وبالخنا يتظاهرون[...]ومدح البندار والمزهر والطار، وذكر سلافة الخمار**»، كما ذكر

---

(1) محمد بن سليمان الصايم، المصدر السابق،ج1، ص: 78.

(2) عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص ص: 31،32.

(3) المصدر نفسه، ص ص: 84،86.

(4) نفسه، ص: 92.

كيف اعتقدت العامة والخاصة ببونة في بدعية مغربي من نواحي فاس يقال له " علي خنجل" الذي زعم أنه شيخ المشايخ في القطبانية والصلاح، « **فذكر لي الحاكي أنه جعلت له ليالي من آلات وتصفيق وشطح وإنشاد، وما مثلهم إلا كنادي جماعة الشرب في زعقاتهم وآلات طربهم**»، وأثناء خروجه لركوب السفينة متوجها نحو الحجاز يصف كيف اختلطت النساء بالرجال لتوديعه، كما ذكر أيضا أن "محمد البلدي" لما اشتهر أمره بين الناس صاروا يدخلونه دورهم دون حجب نسائهم عنه وممن فعل ذلك والده[1].

3-2/شيوع المناكر:

ويورد الرحالة " الدرعي بن ناصر" مظاهر اختلاط النساء بالحجيج في بلدة "عين ماضي" بقوله: «**غير أنهم لا يتألون بالحجاب، تُرى نساؤهم[...] تبيع وتشتري مع الحجيج غير مُستترات، وكلمناهم على ذلك في حجة سنة [1096هـ/1685م] فقالوا هذه عادتنا**»[2].

ومن مظاهر التعدي على حرمة النفس والتمثيل بها عند الخاصة، الصراع حول السلطة وخاصة في عهد الأغوات، وما صاحب هذه الفترة من كثرة الاغتيالات، وما جرى أيضا لـ"محمد بن الصخري" وابنه ومجموعة من أعيانه من طرف "مراد باي"، بحيث كانت سببا في اندلاع ثورة عارمة ضد السلطة في بايلك الشرق[3].

وقد وصف "العنتري" دالي باي بأنه رجل سفاك الدماء، هذا ما دفع أهالي قسنطينة لتقديم شكوى ضده إلى باشا الجزائر[4]، أما عند العامة فيورد لنا صاحب "عمدة الحكام" نص سؤال لنازلة حول استباحة حرمة النفس وقتلها بواسطة السلاح بقوله:«**وهي أن رجلين من القبيلة المذكورة [بني يملون]، سرحا بغنمين، كل واحد بغنمه مستقل بها يرعاها وحدها، واحد بيده مكحلة، والآخر لا سلاح بيده ليس له مكحلة ولا غيرها، فضُرب ذلك الرجل الذي ليس له سلاح برصاصة في**

(1) عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص ص: 98،166،173.

(2) أحمد ابن ناصر الدرعي ، **الرحلة الناصرية**، ط،ح، المغرب الأقصى، المطبعة الفاسية، 1320هـ/1902م، ج1،ص:32.

(3) تقدم ذكر أسباب ثورة بن الصخري في المبحث الخاص بالفتن والاضطرابات.

(4) سعاد لبصير، **دوافع الهجرة الدينية والعلمية من الجزائر في العهد العثماني 1516/1830**، الملتقى العلمي الأول سوسيولوجية الهجرة الجزائرية في التاريخ الماضي والحاضر، قسنطينة ماي2008 ص:49.

جسده فمات من حينه»[1]، وهذا ما يدل على شيوع ظاهرة قتل الأنفس واستباحتها، وتصدي رجال الدين لها من خلال تسليط الفتاوى وتبيان أحكام حرمتها في الشرع الإسلامي.

أما في المغرب الأقصى فقد بلغ استياء الفقيه "اليوسي"[2] من زمانه ومجتمعه إلى اعتبار أن العزلة عن الخلق أمرا واجبا، يقول: « **فلما فسد الأمر، وغلبت الشهوة واُتخذ الهوى إلآها، وظهر المراء والجدال، ووقع التقاطع والتدابر والتحاسد والتباغض حلت العزلة، وربما وجبت**»[3].

فالجرأة على قتل النفس والتمثيل بها من السمات البارزة في هذه الفترة، فقد قُتل "أبو فارس بن المنصور" على يد ابن أخيه "عبد الله بن الشيخ" خنقا« **فدخل على عمه أبي فارس ليلا مع حاجبه حمو بن عمر، فوجده على سجادته وجواريه حوله فأخرجهن وأمر بعمه فخُنق وهو يضرب برجليه، إلى أن مات وذلك في جمادى الأولى سنة ثمان عشر وألف[أوت1609م]** »[4].

وبعد القضاء على "ابن أبي محلي" قُطع رأسه مع رؤوس أصحابه، ثم عُلقت على سور مراكش لعدة سنوات، وفي نكبة الفقيه "أبي عبد الله محمد اللمطي"، حيث قُتل على يد "عبد الله بن الشيخ" وعُلقت جثته على الأبراج ثم أُنزلت لتلعب بها الخيول[5].

ومن مظاهر التجاسر على النفوس، اختطاف الأشخاص وبيعهم للعدو المحتل، فقد كانت أزمات المجاعة وراء قسوة القلوب تجاه الآخرين، وذلك بغية الحصول على الطعام والمحافظة على البقاء، فقد جاء في نوازل "الجواهر المختارة" نص نازلة حول حكم بيع المسلمين للنصارى نقلها المؤلف بقوله: «**وسألت ابن خالنا الفقيه العلامة أبا النصر عبد القادر بن علي بن يوسف حفظه الله عن حكم من يبيع المسلمين للنصارى أن يملكهم رقابهم**»، فجاء الجواب كالتالي:«**أخذ الرقاب وتمليكها للكافر أعظم فسادا من إخافة السبل، وأخذ الأموال**»[6].

---

(1) محمد الطيب الخنقي، **عمدة الحكام وخلاصة الأحكام في فصل الخصام**، تق، تع: محمد موهوب بن أحمد بن حسين، د،ط، عين مليلة(الجزائر)، دار الهدى للطباعة والنشر، 2002، ص: 327.

(2) أبو علي الحسن اليوسي (ت1102هـ/1691م)، فقيه وأديب مغربي، درّس بالزاوية الدلائية، من مؤلفاته، "المحاضرات"،ينظر ترجمته في: الحسن بن مسعود اليوسي، المصدر السابق،ج1،ص ص :39،51.

(3) المصدر نفسه، ج1،ص: 184.

(4) أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ج6،ص:17.

(5) المصدر نفسه، ص ص: 32،33،56.

(6) محمد بن عبد العزيز بن الحسن الزياتي، **الجواهر المختارة مما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة**، مخ،ج2، مكتبة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، رقم: 3/7/217، ج2، ص:97.

كما رصدت كتابات الإخباريين جرأة الناس على المحرمات كالتبرج والاختلاط بالنساء وشرب الخمر التي شاع تعاطيا بين الخاصة والعامة، فكان من بين الملوك السعديين الذين أدمنوا الخمر "عبد الله بن الشيخ"، «**إسرافه في الخمر وإدمانه عليه وكان لا يفارقه ليلا ونهارا ويتعاطاه سرا وجهارا**»، و"عبد الملك بن زيدان" الذي كان: «**فاسد السيرة مطموس البصيرة، مدمنا على شرب الخمر**»[1]، ومن التجاسر على الأعراض ما ذُكر عن السلطان "عبد الملك بن زيدان" عندما أقام حفلا استدعى إليه نساء أعيان مراكش «**وصعد هو إلى منارة في داره، فنظر إلى النساء، وهن منتشرات، قد وضعن ثيابهن، فآيتُهن أعجبته بعث إليها**»[2].

كما شهدت الفترة ظهور فرق إباحية، اتجهت اتجاها معارضا للدين الإسلامي، كطائفة العكاكزة[3] التي انتشرت أفكارها في ربوع المغرب الأقصى، وأصبحت تُشكل خطرا حقيقيا حيث دفعت الفقهاء إلى إصدار فتاوى في شأنها،كما قام الملوك السعديون ثم من بعدهم العلويون بمحاربتها، وتعتبر تعاليم هذه الطائفة من أكبر مظاهر اهتزاز القيم الأخلاقية وتدهورها بالمجتمع المغربي، فقد غالت هذه الفرقة في التهالك على الشهوات متحررين بذلك من كل القيم الدينية «**ومن ذلك ما ارتكبوه من رفض المأمورات كالصلاة والصيام والضحية ونحوها، واقتحام المنهيات: كالزنا وأكل الميتة وقتل المسلمين ونهب أموالهم**»، وقولهم أيضا:«**المرأة كالسجادة، صل وأعط أخاك يصلي**»[4].

لقد بينت المصادر المتعلقة بالفترة موضوع البحث نماذج عديدة حول الآفات التي مست الوضع الاجتماعي بالمنطقة، هذا ما جعل من فئة الفقهاء والمتصوفة تتصدى لها، ولعل في منشور الهداية "للفكون"، وفي رسائل "اليوسي" مايثبت ذلك.

(1) أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق،ج6،ص ص: 59،77.

(2) المصدر نفسه، ص 77.

(3) هم فرقة مخالفة لاعتقاد أهل المغرب، تنتسب للطائفة التومرتية، ظهرت في القرن 11هـ/17م، من آرائها المتعلقة بالعقيدة: الإيمان بإمامة المهدي بن تومرت ومهديته وإنكار الصفات الإلهية، امتد تأثيرهم إلى غاية قبائل بني يزناسن بتلمسان، للمزيد من الاطلاع ينظر: رسالة اليوسي حول طائفة العكاكزة: الحسن بن مسعود اليوسي، المصدر السابق، ج1، ص ص: 271، 299.

(4) المصدر نفسه، ص ص: 280،281.

3-3/الدعوة إلى الإصلاح:

ولّد الغزو المسيحي لدى العلماء شعورا بخطره، ووعيا بالعوامل المحلية التي مهّدت له سواحل المنطقة، هذا ما خلق حركة إصلاحية، هدفت إلى تغير الأوضاع وإصلاح الأحوال في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ففي المجال السياسي تبرز ظاهرة حرص العلماء على اجتماع الكلمة وجمع شتات الأمة وتجنب الفتن، ويرجع ذلك إلى المعاناة التي مرت بها المنطقة من خلال موجات الفتن التي اكتسحتها،والأمثلة على ذلك عديدة نذكر منها تدخلات العلماء الجزائريين لإطفاء نيران الفتن الداخلية وقد تجلى ذلك من خلال مراسلة "يوسف باشا" للعلماء طالبا منهم المساعدة لإخماد ثورة ابن الصخري، وفي المفاوضات بين الجزائر وجيرانها كوفود صلح، مثل ما جرى مع تونس سنة 1037هـ/1628م، ومع المغرب الأقصى سنة 1064هـ/1654م[1].

أما بالنسبة للمغرب الأقصى فنورد موقف الفقيه "أبو مهدي عيسى السكتاني" قاضي تارودانت، الذي لم يوافق يحي الحاحي أثناء ثورته على السلطان زيدان، بدعوى منع الخروج عن السلطان بدون موجب «**فلم يوافقه على ذلك، ولم يساعده على مراده لما فيه من الخروج على السلطان بلا موجب**»، كما قام بتوجيه رسالة نصح إلى الثائر "الحاحي" بعد خروجه من تارودانت، يدعوه إلى التراجع عما فعله لأن ذلك يؤدي إلى فتن تسفك فيها الكثير من الدماء، وتهتك الأعراض وتضيع الأموال، كما يرجع هذه الفتن إلى افتراق الكلمة[2].

كما برز واجب تحرير الأراضي المحتلة تحت مطلب الدعوة إلى الجهاد، وحفظ مصالح العامة، فقد كان العلماء يتحاورون في ما بينهم حول موقف الدين من الجهاد ضد الأسبان وخاصة في وهران[3]، ويُستفاد من قصيدة تهنئة مفتي فاس"أبو محمد عبد الواحد بن محمد الشريف البوعناني" للمولى إسماعيل بمناسبة فتحه لمدينة العرائش سنة1100هـ/1689م، اهتمام العلماء بوجوب بتحرير مدينة وهران، فقد جاء فيها:

---

(1) كما يذكر مرافقة العلامة "أبو مهدي عيسى الثعالبي" ليوسف باشا أثناء حملته ضد ثورة بن الصخري، ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص ص: 217، 445. و ج2، ص: 53.

(2) يورد "أحمد بن خالد الناصري" محتوى الرسالة كاملة: المصدر السابق، ج6، ص ص: 61، 68.

(3) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1،ص: 445.

ووهران تنادي كل يوم متى يأتي الإمام متى يزور
متى يأتي ويفتحها سريعا ويلحق أهلها منه ثبور
فيهزمهم ويقتلهم ويسبي وسيف الحق في يده ينور[1].

كما يورد أحمد توفيق المدني في مؤلفه"حرب الثلاثمئة سنة" قصيدة لابن أبي محلّي يدعو فيها أتراك الجزائر إلى تحرير وهران جاء فيها:

فمن مبلـــغ عني ملـــوك الأقالم وكل رئيس من روؤس العمائم
وسلطانها التركي في دار ملكـــه وبين علاه في دهـــاة العـــظائم
وجيش بني عثمان من كل قائد جيوشا كموج البحر عند التلاطم
يريدون وهرانا فما سبق القضا بتنفيذه للوقت في جفن عالم[...]
ويا معشر الأتراك مابال سعيكم ووهران تزهو نخـــوة بالمـــراغم[2].

ومن خلال الرسالة التي بعثها الفقيه "اليوسي" إلى السلطان "المولى إسماعيل"، يُفهم منها الحديث عن إهمال الثغور، والتراخي عنها وعجز ساكنتها الدفاع عن أنفسهم، وحث السلطان بإمداد أهلها بالخيل والسلاح، وإعفائهم من الضرائب حتى يتمكنوا من حمايتها[3].

كما نجد أيضا أن "أحمد المقري" بالمغرب الأقصى يتفاعل مع الغزو الصليبي لسواحله، حيث نجده يبعث برسالة إلى المقدم "أحمد النقسيس التطواني" يحثه فيها على الجهاد وتعبئة العامة استعداد له.[4]

وفي المجال الاقتصادي، ركزوا على ضرورة توظيف الأموال وبذلها في الجهاد وعدم التعامل مع المحتل وأعوانه، فقد وردت نازلة بهذا الصدد، يُفهم منها دور الفقهاء في توعية العامة بدور الحرب الاقتصادية في معارك التحرير أوردها الفقيه "عبد العزيز الزياتي" بقوله:«**وأما ما يفعله سفلة**

---

(1) أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ج7،ص:75.

(2) أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492–1792**، ط1، الجزائر، ش.و.ن.ت، 1965 ص ص:442،443.

(3) تحدث عن دفاع أهل تطوان وتصديهم للاحتلال في عهد "المولى رشيد"، كما حث على مراقبة الساحل من القليعة إلى ماسة، يُنظر: الحسن بن مسعود اليوسي، المصدر السابق، ج1،ص: 240.

(4) ينظر الجدول رقم(8)"**نماذج للمراسلات المتبادلة بين علماء الجزائر والمغرب الأقصى**" الفصل الثالث:أدوات التفاعل الثقافي.

التجار من سفرهم إلى أرض الحرب، والدخول تحت حكمهم، ونقل ذخائر المسلمين من النقود الجيدة، وغيرها من أنواع ما يستعينون به ويتقوَون على المسلمين بسببه، فلا يُحتاج إلى جلب نص على منع ذلك»[1]، ولعل ذلك ينطبق على قبائل "بني عامر" في الغرب الجزائري الذين تعاملوا مع الأسبان تجاريا في أسواق وهران وكوَنوا حلفا معهم ضد الوجود العثماني في الجزائر[2]، كما أورد لنا "محمد بن ميمون"، كيف تعاونت قبائل "بني عامر" مع الأسبان ضد إخوانهم، فهم على حدَ قوله: «**يعزّون الكافر على المسلمين، ويغزونهم به في كل كمين**»[3].

وفي المجال الاجتماعي عمل العلماء على تصحيح اعتقادات العامة وفق مبادئ الشريعة الإسلامية، فانتقدوهم بسب انحرافهم عن الدين وتعلقهم بالبدع والعادات السيئة، وارتكابهم للمحرمات والفواحش، وذلك بتسليط الفتاوى على العادات المتعارضة مع الدين، وتبيان أضرارها وحرمتها في الشرع.

ومنه فالباحث يلمس ذلك التشابه الكبير في النشاط الفكري الذي ميَز المنطقة، الذي يكاد يكون متطابقا، والذي بدوره ألغى الحدود بين البلدين ثقافيا، وهذا ما زاد من فرص التبادل الثقافي بينهما.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) محمد بن عبد العزيز بن الحسن الزياتي، المصدر السابق، ص:95.

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 199، الهامش رقم: 1.

(3) محمد بن ميمون الجزائري ، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تق، تح:محمد بن عبد الكريم ط1، الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1972، ص: 204.

الفصل الثاني:

قنوات التفاعل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى .

1/ الهجـــــــــرة.

2/ الرحلـــــــــة.

3/ الحـــــــــج.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قد يعتقد الكثير من غير المتخصصين –في الجزائر والمغرب الأقصى-أن الجزائر في القرن11هـ/17م، كانت مقفلة في وجه المغرب الأقصى، كما أن المغرب بدوره كان في عزلة تامة، بسبب تحول دول المغارب إلى أيالات عثمانية مطلع القرن10هـ/16م، وأنهما لم يتأثرا ببعضهما لا بالقليل ولا بالكثير، والواقع أن كلا البلدين كانا على اتصال متين واحتكاك قوي-فترات السلم والتوتر-ثقافيا،كما أن المغرب الأقصى كان على اتصال بالثقافة العثمانية من خلال حكام الجزائر، وذلك بواسطة وفود العلماء والفقهاء الذين عملوا على حل الخلافات الحدودية[1] وأن قنوات التفاعل الثقافي بينهما كانت متعددة، بسبب وحدة الدين الإسلامي والمذهب المالكي، والامتداد الجغرافي وسنركز الدراسة فيما يلي على أبرز القنوات التي أدت إلى التفاعل الثقافي بين البلدين.

1/ الهجـــرة.

الهجرة ظاهرة قديمة، يتجدد النظر إليها بتجدد القضايا التي تطرحها، امتد تأثيرها على جميع مناحي الحياة، ولدراسة ظاهرة الهجرة كإحدى قنوات التفاعل الثقافي، كان لزاما علينا تحديد إطارها المفاهيمي.

1-1/مفهوم الهجـــرة:

الهجرة لغة: يقول "ابن فارس": «**الهاء، والجيم، والراء**»، أصلان يدل أحدهما على قطيعة وقطع، والآخر على شد شيء وربطه، فالأول الهجر ضد الوصل، وكذلك الهجران وهاجر القوم من دار إلى دار، تركوا الأولى للثانية، كما فعل المهاجرون حين هاجروا من مكة إلى المدينة[2].

---

(1) دلندة الأرقش وآخرون، **المغرب العربي الحديث من خلال مصادره**،د،ط، تونس، مركز النشر الجامعي ميديا كوم، 2033، ص:299.

(2) أحمد أبو الحسن بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**،تح: عبد السلام محمد هارون، ط2، دار الجيل، بيروت، 1999، ج6 ص:34.

وجاء في "لسان العرب":الهجرة والهُجرة: الخروج من أرض إلى أرض، والمهاجرون: الذين ذهبوا مع النبي صلى الله عليه وسلم، والمهاجرة من أرض إلى أرض: ترك الأولى للثانية[1].

أما اصطلاحا: فهي ظاهرة اجتماعية يتم فيها التقاء الجماعات البشرية والتحامهم، عرفتها البشرية من ظهور الإنسان القديم، حيث أنها كانت ملازمة للإنسان، فرضتها عليه الظروف الاجتماعية والسياسية والحروب والمنازعات، وانتشار الأوبئة والأمراض، حيث كانت الجماعات البشرية تتحرك من مناطق إقامتها العادية نحو مناطق أخرى[2].

وأما الهجرة في القرآن الكريم والسنة النبوية:فلم يستعمل القرآن الكريم كلمة الهجرة ولكنّه استخدم مشتقاتها، وقد دّلت الآيات الكريمة على معنى الترك[3] سواء كان الترك للوطن كما في قوله تعالى: ﴿ **لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾[4]، أو تركا لغير الوطن، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ** ﴾[5]، وغير ذلك من الآيات.

أما في السنة النبوية، فقد ورد لفظ الهجرة ليدل على معنى الترك[6] أيضا، كما جاء في قول الرسول صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: «**لا هجرة ولكن جهاد، ونية وإذا استنفرتم فانفروا**»[7].

---

(1) جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، ج15، ص:23.

(2) محمد اعبيد الزناتي، **الهجرة غير الشرعية والمشكلات الاجتماعية**، ط1، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2002 ص:119.

(3) محمد جاسم، **أحكام الهجرة في الشريعة الإسلامية**، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج8، العدد1، كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، 2008، ص:95.

(4) سورة الحشر، الآية: 8.

(5) سورة المدثر، الآية: 5.

(6) محمد جاسم، المرجع السابق، ص: 95.

(7) محمد بن إسماعيل البخاري، **الجامع الصحيح**، محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، بيروت، دار طوق النجاة، 2001، مج2، ج4، ص: 75.

1-2/ هجرة واستقرار أهل العلم والدين الجزائريين في المغرب الأقصى:

تعددت دوافع[1] هجرة أهل العلم والدين من الجزائر و تعددت مجالاتها، فقد تأثرت هذه الفئة أكثر من غيرها بسياسة بعض الحكام العثمانيين العنيفةمثل ما جرى لأهالي تلمسان،كما أن للدوافع العلمية والدينية[2] دور كبير في التأثير على هجرتهم، فالحرص على طلب العلم والإجازة والبحث عن الأسانيد العالية في العلوم الدينيةفي ظل انعدام مراكز علمية كبرى،جعل من هذه الفئة تُنشد الهجرة و الاستقرار بالمغرب الأقصى وبالخصوص في "فاس"، وبما أن بحثي يعتمد على المصادر ويهدف إلى تمحيص المعلومات وانتقائها، فانه يحتاج إلى انجاز جداول توضيحية، ومنه سأركز بالدراسة على نماذج من هذه الفئة التي هاجرت واستقرت بالمغرب الأقصى أو التي هاجرت أُسرها في القرن10هـ/16م، وذلك من خلال إحصاءها ضمن جدول يتضمن الوصف العلمي للحالة المدروسة وموطنها الأصلي و وجهتها داخل المغرب الأقصى، ثم إجراء قراءة للمعطيات والتعليق عليها، وهذا ما سيوضحه الجدول التالي:

(1) عالجت الباحثة "سعاد لبصير" دوافع هجرة العلماء ونفيهم بالتفصيل، سعاد لبصير، **هجرة ونفي أهل العلم والدين من الجزائر في العهد العثماني1516-1830**،مذكرة ماجستير غير منشورة،قسم التاريخ،جامعة قسنطينة2،2008 ص ص:122-178.

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص ص: 423-429.

الجدول رقم (3): نماذج لحالات هجرة واستقرار أهل العلم والدين الجزائريين في المغرب الأقصى.

رقم الحالة	اسم الحالة	اللقب العلمي أو الوصفي[1]	وفاته	موطنه الأصلي[2]	وجهته داخل المغرب الأقصى	مصادر ترجمته[3]
01	**أبو عبد الله محمد بن أحمد الوهراني.**	فقيه+خطيب+ قاضي	1013هـ/ 1605م	وهران	فاس	محمد بن الطيب القادري، المصدر السابق،ج3، ص: 1142. عبد الله بن محمد الفاسي، **الإعلام بمن غبر**، ص:62.
02	**أحمد بن عبد الواحد الونشريسي.**	البركة	1014هـ/ 1605م	الونشريس	فاس	محمد بن الطيب القادري، المصدر السابق،ج3،ص: 1142. عبد الله بن محمد الفاسي، المصدر السابق، ص:62.
03	**أحمد بن محمد بن عبد الرحمان بن جلال (أخ المدعو حمّ).**	الفقيه	1014هـ/ 1605م	تلمسان	فاس	المصدر نفسه، ص:74.

(1) اعتمدت في تحديد اللقب العلمي أو الوصفي للحالات، حسب ما جاء في تراجمهم من تحلية العلماء بما يوافق تخصصهم.

(2) اعتمدت في توطين الحالات على كنيتهم الجغرافية وفي وجتهم على ما ذكرته المصادر أو اعتمادا على توليهم لمناصب دينية وخاصة الخطابة والقضاء في المدن التي ذُكرت.

(3) تركت باقي المعلومات البيبليوغرافية للمصادر التي استعملتها لأول مرة إلى ثبت المصادر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلا

04	**أبو عبد الله محمد بن عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن جلال، المكنى بـــ: حمّ.**	خطيب+إمام + فقيه	1015هـ/ 1606م	تلمسان	فاس	عبد الله بن محمد الفاسي، المصدر السابق ، ص:78.
05	**محمد بن أحمد المرى الشريف التلمساني.**	فقيه+مفتي مدرس	1018هـ/ 1609م	تلمسان	فاس + مراكش	محمد بن أحمد الحضيكي، المصدر السابق،ج2، ص: 346.
06	**يحي بن عبد الرحمان التلمساني المكنى بـــ: بن صفية.**	الولي	1019هـ/ 1610م	تلمسان	فاس+ميسور (بلاد ملوية)	قويدر قيداري، **بستان الأزهار في سيرة يحي بن صفية وسيرة أولا نهار**، ص:104-105.
07	**أبو البركات بن يحي التلمساني.**	الولي+البركة+ مشارك	1022هـ/ 1613م	تلمسان	فاس	محمد بن الطيب القادري، المصدر السابق،ج3، ص: 1201.
08	**محمد بن أحمد بن تافياطت التلمساني.**	الأستاذ	1052هـ/ 1642م	تلمسان	إيليغ	الرسموكي، **وفيات الرسموكي**، ص:45.
09	**علي بن محمد الشريف التلمساني.**	خطيب + قاضي + مفتي	1053هـ/ 1643م	تلمسان	تارودانت	عبد الله بن محمد الفاسي، المصدر السابق، ص:152.
10	**عبد الرحمان بن محمد بن أحمد بن الوقاد التلمساني.**	إمام + خطيب + مدرس	1057هـ/ 1647م	تلمسان	تارودانت	عبد الرحمان التمنارتي،المصدر السابق، ص:137-139.
11	**سعيد بن عبد الله المنداسي التلمساني.**	أديب + شاعر	1087هـ/ 1677م	منداس (غليزان)	سجلماسة	أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق،ج7، ص: 31.

12	**أحمد بن عبد الرحمن بن جلال.**	الإمام + الفقيه + الخطيب	1079هـ/ 1668م	تلمسان	فاس	عبد الله بن محمد الفاسي ، المصدر السابق، ص:222.
13	**أبو الفرج عبد السلام بن عبد الرحمان بن جلال.**	قاضي	1089هـ/ 1678م	تلمسان	فاس	المصدر نفسه، ص:250.
14	**أبو عبد الله محمد الخياط بن أحمد بن جلال.**	فقيه	1089هـ/ 1678م	تلمسان	فاس	المصدر نفسه، ص:251.
15	**أحمد بن حمدان التلمساني.**	فقيه+الأستاذ+ المدرس	1092هـ/ 1668م	تلمسان	فاس	المصدر نفسه، ص:298.
16	**محمد بن عبد الكريم الجزائري**	فقيه+ أديب	1102هـ/ 1690م	الجزائر	فاس (حلّ بها سنة 1083هـ/1672م)	محمد بن الطيب القادري، المصدر السابق،ج5، ص: 1800.
17	**أبو عبد الله محمد بن أحمد القسنطيني، المدعو: الكماد**	إمام + مدرس	1116هـ/ 1704	قسنطينة	تطوان + فاس	الإفراني، صفوة من انتشر، ص ص:359-360
18	**محمد الصغير المستغانمي**[1]	مدرس	كان حيا خلال القرن 11هـ/17م	مستغانم	فاس	المصدر نفسه، ص: 243.

(1) لم أهتد إلى تاريخ وفاته، لكن من خلال ترجمة تلميذه أبو عبد الله محمد بن يوسف التاملي السوسي (ت1048هـ/1638م) فهو من أهل القرن 11هـ/17م.

لقد اقتصرت اللائحة على نماذج من أهل العلم والدين الذين مثلوا الفترة الزمنية لهذا البحث "ق11هـ/17م"، ومنه فظاهرة الهجرة تُعد هامة، إذا ما عززها الاستقراء المنهجي لكتب التراجم.

إن المسح الذي قمت به لمجموعة من كتب التراجم، أفرز خريطة جغرافية لشبكة من التنقلات، حيث تؤكد أن أهل العلم والدين الجزائريين الذين هاجروا أو هاجرت أُسرهم في القرن 10هـ/16م نحو المغرب الأقصى كلهم ينتمون إلى حواضر الشمال، وأن أغلب الحالات من حاضرة "تلمسان" بالمقابل أظهرت لنا دور مدينة "فاس"، كمدينة استقطاب للنخب العلمية والدينية وذلك بمجموع ثلاثة عشر حالة من أصل ثمانية عشر حالة المدروسة، بالإضافة إلى بعض الحواضر على غرار حاضرتي"تارودانت" و"مراكش"، كذلك يتأكد لنا أن المغرب الأقصى استفاد كثيرا من الوضع المضطرب الذي عرفته الجزائر وبالخصوص حاضرة تلمسان[1]، وهذا يعزز رأى الباحث "محمد حجي" من أن فاس قد استفادت من هؤلاء العلماء –المهاجرون- وخاصة بعد الهجرة الكبرى من تلمسان عام 961هـ/1554م، نهاية الحكم الزياني وانتصاب العثماني فيها[2] وهذا ما انعكس إيجابا على الحركة الفكرية بالمغرب الأقصى، وسلبا على الجزائر، ومنه فالفتن والاضطرابات هي عنصر طارد للنخب الدينية والعلمية.

كما تبين اللائحة أيضا التوزيع الجهوي اللامتكافئ من خلال هجرة أهل العلم والدين فكان ارتباط الغرب الجزائري أكثر بالمغرب الأقصى، وذلك بستة عشر حالة من أصل ثمانية عشر حالة مدروسة، كما تبرُز كل من حاضرتي "قسنطينة" و"الجزائر" بحالة واحدة لكل منهما، وإذا ما استثنينا دوافع هجرة أعلام الغرب الجزائري، فإن هجرة كل من "أبو عبد الله محمد بن أحمد القسنطيني "الكماد"، و"محمد بن عبد الكريم الجزائري" كانت لها دوافع علمية، وخاصة أن كل من قسنطينة والجزائر عرفتا استقرارا مقارنة بتلمسان ووهران.

(1) ينظر: المبحث الأول الموسوم بـ: الفتن والاضطرابات، من الفصل الأول.

(2) محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين،ج2،ص: 355.

ومن خلال قراءة ألقاب الحالات، يظهر لنا ذلك التوارث العلمي للعائلات التلمسانية التي هاجرت في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، وذلك يرجع إلى أن تلمسان عرفت نشاطا علميا معتبرا، وهي ظاهرة تاريخية بدأت سماتها في التبلور منذ نهاية القرن 7هـ/13م[1] و من أبرز الأُسر نجد أُسرة "ابن جلال" التي توارثت العلم فبرز منها الفقهاء والخطباء والقضاة حيث تعتبر إحدى حلقات التفاعل الديني والثقافي بالمغرب الأقصى، بالإضافة إلى أُسر أخرى لا تقل أهميتها العلمية والدينية عن أُسرة ابن جلال مثل أُسر كل من"الونشريسي" و"ابن الوقاد" ، الذين حملوا لواء العلم وتصدروا مجالسه في المغرب الأقصى وأفادوا واستفادوا.

تُبرز الخريطة الدينية والعلمية للائحة السَمة الغالبة للعصر "الفقه والتصوف"، وهذا تأكيد لما درس سابقا[2]، كما يُستفاد أيضا أن الأعلام الذين هاجروا واستقروا قد تولوا مناصب عليا رسمية كالفتوى والقضاء والخطابة والتدريس، وهذا ما يُفسَر موقف حكام المغرب الأقصى من استمالة أعلام الجزائر ومدى المكانة التي حظي بها هؤلاء، بالإضافة إلى مدى تفوق المدرسة الجزائرية العلمية وبالخصوص المدرسة التلمسانية، كما يتأكد أيضا أن **الهجرة** هي أحد أهم قنوات التفاعل الثقافي.

وفي استقراء المجال الزمني للائحة، نخلص إلى أن هجرة أهل الدين والعلم الجزائريين لم تنقطع خلال القرن الحادي عشر هجري/ السابع عشر ميلادي بل تواصلت وخاصة إلى فاس بالرغم من تراجع مكانتها لصالح مراكش[3].

---

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1،ص: 274.

(2) ينظر: المطلب الثالث الموسوم بـــ:السمات الثقافية، من المدخل.

(3) تطرقت في الفصل الأول إلى الفتن والاضطرابات التي عرفها المغرب الأقصى خلال القرن 11هـــ/17م، والتي أثرت على فاس، وخاصة بعد موت السلطان "أحمد المنصورالذهبي" وانقسام مملكته بين أبنائه.

1-3/ هجرة واستقرار أهل العلم والدين المغاربة في الجزائر:

من الصعب تحديد كل الأعلام المغاربة الذين هاجروا واستقروا بالجزائر خلال القرن11هـ/17م، ولعل ذلك يرجع إلى قلة كتب التراجم الجزائرية[1] مقارنة مع ما كتبه المغاربة في هذا المجال، و فيما يخص دوافع هجرتهم فقد بيناها سابقا وهي لا تختلف كثيرا عن هجرة أقرانهم من الأعلام الجزائريين، كما أن الجزائر تعتبر ممرا للحجاج المغاربة وكثيرا ما كانوا يرغبون في الإقامة بها وطلب الوظيفة والحظوة لدي باشوات الجزائر[2]، ومنه سأركز بالدراسة على هذه الفئة بنفس الطريقة التي عالجت بها الجدول الخاص بهجرة أعلام الجزائر نحو المغرب الأقصى والتعليق على معطياته، ثم إجراء المقارنة بين معطيات الجدولين(3)و(4)، ومنه فالدراسة سيوضحها الجدول التالي:

(1) من أبرز كتب التراجم الجزائرية المؤلفة في القرن11هـ/17م نجد: كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء في تلمسان لابن مريم وهو يترجم لأعلام تلمسان وخاصة في الفترة الوسيطة، أما الكتاب الثاني فهو: منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية لعبد الكريم الفكون، ويعد من أهم المصادر التي تترجم لأعلام المغرب الأقصى بالجزائر وقسنطينة خاصة.

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص:441.

الجدول رقم (4): نماذج لحالات هجرة واستقرار أهل العلم والدين المغاربة في الجزائر.

رقم الحالة	اسم الحالة	اللقب العلمي أو الوصفي	وفاته	موطنه الأصلي	وجهته داخل الجزائر	مصادر ترجمته
01	**أبو عبد الله محمد السوسي الفاسي**	فقيه+مقرئ مدرس[1]	1023هـ/ 1614م	سوس	قسنطينة (حلّ بها سنة 1023هـ/1614م) الجزائر	عبد الكريم الفكون، المصدر السابق،ص ص:72-73. عبد الله بن محمد الفاسي، المصدر السابق، ص:116.
02	**أبو عبد الله محمد بن مزيان التواتي الراشدي**	فقيه + أستاذ نحوي	1031هـ/ 1621م	الراشدية	زواوة + نقاوس + قسنطينة	عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص:57-58. محمد بن سعيد المرغيتي، **فهرسة العوائد المزرية بالموائد**،ج2، ص: 562.
03	**أبو عبد الله محمد الفاسي**[2]	مدرس	ق11هـ/17م	فاس	قسنطينة	عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص:61.
04	**علي بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الله الأنصاري**	فقيه + مدرس	1057هـ/ 1647م	تافيلالت	الجزائر	محمد أمين المحبي، **خلاصة الأثر**،ج3، ص ص: 173-174.
05	**أحمد بن أحمد بن أبي عبد الله محمد الحاج الدلائي**	الأديب+ البليغ	1091هـ/ 1680م	الدلاء	تلمسان، الجزائر	محمد بن الطيب القادري، المصدر السابق،ج4 ص ص: 1646-1652.

(1) ذكره الفكون بأنه أتى قسنطينة قصد القراءة، ومعه أهله.

(2) لم أهتد إلى تاريخ وفاته، لكن من خلال ترجمة الفكون له: «**وممن قرأنا عليه[...]**»، فهو من أهل القرن 11هـ/17م، عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص:61.

إن القراءة الأولى للخريطة الجغرافية الخاصة بهجرة واستقرار أهل العلم والدين المغاربة في الجزائر، تبرز ظاهرة هامة تخص استقطاب حاضرة "قسنطينة" للهجرة العلمية المغربية، وذلك بالرغم من وجود حاضرة "تلمسان" القريبة جغرافيا من المغرب الأقصى، وهذا ما يعزز أيضا أن الأوضاع الأمنية والفتن مازالت تعصف بتلمسان، كما أن شهرة المجالس العلمية بقسنطينة كان لها الأثر البارز في استقطابهم واستقرارهم بالمنطقة أيضا، كذلك نلاحظ بروز بعض المراكز الثقافية القروية مثل"زواوة"و"نقاوس" التي كانت مدارس لطلاب العلم في النحو.

أما بخصوص الحالة الوحيدة المهاجرة إلى تلمسان فهي كانت بدافع اضطراري بعد أزمة الزاوية الدلائية و تغريب" أحمد بن أحمد بن أبي عبد الله محمد الحاج الدلائي" رفقة أهله إلى تلمسان[1].

أما حاضرة "الجزائر" فقد استقطبت حالة واحدة من مجموع خمس حالات للهجرة المغربية وهي للفقيه "علي بن عبد الواحد بن محمد الأنصاري"، والذي استطاع أن يكوّن أحد أبرز مجالس الدرس والعلم بها، ويكون بذلك أحد أهم حلقات التفاعل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى،كما نلاحظ أيضا ارتباط جنوب المغرب الأقصى"تافيلالت"، "سوس"، "الراشدية" بالجزائر وهو توزيع جهوي لامتكافئ، كما يفسّر اكتفاء أعلام الشمال بحاضرة "فاس" التي تكفيهم عناء الهجرة العلمية.

ومن خلال قراءة الخريطة الدينية تتعزز أيضا الفكرة الخاصة بسَمة العصر – سيادة الفقه– ومن خلال تتبع هذه النماذج نجد أن "أبو عبد الله محمد التواتي الراشدي" قد اشتهرت مجالس درسه بقسنطينة[2]، أما الباقي فكانوا من ذوي المستوى المتواضع حسب تعبير "الفكون"، و لم نلحظ أي أحد منهم تولى خططا رسمية كالقضاء أو الفتوى أو الخطابة، عدا "علي بن عبد الواحد بن محمد الأنصاري" الذي كان مقربا من حكام الجزائر لكنه لم يتقلد أي وظيفة منها[3].

كما لم نلاحظ أي توارث علمي لدى الحالات المدروسة عن عائلاتهم، وهذا ما يُفسَر أن

---

(1) محمد بن الطيب القادري، المصدر السابق،ج4،ص ص: 1646-1652.

(2) عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص ص: 57-58.

(3)أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1،ص:412. يعلق الباحث"عمار بن خروف" حول عدم تولي الأعلام المغاربة لمناصب رسمية، كون أن العثمانيين لم يؤثروهم بها عدا وظيفة التدريس، عمار بن خروف، **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب الأقصى في القرن10هـ/16م**، دط، دار الأمل للطباعة والنشر، 2008، ج2، ص:165.

الهجرة كانت فردية–عدا هجرة" أبو عبد الله محمد السوسي الفاسي"– و لم تكن هجرات عائلية مثل ماحدث مع أهالي تلمسان.

وفي استقراء للمجال الزمني للائحة ورغم قلة الحالات المدروسة، فقد عرفت الهجرة المغربية تواصلا من بداية القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي إلى نهايته و لم تنقطع، وبذلك تكون **هجرة** أعلام المغرب الأقصى إلى الجزائر لها الأثر البارز في تفعيل وإثراء الجانب العلمي والثقافي بها.

وبالمقارنة بين الحالات المدروسة في الجدولين نخلص إلى مجموعة من النتائج:

* مكانة كل من حاضرتي "فاس" و"قسنطينة" في استقطاب الهجرة العلمية و الدينية حيث مثلتا أحد أبرزحواضر التفاعل الثقافي بين البلدين في القرن 11هـ/17م.

* قلّة حالات هجرة أعلام المغرب الأقصى إلى الجزائر، ويرجع ذلك إلى وجود أهم الحواضر العلمية في المغرب الأقصى (فاس، تارودانت، مراكش) ومجالسهم العلمية الرائدة.

* وجود شبكة علمية ربطت حواضر البلدين ووحدتهما ثقافيا بفضل النخب من أهل العلم والدين، بالرغم من الخلافات السياسية بين النظامين في الجزائر والمغرب الأقصى.

* تفوق المدرسة الفقهية الجزائرية –التلمسانية– في المغرب الأقصى والتي أثرت في الوسط الثقافي به،كما أنها تعتبر الحلقة المهمة في التفاعل الثقافي بين البلدين خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين/السادس عشر والسابع عشر الميلاديين.

* ارتباط أعلام الغرب الجزائري –تلمسان– ثقافيا بالمغرب الأقصى مقارنة مع أقرانهم في المناطق الأخرى، وهذا يرجع إلى القرب الجغرافي، وعدم استقرار المنطقة–الاحتلال الاسباني لوهران– هذا دفع بهم إلى التوجه نحو المغرب الأقصى.

ولإبراز أهمية **الهجرة** كإحدى أبرز قنوات التفاعل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى، قمت بانجاز خريطة لشبكة الهجرة المعاكسة لأعلام البلدين خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، وذلك اعتمادا على المعطيات الواردة في الجدولين(3)و(4)، وهو ما ستوضحه الخريطة التالية:

خريطة رقم (1)

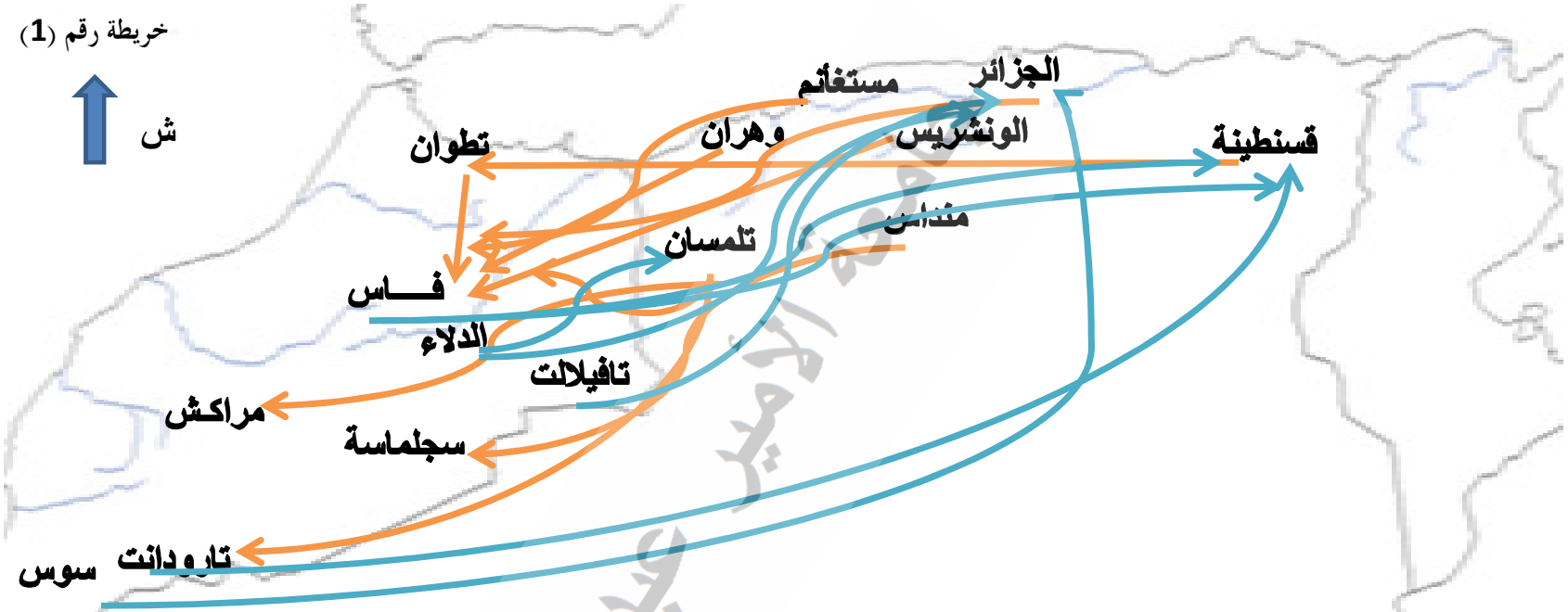

الهجرة المعاكسة لأعلام الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن ١١هـ/١٧م

المقياس: ١ سم/١٠٠كلم

المفتاح

هجرة أعلام الجزائر نحو المغرب الأقصى

هجرة أعلام المغرب الأقصى نحو الجزائر

الخريطة من إنجاز الطالب.

2/ الرحلـــــــة:

انطلاقا من أهمية الحراك والتنقل في التاريخ الحديث، وأهمية الرحلة في تعميق الثقافة وذلك لأنها من روافد المعرفة، فقد عرفت كل من الجزائر والمغرب الأقصى وفادات علمية معاكسة لأهل العلم والدين، خاصة في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي.

2-1/ مفهوم الرحلة:

الرحلة لغة: الرحل: مركب للبعير والناقة، وجمعه أرحل ورحال، يقال: رحل الرجل اذا صار، وقوم رحل أي يرتحلون كثيرا، والرحلة اسم للارتحال والمسير[1]، و ارتحال البعير أي سار ومضى، ثم جرى المنطق حتى يقال:«**ارتحل القوم والرّحيل: اسم الارتحال للمسير**»[2]، و«**رَحَلَ**» عن المكان، رَحْلاً ورَحِيلاً، وترْحَالاً، ورِحْلَةً، سار ومضى «**الرّحلة**»: الارتحال[3].

أما الرحلة اصطلاحا: مصطلح أدبي جغرافي، يُقصد به غالبا ذلك الصنف التأليفي الذي يختص بتتبع الراحل للحظات تنقله بذكرياته أثناء الرحلة في وصف الطرق والمجتمعات التي تواصل معها، وما لحظه من وقائع وأحداث، مع عرض أنشطته المختلفة الخاصة في حال تدوين وتسجيل الرحلة[4]، ومنه فالرحلة تفيد الانتقال من مكان إلى مكان آخر، أو تعني لونا أدبيا يقوم على علاقة زمنية و مكانية.

أماالرحلة في القرآن الكريم: فقد وردت كلمة "رحلة" في القرآن الكريم في سورة قريش بعد قوله تعالى: ﴿ **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ**﴾[5]، لتدل على ما ألفته قريش على الرحلة في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام، وعلى نعمة الله على أهل قريش[6]، أما في **السيرة النبوية:** فقد ارتبط لفظ "الرحلة" بالسعي في طلب العلم، كما جاء في قوله صلى الله عليه

---

(1) جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، المصدر السابق، ج6، ص ص:121-123.

(2) االخليل بن أحمد لفراهيدي، **كتاب العين**، تر وتح: عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003،ج2 ص: 106.

(3) مجمع اللغة العربية، المرجع السابق، ص ص:258-259.

(4) عبد الله المرابط الترغي ، **السفر في العالم العربي الإسلامي**، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 2003، ص:16.

(5) سورة قريش: الآية: 1و2.

(6) ابن كثير، الموقع الالكتروني: **Ar.Wikisource.org**: يوم 2013/12/25. على الساعة: 21:13سا.

وسلم: «**من سلك طريقا يلتمس فيه علما، سهل الله له به طريقا إلى الجنة**»[1]، ومنه فالرحلة إلى العلماء، والتقاء الطلاب بعضهم بعضا طريق عظيم في تثقيف العقول.

2-2/ رحلة أهل العلم والدين الجزائريين إلى المغرب الأقصى:

إن رغبة أهل العلم والدين في طلب العلم كانت ظاهرة عامة في المجتمع الإسلامي، حيث كانوا يتنقلون ويشدَون الرحال من أجل الاستزادة في العلوم الدينية، وترجع أهمية الرحلة في طلب العلم إلى عهد السيرة النبوية، فقد حث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على طلب العلم ولو في الصين، وهذا يدل على طلبه ولو في أقاصي البلدان، وقد كتب ابن خلدون في"المقدمة" في هذا المعنى بقوله: «**أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم، والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلونه من المذاهب والفضائل: تارة علما وتعليما وإلقاء وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة[...]،فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ، يفيده تمييز الاصطلاحات[...]، فالرحلة في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ**»[2]، وعلى الرغم من الاختلافات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن 11هـ/17م، إلا أن ذلك لم يحل دون تنقل هذه الفئة بحرية، ومنه سأركز بالدراسة على حصر نماذج حالات رحلات علمية إلى المغرب الأقصى، بواسطة انجاز جدول و اعتمادا على ما جادت به كتب التراجم وذلك بمعرفة الموطن الأصلي للرحالة ووجهته داخل المغرب الأقصى ثم التعليق على معطياته، وهذا ما سيوضحه الجدول التالي:

(1) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، **صحيح مسلم بشرح النووي**، شر: يحي بن شرف النووي، ط1، مصر، المطبعة المصرية بالأزهر،1930،ج17،ص:21.

(2) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، **مقدمة ابن خلدون**،تح:درويش الجويدي،ط2، صيدا(بيروت)، المكتبة العصرية،2000،ص ص:539-540.

الجدول رقم (5): نماذج لحالات رحلة أهل العلم والدين الجزائريين إلى المغرب الأقصى.

رقم الحالة	اسم الحالة	اللقب العلمي أو الوصفي	وفاته	موطنه الأصلي	وجهته داخل المغرب الأقصى	مصادر ترجمته
01	**أبو عثمان سعيد المقري التلمساني**	مفتي+ علامة فقيه+ إمام	1010هـ/ 1601م	تلمسان	فاس	محمد بن الطيب القادري، المصدر السابق،ج3، ص: 1110
02	**أبو العباس أحمد المقري التلمساني**	حافظ +إمام أديب+ فقيه	1041هـ/ 1631م	تلمسان	فاس+ مراكش	المصدر نفسه، ص ص: 1295-1296
03	**أبو عبد الله محمد بن يحي الشريف العالم الجزائري المدعو: المذبوحي**	فقيه +متكلم +مدرس	1094هـ/ 1683م	الجزائر	تطوان + فاس	عبد الله بن محمد الفاسي، المصدر السابق، ص:303
04	**أحمد الداودي التلمساني الحجازي**	فقيه+ علامة +البحر+الحبر	القرن11هـ/ 17م	تلمسان	فاس (حلّ بها سنة 1070هـ 1659م)	المصدر نفسه، ص:249
05	**أبو عبد الله محمد المري التلمساني**	حافظ+ مشارك	ولد بعد 950هـ/ 1543م	تلمسان	فاس	أحمد بن محمد المكناسي، **درة الحجال في معرفة أسماء الرجال**،ج2، ص: 238.
06	**محمد الشريف القسنطيني**	الطالب	القرن 11هـ/ 17م	قسنطينة	تارودانت (حل بها بعد سنة 1000هـ/1592م)	عبد الرحمان التمنارتي، المصدر السابق ص:291.

تفيد القراءة الأولى لنماذج حالات رحلة أهل العلم والدين الجزائريين إلى المغرب الأقصى من حيث الخريطة الجغرافية، استقطاب مدينة "فاس" للرحلة العلمية الجزائرية وخاصة التلمسانية منها، مع بروز بعض حواضر الشمال مثل"تطوان"، وهذا ما يعزز أهمية الرحلة كأحد أوجه قنوات التفاعل الثقافي الجزائري المغربي- التلمساني الفاسي-.

ومن خلال استقراء الخريطة الدينية نلاحظ أن معظم الحالات المدروسة هم من ذوي المكانة العلمية العالية"فقهاء"، "أدباء"، "مدرسين"، كما تبرز ظاهرة مهمة وهي رحلة أعلام كبار إلى فاس مثل "أبو عثمان سعيد المقري"، مفتي تلمسان، كما أن كل من"أبو العباس أحمد المقري" و"أحمد الداودي التلمساني" سلكوا وجهة أخرى بعد رحلتهم إلى المغرب الأقصى نحو المشرق الإسلامي، فالأول توجه نحو مصر، والثاني جاور الحرمين بالحجاز.

كما احتوت اللائحة سبع حالات للرحلة العلمية، وفي حدود علمي وما كشفته قراءة كتب التراجم، فإنّ أبو العباس أحمد المقري هو الوحيد الذي دوّن رحلته العلمية داخل المغرب الأقصى[1]،كما عرفت اللائحة وجود حالة واحدة لطالب علم وهي من قسنطينة، وهذا في رأي يعزّز من مكانة ودور قسنطينة في التبادل الثقافي مع فاس خاصة والمغرب الأقصى عموما.

أما فيما يخص قلة الرحلات العلمية إلى المغرب الأقصى، فحسب رأي يرجع إلى عاملين اثنين هما:

* تعلق الجزائريين بالمشرق العربي وخاصة مصر و المجاورة بالحرمين[2].

* تُعتبر الجزائر ممرا للركب الحجازي المغربي، وبالتالي يسهُل على طلاب العلم التقاء العلماء والحج معهم، وهذا ما يغني الرحلة إليهم.

(1) دوّن أبو العباس أحمد المقري، رحلته الموسومة بـــ" روضة الآس العاطر الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس ، وهي مطبوعة، من تحقيق: عبد الوهاب بن منصور.

(2) مثل ما ذكره الفكون حول تعلقه بالهجرة إلى الحجاز، ينظر: عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص:201.

2-3/ رحلة أهل العلم والدين المغاربة إلى الجزائر:

لم تختلف دوافع رحلة أعلام المغرب الأقصى في طلب العلم عن أقرانهم الجزائريين كثيرا إلا أنه يمكن إضافة الغرض "الديني" والذي تمثل في أداء فريضة الحج، وبذلك عُرفت رحلاتهم بالطابع العلمي والديني أي الرحلة"الحجازية و العلمية"، وقد حرص هؤلاء الرحالة على التوقف بالجزائر في العديد من المحطات خلال مدة الرحلة ذهابا وإيابا، وكما تمتع الرحالة الجزائريون بحرية التنقل في المغرب الأقصى فقد وجد المغاربة نفس الحرية وهم يتنقلون جماعيا في الركب الحجازي أو تنقلا فرديا داخل حواضر الجزائر، ولتبيان شبكة تنقلات هذه الفئة داخل الجزائر، أنجزت جدولا حصرت فيه نماذج لحالات رحلية وذلك من خلال رصد موطنها الأصلي، ووجهتها داخل الجزائر، مع إضافة نوع الرحلة وذلك لتمييز العلمية من الحجازية أو الدبلوماسية، ثم إجراء قراءة والتعليق على معطياته، ثم عقد المقارنة بين معطيات الجدولين(5)و(6)، ومنه فالدراسة سيوضحها الجدول التالي:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الجدول رقم (6): نماذج لحالات رحلة أهل العلم والدين المغاربة إلى الجزائر.

رقم الحالة	اسم الحالة	اللقب العلمي أو الوصفي	وفاته	موطنه الأصلي	وجهته داخل الجزائر	نوع رحلته	مصادر ترجمته
01	**أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن القاضي السجلماسي العباسي الفلالي المدعو: أبو محلّي.**	متصوف+ فقيه	1022هـ/ 1613م	تافيلالت	الساورة+ بسكرة +الأغواط	حجازية + علمية	أحمد بن عبد الله بن أبي محلّي، **الإصليت الخريت**،ص:100.
02	**أحمد الفاسي.**	كاتب + شاعر مدرس	ق11هـ 17م	فاس	قسنطينة	علمية	عبد الكريم الفكون،المصدر السابق،ص ص:97-102.
03	**علي خنجل.**	يدّعى القطبانية	القرن 11هـ 17م	فاس أو مراكش	عنابة	حجازية	المصدر نفسه، ص:166
04	**أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي.**	الرحالة+ الأديب+ الحافظ+ الإمام	1090هـ/ 1679م	آيت عياش (مكناس)	بوسمغون+ عين ماضي القليعة+بسكرة+أولاد جلال+ سيدي خالد+ ورقلة، تقرت+ وادي سوف	حجازية	محمد الصغير الإفراني،صفوة من انتشر،ص ص:325-330.

05	**محمد بن محمد بن سليمان الروداني.**	فقيه+ محدث +عالم	1094هـ/ 1683م	تارودانت	الجزائر	حجازية	محمد أمين المحبي ، المصدر السابق،ج4،ص: 204. عبد الله بن محمد الفاسي،المصدر السابق ص:304.
06	**أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى آدم الشريف الكفيف.**	فقيه+ حافظ+ أستاذ	1094هـ/ 1683م	سلا	الجزائر	علمية	المصدر نفسه، ص:302.
07	**أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الهشتوكي.**	فقيه+ مشارك+ قاضي	1098هـ/ 1687م	مراكش	تلمسان	علمية	المصدر نفسه، ص:312. محمد الصغير الإفراني،صفوة من انتشر، ص: 339.
08	**عبد الله بن محمد بن عبد الله الرجراجي المراكشي.**	الفقيه+الرحالة	ق11هـ/17م	مراكش	قسنطينة	علمية	أبو عبد الله محمد المرغيتي، المصدر السابق،ج1 ص ص:205-206
09	**عبد الواحد بن محمد أبو عنان.**	الفقيه+العالم+ مدرس+ المفتي	1106هـ/ 1694م	فاس	الجزائر	سفارية دبلوماسية	محمد الطيب القادري،المصدر السابق،ج5 ص: 1831.
10	**محمد بن قاسم بن محمد الفاسي المكنى بـ: ابن زاكور**	الأديب+الرحالة	1120هـ/ 1708م	تطوان	الجزائر (حلّ بها سنة 1094هـ/1682م)	علمية	محمد بن قاسم ابن زاكور، المصدر السابق ص:40.
11	**أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي المكنى بـ: الخليفة.**	صالح+ عالم+ناصح+	1128هـ/ 1716	تامكروت (درعة)	القنادسة (بشار)+ بوسمغون عين ماضي+ بسكرة	حجازية	محمدالصغيرالإفراني،صفوةمن انتشر،ص ص:355-366.

قبل التعليق على نماذج الحالات المدونة في الجدول، لابد من التنويه أنه من الصعوبة عمل مسح شامل للرحلات الحجازية المغربية خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع العشر الميلادي وتبيان من توقفوا بالجزائر لطلب العلم، لذا فقد اعتمدت على كتب التراجم والفهارس لحصر نماذج الحالات المدروسة.

من خلال القراءة الأولية للخريطة الدينية للجدول، نلاحظ تعدد التخصصات الدينية للرحالة فنجد "الفقهاء" و"القضاة" و"الأئمة" و"المدرسين"...الخ، وهذا ما يُفسَر عدم اقتصار الرحلة العلمية إلى لجزائر على الطلبة فقط، وأن كثيرا منهم قد أصبحوا "طلبة للعلم" في الجزائر وهذا يرجع إلى تواضع العلماء.

ومن خلال استقراء الخريطة الجغرافية للجدول نلاحظ استقطاب حاضرة "الجزائر" للرحلة العلمية المغربية، وخاصة في ظل وجود حلقة[1] درس العلامة "أبو عثمان سعيد قدورة[2]"، بالإضافة إلى حاضرة "قسنطينة" بحالتين أبرزها للرحالة"عبد الله بن محمد بن عبد الله الرجراجي المراكشي" الذي لقي الشيخ"عبد الكريم الفكون" وأطلعه مجموعة من تآليفه، كما تستقطب المناطق الجنوبية من الجزائر وخاصة الجنوب الشرقي"سيدي خالد"، أولاد جلال"، "بسكرة" الرحلة الحجازية باعتبارها محطات توقف رئيسية للركب الحجازي المغربي، بالإضافة إلى توفرها على العديد من المزارات الدينية على غرار قبر"النبي خالد بن سنان"[3]، كما يظهر التوزيع الجغرافي المتكافئ لانطلاق الرحلة المغربية بالنسبة لحواضر الشمال "تطوان"، "سلا"، ، "فاس" "آيت عياش" وحواضر الجنوب " تافيلالت" "تارودانت"، " تامكروت"، "مراكش" ، وهذا يرجع إلى تعدد الأركاب الحجازية "الفاسي" "المراكشي"، "السجلماسي" والتي تخترق المجال الجغرافي الجزائري أفقيا في الشمال والوسط والجنوب.

كما يُلاحظ تنوع الرحلات بين "الحجازية" و "العلمية"، وذلك يرجع إلى أن الجزائر كانت ممرا لركب الحاج المغربي نحو الحجاز، واشتهار مجالس درسها ، ونلاحظ أيضا ورود حالة واحدة لـــ"عبد الواحد أبو عنان" على شكل رحلة دبلوماسية صرحت كتب التراجم أنها كانت

---

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص ص:367-368.

(2) تونسي الأصل، استقر بحاضرة الجزائر وولي بها الفتوى، أخذ عن سعيد المقري والفقيه إبراهيم الهشتوكي، توفي سنة1066هـ/1655م، محمد الصغير الإفراني، صفوة من انتشر، ص: 220.

(3) أبوسالم العياشي، الرحلة العياشية،ج2،ص ص:542-543.

في عهد حكم "المولى إسماعيل"، وأنه قد التقى بمشايخ الجزائر.

ومن خلال الخريطة الزمنية للجدول(6) نلاحظ أن الرحلة المغربية إلى الجزائر خلال القرن11هـ/17م، لم تنقطع، بل تواصلت بتواصل اختراق ركب الحاج المغربي للمجال الجغرافي للجزائر، وهو ما يُبرز أثره في تشجيع النشاط الثقافي للرحالة.

وبالمقارنة بين الحالات المدروسة في الجدولين(5)و(6) نخلص إلى مجموع من النتائج:

* التأكيد أيضا على دور حواضر"قسنطينة" و"الجزائر" و"فاس" ، كمدن استقطاب للرحلة العلمية والحجازية.

* ساعدت الرحلة في نسج شبكة علمية ودينية بين البلدين، والتي بدورها زادت من تفعيل التبادل الثقافي .

* كثرة الرحلات العلمية المغربية نحو الجزائر مقارنة بالرحلات العلمية الجزائرية نحو المغرب الأقصى، مستفيدة من ركب الحاج المغربي، والذي أثر ايجابا على الحركة الفكرية في الجزائر.

* بروز المراكز[1] الثقافية الصحراوية "توات"، "عين ماضي"، "بسكرة"، "سيدي خالد" "بوسمغون" كمحطات رئيسية لركب الحاج المغربي، وذلك يرجع لكثرة الزوايا والأضرحة والمقامات الصوفية بها، حيث عرفت هي الأخرى تفاعلا دينيا وعلميا مع الرحالة[2] الذين مروا بها.

وحرصا مني على تبيان أهمية الرحلة كإحدى أبرز قنوات التفاعل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى، قمت بانجاز خريطة لشبكة الرحلة المعاكسة لأعلام البلدين خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، وذلك اعتمادا على المعطيات الواردة في الجدولين(5)و(6)، وهو ما ستوضحه الخريطة التالية:

(1) عمار بن خروف، المرجع السابق، ص: 163.

(2) ترد العديد من الإشارات الدالة على نشاط الرحالة الثقافي بهذه المناطق في كل من رحلتي: العياشي" **ماء الموائد**" و الناصري"**الرحلة الناصرية**".

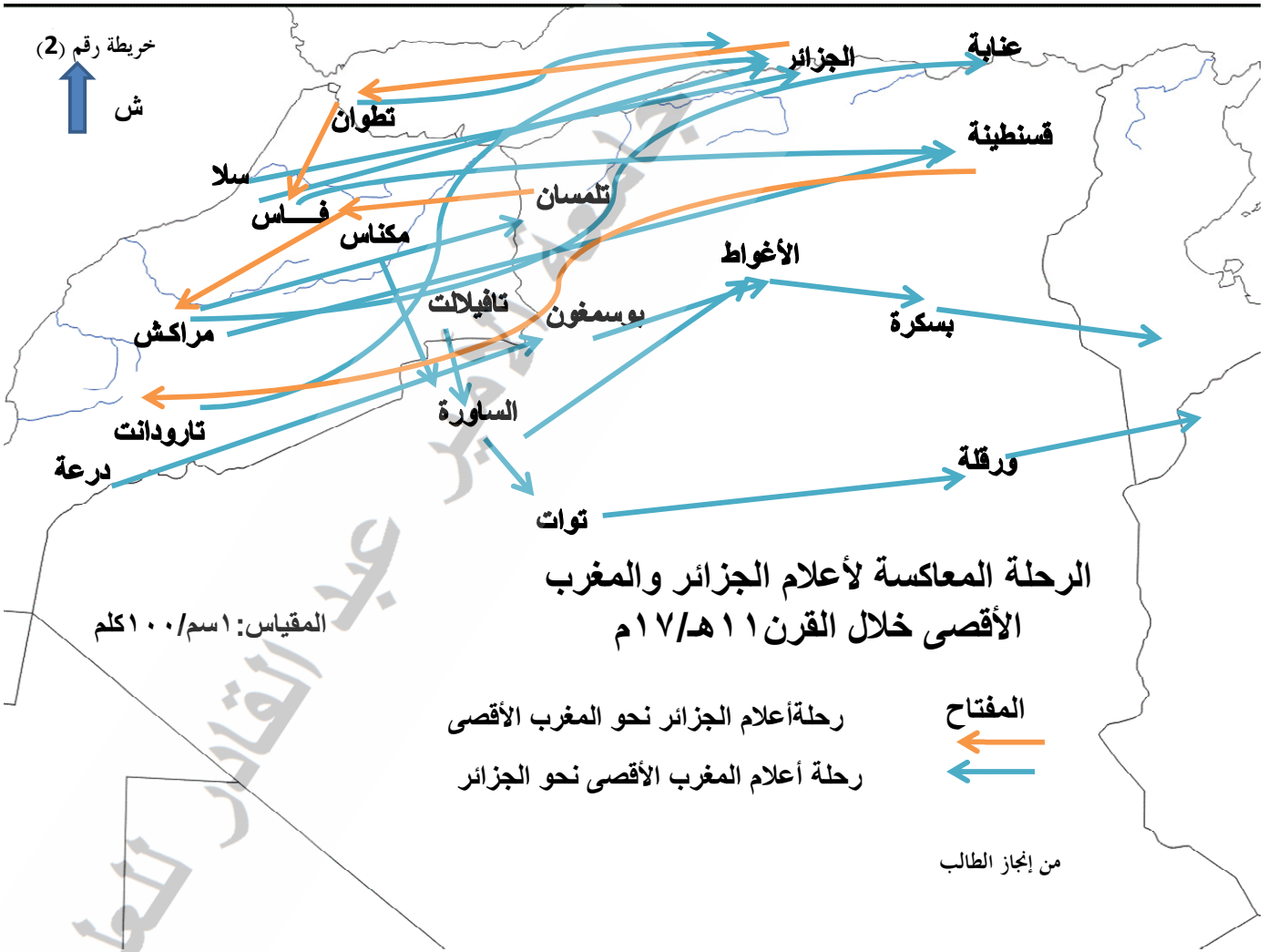
خريطة رقم (2)
ش
الجزائر
عنابة
قسنطينة
تطوان
سلا
فـــاس
مكناس
تلمسان
الأغواط
بسكرة
تافيلالت
بوسمغون
مراكش
الساورة
تارودانت
درعة
ورقلة
توات
الرحلة المعاكسة لأعلام الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن ١١هـ/١٧م
المقياس: ١سم/١٠٠كلم
المفتاح
رحلةأعلام الجزائر نحو المغرب الأقصى
رحلة أعلام المغرب الأقصى نحو الجزائر
من إنجاز الطالب

3/ الحـــــج:

يمثل الحج إلى الأماكن المقدسة أحد أهم قنوات التفاعل الثقافي في التاريخ، والذي من خلاله يتعرف الحجيج على ثقافات وعادات المجتمعات التي يمرون بها، ففي موسم الحج يتجلى ذلك في الاتصال الذي يمهّد للتفاعل بين الحجيج، ومن ثم نقل صورة ثقافية لما عليه المجتمع الإسلامي، وانطلاقا من أهمية الحج ارتأيت توضيح مفهومه الدلالي ومشروعيته.

3-1/ مفهـــوم الحج:

لغة: هو القصد، حج فلان، أي قدِم، وحجه حجاً: قصده، **أما اصطلاحا:** فهو قصد موضع مخصوص «**هو بيت الله الحرام وعرفه**»، في وقت مخصوص «**أشهر الحج**» للقيام بأعمال مخصوصة وهي: الوقوف بعرفة والطواف والسعي[1].

أما في القرآن: فالحج فرض عين على كل مكلف مستطيع، وهو ركن من أركان الإسلام ثُبتت فرضيته بالقرآن والسنة والإجماع[2]، جاء في قوله تعالى: ﴿ **فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾[3]، وفي **السنة النبوية**، فقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: «**بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام رمضان** »[4].

ومنه فقد أجمعت الأمة على وجوب الحج، كما تبرُز أهميته مصداقا لقوله تعالى: ﴿ **لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ** ﴾[5].

---

(1) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، **الموسوعة الفقهية**، ط2، الكويت، طباعة ذات السلاسل، 1990،ج17،ص: 23.

(2) المرجع نفسه، ص:24.

(3) سورة آل عمران، الآية: 97.

(4) مسلم بن الحجاج ، المصدر السابق،ج1،ص:177.

(5) سورة الحج، الآية: 28.

3-2/ محطات الركب المغربي في الجزائر:

يحمل اعتقاد أهل المغارب لطريق الحج أكثر من معنى، فهو ليس مجرد مسلك يعبُره الركب ذهابا وإيابا لأداء مناسك الحج فقط، بل هو حلقة مهمة في قناة الحج، وذلك بالنظر للمحطات التي يتوقف بها الركب بغية التواصل ومجالسة الشيوخ ولقاء الأصحاب والإفادة والاستفادة.

وارتأيت أنه من الأهمية معرفة محطات الطريق التي كان يعتمدها المغاربة في "رحلة الحج" خلال القرن 11هـ/17م في الجزائر، وذلك من خلال انجاز جدول لنماذج أركاب حجازية برية وبحرية، والهدف من ذلك رصد نشاطات الرحالة العلماء وتفاعلهم مع أهل الجزائر من خلال نماذج لثلاث رحلات حجازية مغربية، ثم إجراء التعليق على معطياته، وهو ما يوضحه الجدول التالي:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الجدول رقم (7) نماذج لمحطات الرحالة المغاربة في الجزائر خلال القرن11هـ/17م.

الرقم	اسم الرحالة	انطلاق الرحلة	تاريخ الذهاب والإياب	نوعها	محطات الذهاب	محطات الإياب
01	**أبو عبد الله محمد القيسي المكناسي: بالسراج.**	مراكش	29صفر 1040هـ/7 أكتوبر1630م. 1042هـ/1633م[1]	برية	رقان+ الدعامشة+ كسطن.	عين صالح+ أفران+ الساورة+ تبلبالت.
02	**أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي.**	سجلماسة	01ربيع الثاني 1072هـ/ 24نوفمبر 1661م. 17شوال1074هـ/ 13ماي 1664م[2].	برية	توات+ورقلة+ تقرت .	بسكرة+ أولادجلال+ الأغواط+ بو سمغون.
03	**أبو عبد الله محمد الرافعي.**	تطوان	8 جمادى الأولى 1096هـ/ 12أفريل1685م. 10 رجب 1097هـ/ 02جوان 1686م[3].	بحرية	مستغانم+ شرشال+ الجزائر.	الجزائر.

من خلال **قراءة الخريطة الجغرافية** لنماذج الرحلات الواردة في الجدول، نلاحظ تجنب ركب الحاج المغربي البري اختراق المناطق الشمالية وهذا تأكيد على ما أشرنا إليه سابقا حول ما عرفته الجزائر من فتن واضطرابات، كما أن اختراقه لجنوب الجزائركان بغية تفادي سلطة حكام

(1) محمد بن مليح القيسي، المصدر السابق،ص ص: 28-31،و، ص ص: 133-134.

(2) أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية،ج1، ص ص:79-127،و، ج2، ص ص:537-549.

(3) مصطفى عبد الله الغاشي، **طرق الحج خلال القرن19م**، مقال بالموقع الالكتروني:www.attarikh-alarabi.ma الساعة:23:30 يوم2013/12/20.

الجزائر، هذا ما أعطى أهمية للمسالك الصحراوية في تفعيل الثقافة لدى المدن الواقعة في خط الرحلة، وزاد من فرص التفاعل الثقافي في الجنوب، والإشارات الواردة في رحلة "العياشي" تؤكد ذلك بقوله:« **[الركب الحجازي] فلا شغل لنا إلا مدارسة القرآن»**1.

*نلاحظ أيضا بروز أهمية حاضرة "الجزائر" ثقافيا في المجال المتوسطي، وذلك من خلال رحلة "الرافعي التطواني" ذهابا وإيابا، فقد مرّ وأقام بها لمدة عشرة أيام في رحلة الذهاب[2]، ولعله استفاد من علمائها و مجالسها العلمية.

* التأكيد على الحضور الصوفي في المجال الثقافي، كما أشرنا إليه سابقا فالإشارات التي وردت في رحلتي "العياشي" و "القيسي" حول كثرة الزوايا وأضرحة الأولياء مثل"قبر النبي خالد" و "سيدي عقبة" و"زاوية الأخضري" والتبرك بهم، ساعد في إبراز هذا الحضور، يقول القيسي عن أهل الصلاح والبركة، في مداشر توات: «**ثم انتقلنا لمدشر الدغامشة فالتقينا مع سيد صالح[...] اسمه سيدي علي بودربالة[...] فالتمسنا منه الدعاء**»3.

* بروز منطقة توات والجنوب الشرقي للجزائر كمناطق توقف رئيسية لركب الحاج المغربي هذا ما ساعد في ظهور مراكز ثقافية صحراوية، استطاعت أن تستقطب الأركاب الحجازية المغربية وتستفيد منها ثقافيا وحتى اقتصاديا.

وحرصا مني على تبيان شبكة محطات الركب الحجازي المغربي داخل المجال الجغرافي للجزائر كإحدى أبرز قنوات التفاعل الثقافي بين البلدين، قمت بانجاز خريطة لنماذج محطات ركب الحاج المغربي بالجزائرخلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، وذلك اعتمادا على المعطيات الواردة في الجدول(7)، وهو ما ستوضحه الخريطة التالية:

(1) أبو سالم العياشي، الرحلة العياشة،ج1، ص: 160.

(2) مصطفى عبد الله الغاشي، المرجع السابق، نقلا عن: **الرافعي التطواني، المعارج المرقية في الرحلة المشرقية، م.خ الداودية، تطوان، رقم 134**.

(3) محمد بن مليح القيسي، المصدر السابق، ص:30.

خريطة رقم (3

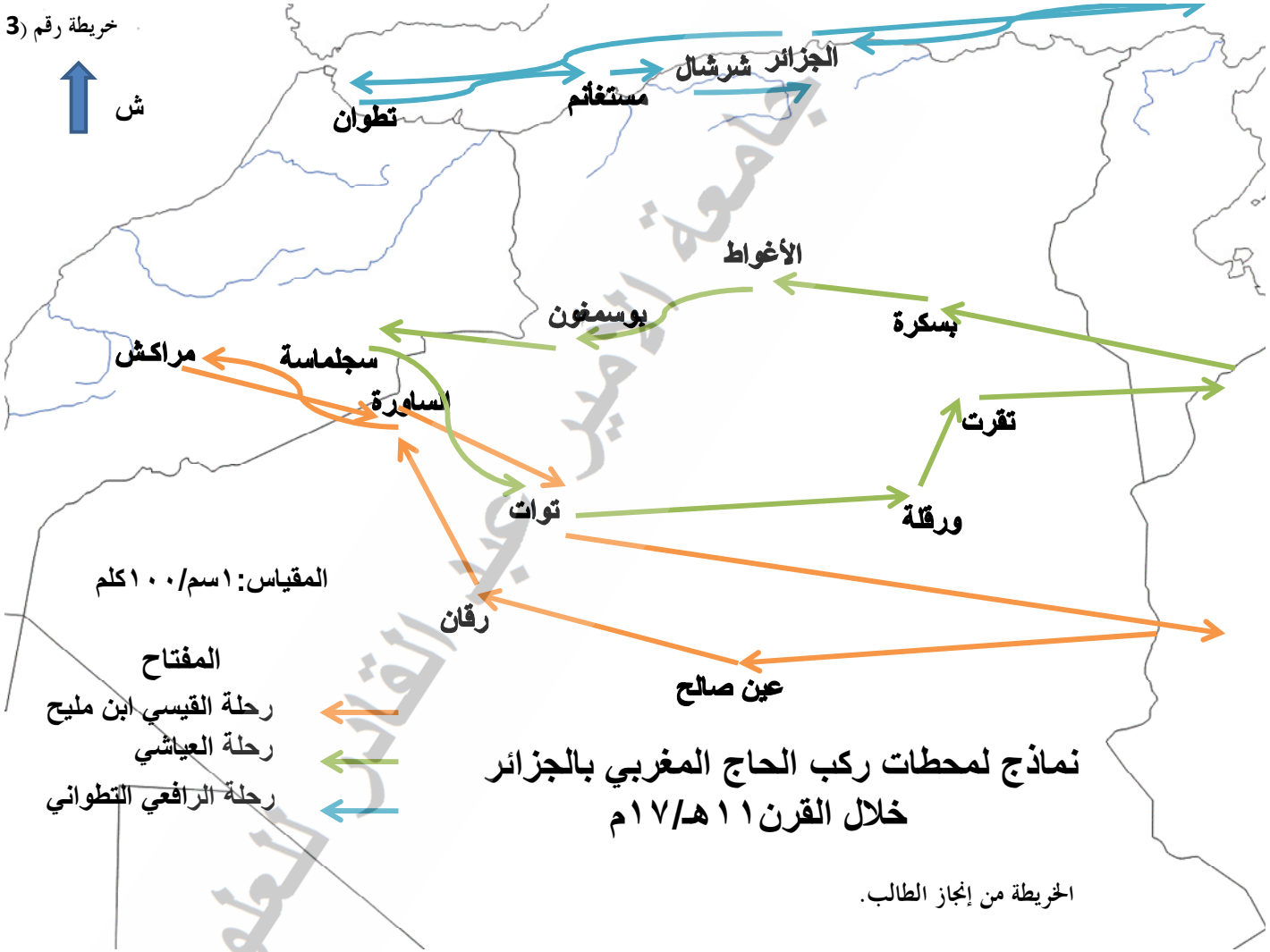

نماذج لمحطات ركب الحاج المغربي بالجزائر
خلال القرن ١١هـ/١٧م

الخريطة من إنجاز الطالب.

3-3/الأثر الثقافي لركب الحاج المغربي:

يُعتبر ركب الحاج المغربي مدينة منظمة على رأسها أمير يقود الركب، وبجانبه مجموعة من الفقهاء والعلماء والقضاة والتجار[1]، ويتحرك في مجال جغرافي شاسع، ينتج عنه نسج شبكة علاقات اجتماعية، ذلك أن الركب لا يتحرك في يوم أو يومين يل يطول سفره فيستغرق بضع شهور، هذا ما يدفع بالرحالة الحجاج إلى أن يقضوا في محطات الطريق فترات في التنقل لزيارة الأصدقاء أو الزوايا أو الأضرحة أو التجارة[2]، وهكذا يعيش الرحالة المغاربة منذ دخولهم الجزائر بين ظهراني إخوانهم وتحت رعايتهم في جوّ إسلامي صرف، كل ما فيه من عادات وتقاليد وأعراف ومفاهيم تنبثق من روح الثقافة والدين الواحد مُعززا بوحدة المذهب المالكي.

وتحفل نصوص الرحلات الحجازية بالكثير من الإشارات التي تؤكد متانة نسيج هذه الشبكة الاجتماعية والثقافية، فالباحث قد يخرج بالكثير من المفاهيم الدالة على ذلك"**صاحبنا**"و "**بيننا وبينه معرفة**"و "**أصحاب والدنا**".

فالرحالة "الدرعي" يؤكد ذلك فيقول: «**ونزلنا الأغواط[...]وخرج أهله كلهم كباراً وصغاراً وأظهروا الفرح والسرور والحبور، وسيدي محمد بن أحمد بن يحيى وسيدي محمد بن أبي زيان تلقونا بتجموت وهما من أصحابنا ووالدهما من أصحاب والدنا[...]وضيَف أهل الأغواط الركب بالطعام والتين والفواكه كثّر الله خيرهم**»[3].

أما في رحلة "القيسي" فترد بعض الإشارات الدالة على التحام الجزائريين بالركب المغربي لأداء فريضة الحج، «**قصدناهم [أهل بلدة كسطن] لرغبتهم في التوجه معنا إلى الحج[...]وصحبنا من هناك من أولاده [سيدي محمد بن عمر] ثلاثة سادات أجلاء أخيار صانهم الله**»[4].

وفي رحلة "العياشي" يقول: «**كان رحيلنا من هذه البلاد [أوكروت] قاصدين واركلا وخرج معنا جملة من أهلها قاصدين الحج**»[5].

---

(1) مولاي بالحميسي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، ط2،الجزائر، ش.و.ن.ت،1981، ص:25.

(2) محمد بن مليح القيسي، المصدر السابق، ص:29.

(3) أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق،ج1،ص: 35.

(4) محمد بن مليح القيسي، المصدر السابق، ص:30.

(5) أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية،ج1، ص: 107.

ومنه فأهالي المحطات التي كان يمر بها الركب الحجازي المغربي، كانوا لا ينظرون إليه على أنه مؤسسة رسمية مغربية فقط، بل هو حلقة للتفاعل الاجتماعي والثقافي وحتى الاقتصادي، هذا ما عزز من قوة ومتانة الشبكة الاجتماعية والثقافية بين البلدين، و أسهم في انتقال المعارف والأفكار والمؤلفات وزاد من الأخذ والعطاء، وهذا ما يترك الانطباع بأن الركب الحجازي المغربي هو:"**ركب مغربي الانطلاقة مغاربي المسير**".

وفي حجة الناصري لسنة 1069هـ/1684م، نجده يلوم أهل عين ماضي وينهاهم عن سفور نسائهم، ويدعوا لهم بالهداية، ثم يعقب على أنه في الحجة الثانية مرّ بهم و لم يرى منهم النساء تبيع مع الركب[1]، وهذا إن دل فإنما يدل على التأثير القوي للرحالة على أهالي المحطات التي يمر بها.

كما يورد أيضا أنه قد عيّن مقدمين للطريقة "الناصرية" حيث يقول:«**وبيان من أذنا له في سفرتنا هذه[...] وسيدي عبد الله بن سحنون من أهل غريس أحواز تلمسان ولابنه بعده سيدي الهاشمي**»[2]، ومنه يتم ربط المنطقة بشبكة علاقات صوفية تزيد من اللحمة وتقوّي النسيج الاجتماعي والثقافي.

ويعطي الباحث"أحمد عمالك" وصفا دقيقا لمراحل الركب الناصري داخل المجال الجزائري فيقول: «**ثم يدخلون مجال قبائل حميان، وأهم مرحلة به قرية أبي سمغون وهي أول مرحلة من بلاد المغرب الأوسط[...]وبعد أبي سمغون يجدّ الركب السير، حتى يصل إلى عين ماضي حيث تلتقي طرق الركاب الحجية، ولاسيما الركبين الفيلالي والفاسي[...]ومن عين ماضي يتجه صوب بسكرة[...]وأكبر مرحلة تلي التوميات، وادي سيدي خالد الذي يعد أول مرحلة من بلاد الزاب وبينها وبين بسكرة يتوقف الحجاج عند خلوة عبد الرحمان الأخضري–صاحب السلم المرونق– وقرية مليلة، حيث بات ركب الشيخ أحمد بن ناصر في أثناء تشريقه سنة1121هـ/1709م**»[3]
ويعد هذا النص خلاصة دراسة أربع رحلات حجازية للشيخ أحمد بن ناصر اخترقت المجال الجزائري، حيث بين أهم محطات الأركاب الحجازية، والتي من دون شك عرفت الطريقة الناصرية، كما تُظهر المكانة الخاصة التي يوليها الحاج المغربي للمقامات والمزارات الدينية في

(1) أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق،ج1، ص: 32.

(2) المصدر نفسه،ج2 ص: 161.

(3) أحمد عمالك، **أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي(ت1129هـ) الشيخ الصوفي المصلح**، ط1، الرباط، دار الأمان للنشر والتوزيع،2012، ص ص:77-78.

الجزائر، أبرزها منطقة سيدي خالد، وضريح الأخضري، ومن خلال خط سير الركب الناصري بالجزائر فإن أتباعه كانوا ينتشرون في مختلف المدن والقرى التي يمر بها منها تلمسان ووهران وقسنطينة و أولاد جلال وبسكرة وسيدي خالد، وقد أجاز بعض أهالي هذه المناطق في قصيدتي"سيف النصر" و"الوسيلة"[1].

كما أن نصوص الرحلة المغربية أوردت لنا نماذج حية عن التقاء الرحالة المغاربة بنظرائهم الجزائريين من الفقهاء والعلماء خارج المجال الجزائري "طرابلس الغرب"، "مصر"، "مكة" والتي هي جديرة بالاهتمام، لأن مجال التأثير والتأثر الثقافي بينهم لم يقتصر فقط على الجزائر والمغرب الأقصى بل امتد طوال طريق الحج.

من خلال رحلة العياشي "ماء الموائد" نرصد الكثير من الإرشادات الدالة على ذلك، فيقول: «**وممن لقيته بطرابلس الشيخ الفقيه[...] و سيدي محمد بن العلامة عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون[...]ووجدت عنده عدة مؤلفات والده[...] فأعارها لي مدة إقامته**»[2]، وفي نفس المنطقة يقول:«**وقد لقيته [عاشور القسنطيني]** وتبركت **به واستجزته لنفسي ولمن ذكر في الاستدعاء، وأجازني ولهم لفظاً[...]**»[3].

وفي **مصر** تتجلى أهمية هذه الوشائج فيخبرنا العياشي بزيارته لقبر والد عبد الكريم الفكون القسنطيني والتبرك به[4]، كما يورد نصا آخر لما كان بمصر بقوله:« **وكان عزمي أن أذهب مع ركب أهل الجزائر رغبة في مرافقة سيدي يحيى الشاوي وكان من فقهاء بلده ورفيقه سيدي المختار[...] كرغبتي أو أشد لمشاكله الحبس ورجاء المذاكرة في بعض العلوم إن تيسر ذلك**»[5].

وفي **مكة** يتحدث العياشي عن لقاء شيخه "أبو مهدي عيسى الثعالبي" ومجاورته فيقول: «**وممن انتفعت بلقائه وكان معظم استفادتي بمكة من تلقاءه**»[6].

---

(1) أحمد عمالك، المرجع السابق، ص:92،95.

(2) أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية،ج2،ص: 514.

(3) المصدر نفسه، ص: 503

(4) أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية،ج1، ص: 286.

(5) المصدر نفسه، ج2،ص: 475.

(6) نفسه، ص: 181.

من خلال استعراض نماذج النصوص الرحلية المغربية، يتضح لنا الأثر الثقافي لركب الحاج المغربي، في مدى نجاح الفقهاء والمتصوفة في خلق شبكات تواصل عليا كانت كفيلة برفع الحواجز الجغرافية والحدود السياسية بين البلدين، كما ساهم أيضا في تفعيل التبادل الثقافي طوال محطات الركب بين الأعلام إلى غاية وصوله إلى الحجاز[1].

ولتبيان الأثر الثقافي لركب الحاج المغربي داخل الجزائر وخارجها طوال خط مسيره نحو الحجاز، قمت بانجاز خريطة تبين أبرز حواضر التفاعل الثقافي بين أعلام الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، وذلك اعتمادا على المعطيات الواردة في المصادر الرحلية، وهو ما ستوضحه الخريطة التالية:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) عمار بن خروف، المرجع السابق، ص ص: 147-165. الفصل الرابع: **مراكز التبادل الثقافي في المغرب والجزائر**.

الخريطة رقم (4)

بالإضافة إلى القنوات المدروسة توجد هناك قنوات لا تقل أهمية عن التي دُرست سابقا لعل أبرزها **قناة المصاهرة** والتي مثلها في الجزائر كل من العلامة "عبد الواحد الأنصاري" الذي زوّج ابنته لتلميذه العلامة"أبو مهدي عيسى الثعالبي"، أما في المغرب الأقصى فقد مثلها العلامة"أبو العباس أحمد المقري"، وهناك **قناة الجوار** ذلك أن الجزائر كانت مجاورة للمغرب الأقصى، فقد جمعتهما حدود جغرافية مشتركة في معايشة طويلة الأمد، وكانت نسمات الثقافة تهب على الغرب الجزائري من جهة والشرق المغربي من جهة أخرى، ويعد تأثير الجار على الجار أمرا معقولا ومقبولا ولامناص من التأثر بالجيران في أوقات السلم والحرب.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث:

أدوات التفاعل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى.

1/ تبادل الإجازات والأسانيـــد.

2/ تبادل الرسائل والفتـــاوى.

3/ مجالس الدرس وترويج المؤلفات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

باعتبار أن حدود الثقافة بين الجزائر والمغرب الأقصى غير موجودة، وأن حركية الأعلام كانت تتم بحرية في فضاء "دار الإسلام"، وبعد أن عرَفنا بأبرز القنوات المؤثرة في التفاعل الثقافي فإن التبادل بين أعلام البلدين تم بواسطة العديد من الأدوات العلمية، والتي من خلالها يمكن إعطاء صورة حية عن التفاعل خلال القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، ولذلك سنركز بالدراسة على أبرزها، وهي تبادل "الإجازات والأسانيد"، "الرسائل والفتاوى"، "مجالس الدرس وترويج المؤلفات"، وكل ذلك من خلال إعطاء مفهوم لها وتبيان أهميتها في الثقافة الإسلامية ثم دراسة نماذج عنها وإبراز أثرها، مع التركيز على نماذج من الأعلام الذين أفادوا واستفادوا.

1/ تبادل الإجازات والأسانيد:

1-1/ مفهوم الإجازة والإسناد:

1-1-1/ الإجازة لغة: معناها الإنفاذ، يُقال: أجاز الشيء إذا أنفذه، ولا يخرج استعمال الفقهاء للإجازة عن هذا المعنى اللغوي.

أما **اصطلاحا** فيُطلق الفقهاء الإجازة بمعنى الإعطاء كما يطلقونها على الإذن بالإفتاء أو التدريس، ويُطلق علماء الحديث الإجازة بمعنى الإذن في الرواية[1]،كما لا يمكن إجازة أحد للفتوى أو للتدريس إلا أن يكون عالما بالكتاب والسنة ووجوه الفقه وآراء المجتهدين وأن يكون عدلا موثوقا به[2].

1-1-2/ الإسناد: جاء في "لسان العرب": السّند: ما ارتفع من الأرض في قُبل الجبل أو الوادي، والجمع: أسناد، وفلان سند أي معتمد، وأسند في الحديث: رفعهُ، والمسند من الحديث ما اتصل إسناده حتى يُسند إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والإسناد في الحديث: رفعه إلى قائله[3] وقد يكون بمعنى إمالة الشيء إلى الشيء حتى يعتمد عليه، أو يأتي بمعنى رفع القول إلى قائله ونسبته إليه[4].

---

(1) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، المرجع السابق،ج1، ص: 303.

(2) المرجع نفسه، ص: 310.

(3) جمال الدين محمد بن منظور، المصدر السابق، ج7، ص ص:271،272.

(4) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، المرجع السابق، ج4،ص: 273.

أما **اصطلاحا** فيعني الطريق الموصلة إلى متن الحديث والمراد بها سلسلة رواته، أي ذلك الطريق والإخبار به، وقد دخل الإسناد في رواية الكتب المؤلفة في علوم الدين وحتى في مجالات الأدب والتاريخ[1].

1-1-3/ أهمية الإجازة والإسناد:

ينقل السخاوي في "فتح المغيث" نصا حول أهمية الإجازة فيقول: «**هي ضرورية لأنّه قد تموت الرواة، ويُفقد الحفّاظ الوعاة، فيُحتاج إلى إبقاء الإسناد، ولا طريق إلاّ الإجازة، فالإجازة فيها نفع عظيم ورفد جسيم إذ المقصود إحكام السنن المروية في الأحكام الشرعية وإحياء الآثار**»[2].

وقد أعطى التمنارتي في مؤلفه "الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة" نصا حول أهمية الإسناد بقوله: «**ورأيت أن أحيي آثارهم، وأخلدّ في صفحات الدّهر مآثرهم وأروي ما حصل لي من أسانيدهم،و أستنم بذلك مقاصدهم وأقيدها بعقال الكتابة خوف الدّروس والنسيان وأنشرها حسب الإمكان**»[3].

كما جاء في إجازة الشيخ "ياسين بن محمد الخليلي" للرحالة "أبو سالم العياشي" بمكة ما نصه:«**[...]الحمد لله الذي حفظ المتون بالإسناد المسلسل[...]وبعد: فإن الاعتماد بسلسلة الإسناد من خصوصيات الأمة المحمدية فضلت تشريفا على سائر البرية**»[4].

ويستفاد من هذه النصوص أن كل من الإجازة والإسناد هما من خصائص الأمة الإسلامية يمثلون الدعامة الأساسية عند العلماء المسلمين، فهم للعلم مثل الأساس للبناء، فلا يمكن تصور البنيان بدون أساس، ولهذا دأب العلماء في طلب الإجازات والأسانيد العالية متجاوزين بذلك الحدود الجغرافية والسياسية.

---

(1) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، المرجع السابق، ج4، ص: 274.

(2) محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **فتح المغيث بشرح ألفية الحديث**، در، تح: عبد الكريم بن عبد الله الخفير و محمد بن عبد الله آل فهيد، ط1، الرياض، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، 2005، ج2،ص ص: 398-399.

(3) عبد الرحمان التمنارتي، المصدر السابق، ص: 199.

(4) أبو سالم العياشي، إتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء، ص ص: 92-93.

1-2/ إجازات وأسانيد بعض علماء الجزائر لعلماء المغرب الأقصى:

من أبرز العلماء الجزائريين في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، الذين أجازوا علماء المغرب الأقصى أو الذين اتصلوا بسلسلة الإسناد:

أبو عثمان سعيد المقري"ت1010هـ/1601م"[1]: يمكن اعتبار الشيخ سعيد المقري من الأوائل الذين منحوا الإجازة لبعض علماء المغرب الأقصى في مطلع القرن 11هـ/ 17م، ويتجلى ذلك من خلال نصي استدعاء الإجازة الذين حملها ابن أخيه "احمد المقري" أثناء رحلته إلى فاس سنة 1009هـ/ 1600م من طرف الشيخين "أحمد بن القاضي"[2] و"أحمد بن القاسم التادلي"[3].

فالأول استدعى الإجازة[4] نثرا وشعرا، يقول: «**[...]وبعد فيطلب العبد الضعيف الوجل من ذنبه المختشي من السيد الكامل أبي عثمان سعيد المقري القرشي[...]أن يتفضل عليه بالاجازة العامة الجامعة التامة، وأن يتفضل بذكر مشيخته الأعلام[...]وأن يبتدئ بالمسلسل بالأولية حديث الرحمة**»، أما الشطر الثاني من الاستدعاء والمتضمن ستة عشر بيتا من الشعر فقد جاء قوله:

فإني أستجيزك من أرض فاس لتعسف يا بحر علم فكم.

ما صح عنكم وجاز لكـــــم رواية كل شرط متـــم[5].

إلى قوله:

بتاريخ تسع وألف مضت لهجرة خير الورا والأمم[6] .

---

(1) سعيد المقري، الشهير بأبي عثمان إمام ومفتي تلمسان، أخذ عن شيوخ فاس كالزقاق وغيرهم، محمد الصغير الإفراني، صفوة من انتشر، ص ص: 101-102. ينظر الملحق رقم (1)

(2) أحمد بن القاضي"ت 1025هـ/1616م" الشهير بأبي العافية، فقيه ، محدث، رحالة، له مؤلفات عديدة أهمها: جذوة الإقتباس ودرة الحجال، عبد الله بن محمد الفاسي:المصدر السابق، ص ص: 124-125.

(3) أحمد بن قاسم التادلي"ت 1012هـ/1604م" من مشاهير الأولياء، له معرفة بالتصوف ومشاركة بالعلوم، صاحب زاوية الصومعة، المصدر نفسه، ص: 56.

(4) أ حمد بن محمد المقري، **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس**، تص: عبد الوهاب بن منصور، ط2، الرباط، المطبعة الملكية، 1983، ص: 266.

(5) المصدر نفسه، ص: 267.

(6) نفسه، ص: 268.

فيرد سعيد المقري مراسلة بإجازة شعرية[1]، أجاز فيها أحمد بن القاضي بقوله:

ولكن أجزتكم مكرها ولا بطل بل لأمر مهم

بما صح عنا وجاز لنا رواية كل يشرط متم.

إلى قوله:

كتبت بتاريخ تسع وألف مضت بعد هجرة مجلي الظلم[1].

أما الثاني فقد أكدّ على أحمد المقري أن يستجيز له عمه سعيد المقري، رغبة منه في طلب العلم، على الرغم من أنه قد شاركه في شيوخه كـــ"الخروبي" وقاربه في السن أيضا[3]، وقد رجحت الباحثة "لزغم فوزية" أن إجازة "سعيد المقري" لـــ"أحمد بن قاسم التادلي" هي لرواياته مشافهة حملها أحمد المقري[4].

أبو العباس أحمد المقري" ت1041هـــ/1631م": بعد رحلة المقري الثانية إلى فاس في سنة 1013هـــ/ 1605م، مكث مدة أربعة عشر عاما، أُسندت إليه وظائف الفتوى والخطابة والإمامة بجامع القرويين بفاس في أوائل جمادى الأولى 1022هـــ/ جوان 1613م، وأثناء إقامته تصدى أحمد المقري للتدريس فأجاز العديد من أعلام المغرب[5]، منهم"محمد يوسف التاملي"، فقد أورد المقري نص استدعاء إجازته في كتابه "**فتح المتعال في مدع النُعال**" المؤرخة سنة 1026هـــ/1617م بفاس وقد اختصرها أحمد المقري لطولها في أربعة أبيات، منها:

ويرغبُ منكم أن تُجيزوه مطلقا بمرويكم كيما يكون له زلفـــا.

ويُنشدكم بيتـــا يقادم عهـــده لصاحب شوق إذ ينادي به إلفا.

---

(1) إجازة شعرية في عشرين بيتا، كتبت مراسلة من تلمسان إلى فاس في نفس سنة طلب الإجازة.

(2) أحمد المقري، المصدر السابق، ص: 268-269.

(3) المصدر نفسه، ص: 303.

(4) فوزية لزغم، **الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518-1830**، مذكرة ماجستير غير منشورة، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران،2006، ص: 104.

(5) أحمد المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح: إحسان عباس، د،ط،بيروت، دار صادر،1968،ج7 ص ص: 135-136.

ليجيبه أحمد المقري بقصيدة من ثلاثة وعشرون بيتا، جاء فيها:

من القاصر الباع الجهول إجازة ألم تعلموا أن الصواب هو الأعفى[1].

إلى قوله:

وها أنا ذا أشهدت أني أجزتكم على السنن المألوف والمقصد الأوفى

جميع تآليفي ونظمي وإن وهي ونثري وإن حاز الركاكة والضعفاء.

كما يذكر أحمد المقري إسناد إجازته بقوله:

وكل الذي أرويه عمن لقيتـــه من السادة الغر الأولى أحسنوا الوصفا

كسيدنا شيـــخ الأئمة عمنـــا سعيد فكـــم نلنا معارفـــه قطفـــــا

عن أشياخه من أهل فاس وغيرهم كمثل ابن هارون وأعظـــم به كهفـــا

وهذا عن الشيخ ابن غازي وصيته شهير فلـــم نحتج لعريفـــه كشفـــــا[2].

كما أجاز أيضا العديد من الأعلام المغاربة أثناء رحلته إلى **مصر** منهم،"أبو بكر السوسي المراكشي"[3]، أوردها المقري في رحلته بقوله:«**[...]وإن من أجل أهل العصر الوافدين لنواحي مصر، الفاضل المحصل النحرير[...]المغربي المراكشي السوسي[...]ورام مني مع ظهور جهلي إجازة لست لها بأهل إذ هو أولى أن يحيز مثلي والنخل لا يحكيه دوح الآفل، وقد أجبته لحسن نيته، بلغ الله قصى أمنيته جميع ما ألفت أو رويته وكل ما ابتدرت أو رويت بشرطه المعروف**»[4].

---

(1) أحمد المقري، **فتح المتعال في مدح النعال**، تح: علي عبد الوهاب وعبد المنعم فرج درويش، ط1، القاهرة، دار القاضي عياض للطباعة والنشر والتوزيع، 1997، ص: 364.

(2) المصدر نفسه، ص: 365.

(3) أبو بكر بن مسعود المراكشي (ت1032هـ/1623م) مفتي المالكية بدمشق، انتقل من مراكش إلى مصر ثم إلى دمشق محمد أمين المحبي، المصدر السابق،ج1، ص: 97.

(4) المقري أحمد، **رحلة المقري إلى المغرب والمشرق**، تح: محمد بن معمر،د،ط، سيدي بلعباس(الجزائر)، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر،2004، ص ص: 121-122.

أبو مهدي عيسى الثعالبي"ت 1080هـ/ 1669م"[1]:ذاع صيت العلامة الثعالبي في منح الإجازات بالمشرق العربي، فقد لقيه الرحالة "أبو سالم العياشي" **بالقاهرة** ما بين أواخر سنة 1064هـ وبداية سنة 1065هـ /1654م، فتتلمذ عليه وسمع منه وأجازه جميع مروياته بإسنادها إلى جميع أشياخه[2].

يقول العياشي: «**فعكفت على القراءة عليه والسماع منه[...]وكفيت مؤونة تقييد الأسانيد بموافقتي له في كثير من شيوخه**»[3]، كما يورد نصا آخر في مدح شيخه الثعالبي، يستفاد منه أنه قد تحصل منه على الإجازة وأذن له بروايتها فيقول:«**فيما قرأت عليه بعضه، وأجازنيه وأذن لي فيه وناولنيه**»[4]، ثم لقيه مرة ثانية **بمكة** في حجة سنة 1073هـ/1662م[5]، فقرأ عليه، ثم طلب منه ومن مشايخ أهل مكة الإجازة، فيقول: «**يطلُب من جودكم[...]أن ترفعوا قدره بالانتساب إليكم وتقبلوا عذره من الاجتراء عليكم، فتجيزوه سائر مروياتكم من مسموعاتكم و مقروآتكم مبتدئين بالحديث المسلسل بالأولية** »، وطلب منهم تعميم الإجازة لأهل بيته ومرافقيه ولجمع من مشايخ العلم بالمغرب، كما طلب منهم رفع أسانيدهم لاتصاله بها[6].

فكان الثعالبي ثاني من كتب على نص هذا الاستدعاء بعد مفتي الحرم المكي الشيخ "زين العابدين الطبري" بقوله: «**أجزت لمن ذُكر في الاستدعاء جميع مروياتي من مسموع ومقروء ومجاز ومناول واول ذلك الحديث المسلسل بالأولية**[7]»، مؤرخة في أواخر ذي الحجة من سنة 1073هـ/

---

(1) أصله من قبيلة "الثعالبة "ضواحي الجزائر العاصمة، جالس العديد من الأعلام بالجزائر وانتفع منهم من أمثال"سعيد قدورة" و"علي بن عبد الواحد الأنصاري"، رحل إلى المشرق وجاور بالحرمين، له العديد من المؤلفات أبرزها: فهرسة كتر الرواة، محمد أمين المحبي، المصدر السابق، ج3، ص:240.

(2) أبو سالم العياشي، **اقتفاء أهل الأثر**، مخ، الدار البيضاء، مؤسسة الملك عبد العزيز، رقم: 334/1، ص: 19. ينظر الملحق رقم7

(3) المصدر نفسه، ص: 190.

(4) نفسه، ص: 195.

(5) نفسه، ص: 181.

(6) أبو سالم العياشي، إتحاف الأخلاء، ص ص: 132-133.

(7) يسمى هذا الحديث المسلسل بالأولية، لأن المحدثين درجوا على افتتاح سماعهم وأسماعهم به وهو يدخل في باب اللطائف الإسنادية لما فيه من تسلسل بالأولية، وافتتاحهم بهذا الحديث"ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" لأن رحمة الله تسبق غضبه، ومنه فهو عبرة للطالب ليقتدي به، فطلب العلم مبني على التواصل والتراحم، لا على التدابر والتقاطع، فيشتد ساعد الطالب ويتخلق بالرحمة، يحي بن عبد الله الشهري، **النفحة الإلهية بشرح الحديث المسلسل بالأولية**، ط1، بيروت، دار ابن حزم،2005، ص ص:10،8،7.

1663م[1]، كما يذكر سنده من أشياخه المغاربة منهم "عبد الواحد الأنصاري السجلماسي" و"عبد الكريم بن محمد الفكون القسنطيني".

عبد الكريم بن محمد الفكون القسنطيني"ت 1073هـ/ 1663م": أورد أبو سالم العياشي في فهرسته "اقتفاء أهل الأثر"، أنه صحب الشيخ عبد الكريم الفقون إلى الحجاز حاجا بقوله:« **ترددت إليه مرارا لزيارته والتماس بركته، وطلب الدعاء منه، فلما كنا بمدينة طرابلس طلبت منه أن أقرأ عليه شيئا في الحديث والتصوف[...]وسررت بذلك ورأيته غنيمة فُزت بها وقرأ إلىَ الفاتحة، ودعا وجرى في المجلس ما فيه إشارة إلى بلوغ المراد**»[2]، وبالرغم من تشدد الفكون في منح الإجازة، إلاّ أن العياشي اعتبر أنت الانتساب إلى الشيخ الفكون هو في حد ذاته بلوغ إلى الهدف المنشود وهو تتبع أسانيد العلماء[3].

أبو زيد عبد الرحمان بن لوقاد التلمساني"ت1057هـ/ 1647"[4]: جاء في "الفوائد الجمة" للتمنارتي، أنه قد حصلت له رواية ما في الإجازات بأسانيدها ومنها ما جاء في إجازة "الدين المقدسي" لعبد الرحمان بن الوقاد[5]، ويقول أيضا: «**سمعت عنه البخاري مرارا عديدة وأجازني روايته مع غيره بالكتابة والمشافهة**»[6].

أبو حفص بن عمر بن محمد المانجلاتي الجزائري"ت1104هـ/1693م"[7]، أورد نص إجازة المانجلاتي الرحالة ابن زاكور في رحلته "نشر أزاهير البستان"، فقد قرأ عليه كتاب "جمع الجوامع" للإمام السبكي بشراحة الأربعة ثم استجازه، فيقول: «**ولما عزمت على الترّحال ونويت أن أعمل فيه الوخد والإرقال، طلبت منه الإجازة فيما أقبسني من أنواره[...]**»، ليجيزه المانجلاتي في مفتتح

---

(1) أبو سالم العياشي، إتحاف الأخلاء، ص ص: 142-144.

(2) علامة قسنطينة، من أهل التصوف، من تأليفه"محدد السنان في نحور إخوان الدخان"، توفي بالطاعون بقسنطينة، عبد الله بن محمد الفاسي ، المصدر السابق، ص ص:189-201.

(3) أبو سالم العياشي، اقتفاء أهل الأثر، ص ص: 47-48.

(4) علامة تارودانت، اخذ العلم عن أبيه وولي الخطابة والتدريس مكانه بجامعها الكبير، محمد بن أحمد الحضيكي،ج2 ص:399.

(5) عبد الرحمان التمنارتي، المصدر السابق، ص: 426.

(6) المصدر نفسه، ص: 137.

(7) فقيه أصله من بجاية انتقل إلى الجزائر ودرّس بها، أجاز ابن زاكور، عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، ط2، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية، 1980، ص:318.

سنة 1094هـ/1682م، في جمع الجوامع للسبكي بشراحه، وشرح مختصر ابن الحاجب بقوله: «**[...] فأجزته أن يروي عني ما رويته عن أشياخي من الفنون التي أسردها بشرطه المعتبر**»[1].

وقد أُجيز ابن زاكور أيضا من طرف الشيخ "أبو عبد الله بن عبد المؤمن الحسني الجزائري" فقد أورد نصها أيضا بقوله: «**[...] فالتمس مني أن أجيزه فيما قرأ معي أو سمعه مني[...] فأجزته بذلك على شرطه المعتبر عند أهله**»[2].

أبو الجمال محمد بن عبد الكريم الجزائري" ت1102هـ/1691م": أجاز صاحب كتاب"المنح البادية في الأسانيد العالية" العلامة "أبو عبد الله محمد الصغير الفاسي"[3] في الحديث والتصوف يقول: «[...]**سمعت عليه أوائل الصحيحين، والمسلسل بالأولية وغير ذلك، وأجازني فيما له وما تحمل عن شيوخه، وأضافني على الأسودين[التمر والماء]، وصافحني وشابكني وناولني السبحة، وألبسني[الخرقة] ولقنني**»[4].

كما يذكر سند رواية شيوخ"محمد بن عبد الكريم" المشارقة والمغاربة، -والتي سأقتصر بذكر الشيوخ المغاربة فقط بما يخدم مجال البحث- بقوله: « **وهو يروي عن شيوخ [...]ومغاربة منهم: أبوعثمان سعيد قدورة وهو عمدته، وشيخنا أبو البركات[جد المؤلف"عبد القادر الفاسي"]وأبو الوفا الحسن بن مسعود اليوسي، وأبو عبد الله السوسي الجزائري المتوفي سنة ثلاث وعشرين وألف[...]، والشيخ عبد الكريم الفكون[...]، وسيدي محمد التواتي [...]**»[5].

ويُستفاد من سند رواية"محمد بن عبد الكريم الجزائري" أنه أخذ عن أعلام مغاربة في حاضرة "قسنطينة"، ففي الوقت الذي درس وروى عن "عبد الكريم الفكون"، كانت مجالس كل من "أبوعبد الله محمد السوسي" و"أبو عبد الله محمد الراشدي التواتي" بها، كما أنه درس وروى عن "عبد القادر الفاسي" بفاس، ومن خلالها تبرُز الشبكة العلمية التي ربطت بين أعلام من الجزائر

---

(1) محمد بن قاسم بن زاكور، المصدر السابق، ص: 45-46.

(2) محمد بن قاسم بن زاكور، المصدر السابق، ص: 56.

(3) أبو عبد الله محمد الصغير الفاسي، عالم، صوفي، له عناية بالحديث، اشتغل بالتعليم في فاس، ت1134هـ/1721م، يُنظر: محمد الصغيرالإفراني، صفوة من انتشر، ص:371.

(4) محمد الصغير الفاسي، **المنح البادية في الأسانيد العالية والمسلسلات الزاهية والطرق الهادية الكافية**،در، تح: محمد الصقلي الحسني،ط1، الرباط، دار أبي رقراق للطباعة والنشر،2005،ج1،ص:131. ينظر الملحق رقم2.

(5) محمد الصغير الفاسي ، المصدر نفسه، ص ص:131-132.

والمغرب الأقصى.

ومن خلال عرض نماذج لإجازات وأسانيد العلماء الجزائريين لأهل العلم من المغاربة، تتضح أهمية الإسناد من خلال النسيج الذي ربط بين الأعلام من خلال شبكة علمية وصوفية، وأن المجال الجغرافي للتفاعل لم يقتصر على الجزائر والمغرب الأقصى فقط، بل تعداه إلى الحواضر الإسلامية مثل "طرابلس الغرب"، "القاهرة"، "مكة" متجاوزا بذلك الحدود السياسية، وهو ما يؤكد مرة أخرى ذلك المجال الخاص بـــ"دار الاسلام" في أذهان هؤلاء الأعلام، كما أن هذه الإجازات قد اقتصرت على العلوم الدينية من "فقه وحديث وتصوف"، كما يلاحظ أيضا ذلك التنوع في الإجازات من حيث نوعها، فقد مُنحت جماعية وفردية و جاءت نثرا ونظما.

1-3/ إجازات وأسانيد بعض علماء المغرب الأقصى لعلماء الجزائر:

بالمقابل فقد منح علماء المغرب الأقصى الإجازات لأهل العلم من الجزائر، ولا نريد أن نعدد كل الإجازات وأصحابها لأن ذلك يكاد يكون مستحيلا، ولكن الهدف هو سوق بعض النماذج للتعرف على اهتمام الجزائريين بطلب العلم وعلاقاتهم بأعلام المغرب الأقصى، ومنهم:

أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي العافية الشهير بابن القاضي"ت 1025هـ-1616م": فقد أجاز أبو العباس أحمد المقري بمراكش ثم بفاس سنة 1009هـ/1600م، إجازة عامة لجميع ما أخذ وما روى عن شيوخه ثلاث مرات[1]، وقد ورد نصها في كتاب المقري "روضة الأس" بقوله: « **وأجزت له الفهارس التي أذكرها بأسانيدها إلى أربابها، وما اشتملت عليه من المقروءات والمجازات والمسموعات[...]**»[2]، والمتتبع لسلسلة الأسانيد التي تخص الكتب التي أُجيز بها المقري يجد حضور السند التلمساني المتصل بأسرة "ابن مرزوق" عن طريق "ابن غازي"[3]، يقول المقري عن روايته لسند موطأ الإمام مالك ما يلي: «**وأجازنيها أيضا بهذا السند الذي ذكر لي، وبسند آخر وهو إلى ابن غازي كالأول قال ابن غازي: أخبرنا إجازة أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي عن أبيه قراءة عليه[...]**»[1].

---

(1) أحمد المقري، روضة الآس، ص: 289.

(2) المصدر نفسه، ص: 295.

(3) ينظر: الملحق رقم: (2)

(1) أحمد المقري، روضة الآس، ص: 293.

كما أُجيز المقري من طرف "**أحمد بن أبي القاسم التادلي**" بمراكش سنة 1010هـ/ 1601م إجازة في التصوف بسند متصل بالإمام "الخروبي الطرابلسي"[1] عن "أبو العباس أحمد بن محمد زروق"[2]، وأيضا أجازه "**أبو عبد الله محمد بن قاسم القصار**" بفاس سنة 1010هـ/1601م في الفقه والحديث، يقول المقري: « **ولما طلبت منه حفظه الله الإجازة، كتب لي خطه وأذن لي في كل مايجوز له وعنه روايته بشرطه المعتبر عند أهله**»[3]

علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي"ت 1057هـ/1647م"[4]: يُستفاد من فهرسة "كتر الرواة" لأبو مهدي عيسى الثعالبي، أن علي بن عبد الواحد الأنصاري درَس بحاضرة الجزائر بعد أن حل بها سنة 1043هـ/1633م، وأقام بها مدة أربع عشر سنة، أسهم خلالها بتنشيط الحياة الثقافية، فالتف حوله طلاب العلم ومنهم "أبو مهدي عيسى الثعالبي" الذي لازمه مدة تزيد عن عشر سنوات، ويقول في فهرسته: « **لازمته –بتوفيق الله– مدة تزيد على عشر سنين ارتفع بها حضيضي إلى أوج الكمال**»[5]، كما يورد نصا آخر يُبيَن فيه ما أخذه عن شيخه واتصاله بسلسلة إسناده فيقول: «**أخذت عنه صحيح البخاري إلى نحو الربع منه على وجه من الدراية بديع، التزم الكلام فيه على إسناده بتعريف رجاله[...]وما في الإسناد من اللطائف من كونه مكيا أو مدنيا[...]**»[6].

كما يُستفاد أيضا من إجازة " المانجلاتي " "لابن زاكور"، أنه لازم شيخه الأنصاري منذ أن حل بالجزائر إلى غاية وفاته، أي مدة أربعة عشر سنة أخذ عنه فيها الفقه وأصوله والتصوف والحديث[1]، كما ترد إشارة في غاية الأهمية في فهرسة"كتر الرواة" مفادها أن شيخه الأنصاري قد

---

(1) محمد بن علي الطرابلسي الخروبي الصفاقسي ثم الجزائري، من العلماء العارفين، من أبرز مؤلفاته"كفاية المريد، توفي بالجزائر سنة963هـ/1555م، محمد بن أحمد الحضيكي، المصدر السابق، ج1، ص ص:277،278.

(2) أحمد المقري، روضة الآس، ص: 300.

(3) المصدر نفسه، ص:330.

(4) الفقيه علي بن عبد الواحد الأنصاري السلجماسي، استقر بالجزائر ودرَس بها، كان له مجلس علم حافل، توفي بالطاعون ودفن بالجزائر، محمد أمين المحبي، المصدر السابق، ص: 174. ينظر الملحق ر قم 7.

(5) محمد بن أبي القاسم السجلماسي، **شرح اليواقيت الثمينة فيما انتمى لعالم المدينة**، در، تح:عبد الباقي بدوي، ط1،مج1 الرياض، مكتبة الرشد ناشرون،2004، ص: 38 نقلا عن فهرسة كتر الرواة لأبي مهدي عيسى الثعالبي.

(6) المصدر نفسه، ص ص: 30-31 نقلا عن فهرسة كتر الرواة.

(1) محمد بن قاسم بن زاكور، المصدر السابق، ص: 47.

منح إجازة لبعض الفضلاء من أصحابه، كتبها "أبو مهدي عيسى الثعالبي وبما أن هذا الأخير كان صهرا وملازما له فإن هذه الإجازة الجماعة كانت بحاضرة الجزائر يقول: «**هكذا أملى علّى نسبهُ رضي الله عنه في إجازة كتبتُها عنه لبعض فضلاء أصحابه[...]**»[1]، وانطلاقا من حرص العلماء على أخذ الإجازة والاتصال بالأسانيد العالية، فإن كل من "الثعالبي"و "المانجلاتي" اغتنما ملازمة شيخهما إلى غاية وفاته.

أبو عبد الله محمد بن سليمان الروداني"ت1095هـ/1684م"[2]: وردت إشارات عديدة في إجازة "أحمد بن قاسم البوني"[3] لولده في معرفة الإجازات التي منحها "الروداني" واتصال إسنادها ومجالاته، يقول أحمد بن قاسم البوني: «**وقرأت بعضه [صحيح البخاري] عليه[...]وأجاز لنا باقيه[...]وحضرته أيضا في سنن النسائي الصغرى[...]وذلك بمكة المشرفة سنة 1092هـ/1681م إجازة**»[4]، كما يروي أيضا جامع "الإمام الترمذي" بالإجازة عن الروداني[5].

كما يورد البوني سلسلة أسانيدة في الطريقة "الشاذُلية" والتي تتصل بالعلامة "على بن عبد الواحد الأنصاري" عن "أحمد المقري"، وسند كتاب "الشفاء" للإمام القاضي "عياض" بنفس سلسلة الإسناد[6]، فيقول: «فأرويها دراية ورواية عن سيدي والدي[قاسم] وهو عن الشيخ العلامة سيدي عيسى الثعالبي عن الحافظ المكثر ذي التأليف العديدة سيدي علي بن عبد الواحد الأنصاري عن الحافظ الكبير الأستاذ البدر المنير سيدي أحمد المقري[...]»[7].

وفي مقدمة فهرسة "صلة الخلف بموصول السلف" للروداني ما يغني الباحث عن تتبع سلسلة أسانيد رواياته وإجازاته، والتي يظهر فيها ذلك التشابك بين أسانيد المغاربة والتلمسانيين

---

(1) محمد بن أبي القاسم السجلماسي، المصدر السابق، ص: 19 نقلا عن فهرسة كنز الرواة.

(2) فقيه مغربي، درس بالجزائر ثم رحل إلى الحجاز، لقي العياشي والثعالبي، توفي بالشام، عبد الله بن محمد الفاسي، المصدر السابق ص:304. ينظر الملحق ر قم1.

(3) فقيه مالكي، رحل إلى مصر ثم إلى الحجاز، أجازه محمد بن سليمان الروداني، توفي سنة1139هـ/1726م، عادل نويهض المرجع السابق، ص ص:49-51.

(4) أحمد بن قاسم البوني، **ثبت أحمد بن قاسم البوني**، تح: محمد شايب شريف، دط، الجزائر، منشورات تالة، 2013، ص ص: 47-48.

(5) المصدر نفسه، ص: 60.

(6) نفسه، ص ص: 67-68.

(7) نفسه، ص: 63.

يقول: «**يقول العبد الفقير محمد بن محمد بن سليمان[...]:بحمد الله أروي مابين السماع والقراءة والإجازة الخاصة والعامة وهي أكثر: إلى رحلة المغرب وأستاذه أبي عبد الله محمد بن احمد بن علي بن غازي العثماني المكناسي ثم الفاسي، عن شيخنا شيخ الاسلام أبي عثمان سعيد بن ابراهيم الجزائري عرف بقدورة، عن قدوة الايمة وسند الأمة أبي عثمان سعيد بن احمد المقري مفتي تلمسان ستين سنة عن الحافظ أبي الحسن علي بن هارون[...]**»[1]

لقد بيَن كل من ثبت "البوني" و"الروداني" شبكة الأسانيد التي اتصلت بأعلام من الجزائر والمغرب الأقصى عموديا، ونشاط الأعلام في المشرق الإسلامي، خاصة إجازات "محمد بن سليمان الروداني" الذي درس بحاضرة الجزائر، كما بيَنت أهمية سند أعلام تلمسان في القرن 11هـ/17م ممثلا في كل من "أحمد المقري" وعمه "سعيد المقري".

(1) محمد بن سليمان الروداني، **صلة الخلف بموصول السلف**، تح: محمد حجي، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1988 ص:21. ينظر أيضا: الملحق رقم:2

2/تبادل الرسائل والفتاوى:

يُعد تبادل المراسلات، من أظهر الوثائق وأقربها إلى موضوع الصّلات الثقافية، وذلك لما تنطوي عليه هذه الرسائل على قدر ملحوظ من المادة التاريخية، كما أنها تعتبر ميدان فسيح للأدب والفقه، وتبيّن ذلك التواصل بين أهل العلم والدين، كما تساعدنا في رسم صورة للوضع السياسي والاجتماعي للبيئة الجغرافية والعلمية، هذا ما يجعل من فن الترسل يرسي قواعد للأسس الثقافية بين الجزائر والمغرب الأقصى،كما قد فرضت بعض القضايا الفقهية تبادل الفتاوى بين فقهاء البلدين، وذلك في ظل وحدة المذهب المالكي، هذا ما أسهم في تنشيط الحركة الفقهية ووسّع مجال التفاعل الديني ليشمل أهم الحواضر العلمية.

2-1/ مفهوم الرسالة والفتوى:

2-1-1/ الرسالة في اللغة: هي من الأصل الثلاثي «رَسَلَ»، وراسله مُرَاسَلة فهو مُراسِل القوم، أرسل بعضهم إلى بعض، وبينهما مكاتبات ومراسلات، والرسالة من اسم أرسل والمشتملة على قليل من المسائل من نوع واحد وجمعها الرسائل[1] .

أما اصطلاحا: فيعرفها القلقشندي بقوله: «**الرسالة المراد فيها أمور يرتبها الكاتب من حكاية حال من عدو أو صديق، أو مدح أو تقريظ، أو مفاخرة بين شيئين، أو غير ذلك مما يجري هذا المجرى، وسُميت رسائل من حيث أن الأديب المنشئ لها ربما كتب بها إلى غيره مخبرا فيها بصورة الحال، مُفتتحة بما تُفتتح به المكاتبات، ثم توسع فيها فافتُتحت بالخطب وغيرها**»[2].

ومن خلال نص القلقشندي حول تعريف الرسالة، تتضح الإشارات الدالة على موضوعاتها وصورها، وذلك حسب ما يترتب لدى المنشئ خلال صدورها.

2-1-2/ الفتوى: لغة:جاء في "لسان العرب" في مادة "**فتا**": أفتاه في الأمر: أبانه له، وأفتى الرجل في المسألة واستفتيته فيها، فأفتاني إفتاء، وأفتيته في مسألة إذ أجبته عنها، والفُتيا والفُتوى والفتوى: ما أفتى به الفقيه[1]، وأرجع "ابن فارس" أصل استعمال مادة "فتي" إلى أصلين: الفاء

---

(1) جمال الدين محمد بن منظور، المصدر السابق،ج6، ص:153

(2) أحمد بن علي القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، شر،تع، محمد حسين شمس الدين، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987،ج14، ص:157.

(1) جمال الدين محمد بن منظور، المصدر السابق، ج11، ص:128.

والتاء والحرف المعتل أصلان: أحدهما يدل على طراوة وجدة، والآخر على تبيين حكم، فالأول الفتي: وهو الطري من الإبل، والفتى من الناس: واحد من الفتيان، أما الثاني هو الفُتيا، يقال: أفتى الفقيه المسألة، إذ بَين حكمها، واستفتيت، إذا سألت عن الحكم[1]، قال الله تعالى: ﴿ **يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُواْ إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاء فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[2].

أما اصطلاحا: فقد عرّفها العلماء بتعريفات عديدة منها:

ما جاء في كتاب "الفروق" للقرافي: الفتوى إخبار عن حكم الله تعالى في إلزام أو إباحة[3] كما عرّفها "المرغيتي" وهو من فقهاء المغرب الأقصى في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي بقوله: «**الفُتيا هي الفتوى، وهي الإشارة في المسألة بالجائز**»[4]، وقد عرفتها "الموسوعة الفقهية" بأنها تبين الحكم الشرعي عن دليل لمن سأل عنه، وهذا يشمل السؤال في الوقائع وغيرها[5].

ومنه فإن الحاجة لطلب الفتوى والآراء الفقهية، كانت تفرضه بعض الإشكالات الدينية والتي فرضت بدورها التواصل بين العلماء مباشرة أو مراسلة من مختلف الحواضر العلمية.

2-2 / المراسلات المتبادلة بين علماء الجزائر والمغرب الأقصى:

لتبيان دور الرسالة كأداة من أدوات التفاعل الثقافي بين البلدين اقتصر البحث على دراسة نماذج من الرسائل المتبادلة بين العلماء-الإخوانية- وتبيان غرضها، دون التركيز عن الرسائل الديوانية والتي في حدود اطلاعي لم تكن كثيرة، إلا بعض ما أورده الناصري في مؤلفه "الإستقصا" من رسائل وردود بين باشا الجزائر "عثمان" وسلطان سلجماسة "محمد بن الشريف

---

(1) أحمد أبو الحسن بن فارس، المصدر السابق،ص:277.

(2) سورة النساء، الآية:176.

(3) أحمد بن إدريس القرافي، **كتاب الفروق"أنوار البروق في أنوار الفرق"**، در، تح: محمد أحمد سراج وعلي جمعة محمد، ط1، القاهرة ،دار السلام، 2001، مج4، ص: 1183.

(4) محمد بن سعيد المرغيتي ، المصدر السابق، ج1، ص: 312.

(5) وزارة الأوقاف الكويتية، المرجع السابق، ج32، ص: 20.

العلوي" حول الاعتداءات المغربية وإثارة أهالي تلمسان ضد العثمانيين[1]، ومنه فقد أنجزت جدولا يضم نماذج للمراسلات المتبادلة بين أعلام البلدين خلال القرن الحادي عشر هجري/ السابع عشر ميلادي، ثم علقت على معطياته مبينا دور الرسالة كأحد أهم أدوات التفاعل الثقافي بين البلدين وهو ما يوضحه الجدول التالي:

الجدول رقم(8) نماذج للمراسلات المتبادلة بين علماء الجزائر والمغرب الأقصى :

المُرسِل	المُرسَل إليه	تاريخ الرسالة	غرضها	مصدرها
أحمد بن القاضي بن أبي العافية	**أبو عثمان سعيد المقري**	1009هـ/1600م	**طلب الإجازة**	أحمد المقري، روضة الآس ص ص: 266-268.
أبو عثمان سعيد المقري	**أحمد بن القاضي بن أبي العافية**	1009هـ/1600م	**منح الإجازة**	المصدر نفسه، ص ص: 268-269.
أبو الحسن علي بن أحمد القاسي الشامي	**أحمد المقري**	1025هـ/1616م	**المدح**	أحمد المقري، الرحلة ص ص: 205-206.
عبد العزيز الفشتالي		1027هـ/1618م	**المدح**	المصدر نفسه، ص ص: 194-196.
أبو بكر السوسي المراكشي		1036هـ/1626م	**طلب فتوى فقهية**	نفسه، ص ص: 104-105.
محمد بن عبد الواحدالرجراجي		بدون تاريخ	**طلب الإجازة**	نفسه، ص ص: 124.

(1) أحمد بن خالد الناصري ، المصدر السابق، ج7، ص ص: 22-26.

أحمد المقري	**أحمد النقسيس التطواني**	1025هـ/1616م	**الحث على الجهاد**	أحمد المقري، الرحلة ص ص: 141-142.
	أبو بكر الدلائي وابنه **محمد**	1021هـ/1612م	**طلب الدعاء**	نفسه، ص ص: 59-61.
أبو سالم العياشي	**أبو مهدي عيسى الثعالبي**	1065هـ/1655م	**المساعدة على لقاء الشيوخ والأخذ عنهم**	أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، ج2، ص ص: 185-187.
أبو مهدي الثعالبي	**أبو سالم العياشي**	1065هـ/1655م	**المدح**	المصدر نفسه، ج2، ص: 187-188.
أبو عبد الله محمد القسنطني الكماد	**الستاوتي أحمد بن عبد القادر**	1105هـ/1693م	**التعزية**	أحمد الطريبق أحمد، **الخطاب الصوفي في الأدب المغربي على عهد السلطان المولى إسماعيل**، ج1، ص: 185-187.

من خلال قراءة الخانة الخاصة بالغرض من التراسل الواردة في الجدول، يتأكد للباحث بأن الرسالة هي حجر الزاوية الذي يدفع نحو العلاقات الثقافية والفكرية، ويوَسع مجالها ويعمقه كثيرا، كما يتضح من تنوع الغرض المقصود من كتابتها، أن الرسالة أنواع.

2-2-1/ رسائل بغرض علمي[1]:

من الرسائل المتبادلة بغرض علمي-كطلب الإجازة أو الفتوى- ما أورده أحمد المقري في مؤلفه "روضة الآس"، حول الرسالة التي حملها من الفقيه "أحمد بن القاضي" إلى عمّه "أبو عثمان سعيد المقري"، بغرض الإجازة، كما حمل أيضا ردًا يُجيز فيه هذا الأخير أحمد بن القاضي[2] ويورد أيضا في "رحلته" رسالة الفقيه "محمد بن الواحد الرجراجي" له يطلب فيها الإجازة[1] كما بعث الفقيه "أبو بكر السوسي" برسالة إلى "أحمد المقري" وهو **بمكة** تحمل بعض الأسئلة

(1) ينظر الملحق رقم3.

(2) أحمد المقري، روضة الآس، ص ص: 266-269.

(1) أحمد المقري، الرحلة، ص: 124.

الفقهية حول مناسك الحج وآداب الصلاة وحكم تاركها[1].

وتعتبر رسالة "أبو سالم العياشي" إلى شيخه "أبو مهدي عيسى الثعالبي"، مثالا للتعاون العلمي من أجل لقاء الشيوخ والأخذ عنهم، وقد أجابه شيخه لذلك ومدحه برسالة شعرية[2].

وفي نوازل "الفكون" وردت بعض الردود من مفتي الحضرة الفاسية "محمد بن بلقاسم القيسي القصار" إلى حاضرة قسنطينة حول نازلة فسخ الحبس سنة 1009هـ/ 1600م مراسلة، كما ورد جواب القاضي "عمر المكلاتي" حول نفس النازلة[3]، وهذا ما يدل على مدى سعة دائرة العلاقات العلمية والفكرية بين أعلام الجزائر وعلماء عصرهم من المغرب الأقصى .

2-2-2/ رسائل بغرض أدبي:

أما فيما يخص اللون الأدبي، فقد عرف مُراسلات بغرض التلغيز باعتباره كان أهم رياضة فكرية لدى علماء العصر، كما كان فرصة لإبراز الذكاء العقلي والترويح عن النفس، فقد أورد أحمد المقري في "روضة الآس" رسالته إلى "عبد الله محمد بن علي الوجدي"، التي كتبها من **تلمسان** إلى **فاس**، ملغزا صاحبه بمقطوعة شعرية من تسعة أبيات حول لفظ"القمر"[4].

كما راسل "علي بن أحمد الفاسي"، أحمد المقري وهو **بمصر** ملغزا في لفظ "أمس" بمقطوعة شعرية من ثلاثة وثلاثين بيتا، ليجيبه المقري مُراسلة أيضا شعرا بمقطوعتين من ستة أبيات[5] وراسله الأديب "عبد السلام المكلاتي" مكملا لحل اللغز بمقطوعة شعرية من ثلاث أبيات[6]، كما أجابه "بن ناصر الفاسي" على لغز لفظ "الكتاب " مراسلة بمقطوعة شعرية من ثمانية أبيات، قبل إجابة علي بن أحمد الفاسي[1].

---

(1) أحمد المقري، الرحلة، ص ص: 104-105.

(2) أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية،ج2، ص ص: 185-187.

(3) محمد بن عبد الكريم الفكون، **كتاب النوازل**، مخ، خ، نسخة مصورة، تحصلت عليها من طرف الأستاذ الدكتور: علاوة عمارة بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، ص ص: 279-314. ينظر الملحق ر قم6.

(4) أحمد المقري، روضة الآسن ص: 264.

(5) أحمد المقري، الرحلة، ص ص: 49، 200،201.

(6) المصدر نفسه، ص: 49.

(1) نفسه، ص ص: 92، 181،182.

2-2-3/ رسائل عامة:

تعددت دوافع كتابة الرسائل الإخوانية في أغراض شتى كالتعزية في فقيد أو التهنئة بمولود أو الإخبار بتأليف كتاب أو المدح والمجاملة ونحو ذلك من الأغراض الاجتماعية.

أورد صاحب "نزهة الناظر" رسالة تعزية لـــ"أبو عبد الله محمد القسنطيني الكماد" إلى الفقيه "أحمد بن عبد القادر التستاوتي في وفاة ولده سنة 1105هـــ/1694م، استطاع فيها أن يرسم صورة المتوفى المعزى فيه، جاء فيها«**[...]وقد كان يؤنسنا ويشنف أسماعنا، ويشاركنا في حلونا ومرنا، ويخفف عنا ما نزل بنا، ويُنشدنا من نبات فكره ما يُطرب الجنان ومن محفوظاته ما يُزيح الأحزان**»[1].

كما يورد المقري مراسلة الأديب "المكلاتي" له بمناسبة تأليفه كتاب "أزهار الرياض"، ويُبرز مقطوعاتها الشعرية، التي تمدح المُؤلِف والمُؤلف معا[2]، ويقول المقري أيضا أنه لما قرر الرحيل إلى الحجاز، راسله "علي بن محمد الفاسي" يودّعه فيها، وذلك سنة 1027هـــ/1618م، بمقطوعة شعرية من ثلاثة عشر بيتا،جاء فيها:

ودعتكم متأسفا لفراق بحشاشتي وبدمعي المهراق

إلى أن يقول:

يا راحلا رحلت لذكر رحيله حلل السرور وخيمت أشواق[3].

وقد صنفت الباحثة"ليلي غويني" مراسلات أبو الحسن على الشامي إلى المقري بمناسبة تأليفه كتاب"أزهار الرياض في أخبار عياض" في جدول يتضمن ثماني مقطوعات شعرية سميت بـــ"أنهار الحياض العبقرية في أزهار الرياض المقرية"، تتكون من ستة عشر بيتا ضمنها المقري مؤلفه من الجزء الأول إلى الخامس[1].

كما راسله الفقيه "علي بن عبد العزيز السوسي" لما كان بميناء **تطوان** يودعه فيها بمنظومة

---

(1) أحمد الطريبق، المرجع السابق، ج1،ص ص: 164-165، نقلا عن: **مخ نزهة الناظر**، مخ، ج1، ورقة: 81، تطوان.

(2) المقري أحمد، الرحلة، ص ص: 45-48.

(3) المقري أحمد، الرحلة، ص ص: 201-202.

(1) ليلي غويني، المرجع السابق، ص ص:134-135.

من تسعة أبيات أبدى فيها مشاعر ألم الفراق الذي تركه المقري في المغرب الأقصى[1]، وراسل أحمد المقري وهو **بمصر** كل أبو بكر الدلائي صاحب الزاوية الدلائية وابنه محمد، يلتمس منهما الدعاء والبركة، وذلك سنة 1041هـ/ 1631م جاء في مطلعها:

خليلي إن جئت الدلا وجرى ذكرى لدى حضرة الشيخ الرضى ابن أبي بكر

نتيجة سر الأولياء محمد معرّف كليات فضل بلا نكر

كما بقي المقري يراسل أستاذه محمد بن أبي بكر ويبعث إليه بنسخ مما يؤلفه من كتب في المشرق، كما بادله شيخه المراسلة يضمنها أسئلة مختلفة في الأصول والفروع من العلم الشرعي طالبا منه الإجابة[2].

كما نجد أيضا أن أحمد المقري سنة 1025هـ/1616م، قد راسل المقدم "أحمد النقيس التطواني" يحثه فيها على الجهاد، جاء فيها: «[...]**وافتلوا حبل الجهاد وأبرموه، فقد طرق الأسماع استعداد العدو خذله الله وأذله، ولا يُعتمد الآن على غيركم في الجهاد من أهل الملة[...]**»[3].

وفي طريق التصوف نجد أن أهل تلمسان بعثوا برسالة إلى الشيخ "محمد بن ناصرالدرعي" بخصوص إدراك "الطريقة الناصرية" وأن يدّلهم على طريق الحق، كما يجيبهم مراسلة بقوله: «[...]**وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته: فإني أحمد الله إليكم، الله الذي لا إله إلا هو[...] ومخالفة الهوى وشهود المنة، وهذه سيرة أشياخنا، وأما أمر الرزق فلا تهتموا به فإن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، وليكن اهتمامكم بما يقربكم إلى ربكم[...]**، وأما السبحة **والضيافة والخرقة فليس عندنا فيها رواية، وإنما طريقتنا الذكر، فإن رغبتم في الدخول في السلسلة، فصححوا التوبة بشروطها**»[1].

كما يورد الراشدي صاحب "الثغر الجماني" مراسلة أهل الجزائر إلى "محمد بن أبي بكر الدلائي" يطلبون منه أن يحرر الغرب الجزائري من الاحتلال الاسباني، جاء في نص الرسالة ما

---

(1) ليلي غويني، المرجع السابق، ص ص: 185-186.

(2) أحمد المقري، الرحلة، ص ص: 57-58.

(3) المصدر نفسه، ص ص: 141-142.

(1) أحمد الطريبق، المرجع السابق، ج1، ص: 69، نقلا عن: **إتحاف المعاصر برسائل الشخ بن ناصر**، مخ، الجامع الكبير وزان رقم 504مج، ص: 21.

يلي: «والله الله **سيدي جعل انقاذ هذا الغرب في صحيفة أعمالكم، شمروا سيدي عن ساعد الاجتهاد، وأذنوا في الناس بالجهاد[...]**»[1].

بالرغم من أن الرسائل العامة لا تركز في إطارها الإخواني على الروابط الفكرية والعلمية لكن لا يمكن تجاهل دورها في تبيان جوانب خفية من تفاعل العلماء في أوساط مجتمعاتهم من حيث الإسهام في القضايا التي تخص عصرهم، كما أنها كانت بمثابة وسائل الاتصال لحفظ العلائق الودية بينهم.

2-3/ تبادل الفتاوى بين فقهاء الجزائر والمغرب الأقصى:

سأحاول أن أعرض نماذج لبعض الفتاوى من مصدرين للنوازل في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، بالمغرب الأقصى والجزائر، وذلك لتبيان دور الفتوى في تمتين أواصر العلاقات الدينية بين الفقهاء وتحديد مدى سعة دائرة التفاعل الديني بين البلدين.

2-3-1/ كتاب: "الجواهر المختارة مما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة[2]:

أورد "عبد العزيز الزياتي"[3] في نوازله، العديد من الفتاوى الفقهية، مرتبة حسب أبواب الكتاب، للعديد من الفقهاء منهم من الجزائريين المتقدمين و المتأخرين، وقد حاولت تركيز البحث على المتأخرين منهم، وهم: محمد بن عبد الرحمن بن جلال[1] وابنه أحمد بن محمد بن عبد

---

(1) أحمد بن محمد بن علي الراشدي، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تح، تق: المهدي البو عبدلي، د.ط، قسنطينة، مطبعة البعث،1973 ص ص:20-21.

(2) عبد العزيز بن الحسن الزياتي، الجواهر المختارة، مما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة، مخ، ج2، مكتبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، رقم: 3/7/217.

(3) الفقيه عبد العزيز بن أبي الحسن ابن أبي الطيب بن يوسف مهدي الزياتي الفاسي من أعلام غُمارة، درس بفاس، توفي بتطوان سنة1055هـ/1645م، محمد الصغير الإفراني، صفوة من انتشر، ص:157.

(1) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن جلال التلمساني"ت981هـ/ 1573م"نزيل فاس، ومفيتها، أحمد بابا التمبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تق: عبد الحميد الهرامة ط1، طرابلس الغرب، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، 1989،ص: 599.

الرحمن بن جلال[1] ومحمد بن هبة الله شقرون[2] و أبو العباس أحمد المقري، الذين ساهموا في إثراء الحقل الديني بالمغرب الأقصى وخصوصا بفاس، وذلك من خلال تفاعلهم مع نظرائهم بالأجوبة والردود.

فقد تصدر "أحمد المقري" الفقهاء الجزائريين من خلال الردود والأجوبة على النوازل الفقهية بالمغرب الأقصى، فنجد أن "الزياتي" ينقل له العديد من الفتاوى، منها ما جاء في باب الأنهار والسواقي بقوله:«**وسئل الفقيه الحافظ المفتي أبو العباس أحمد بن محمد المقري رحمه الله، عن ساقية ماء حبس خارج المدينة[...] فأجاب:الذين كانوا ينتفعون ببعض الساقية لا حجة لهم في طول الجوز[...] والله أعلم**»[3].

وتتعدد فتاوى الفقيه " أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن جلال "، بحيث ترد بصيغة الإمام العلامة وهذا ما يدل على مكانته العلمية والدينية بفاس، ومن جملة ما أورده الزياتي من فتاويه ما جاء في باب بيع السّلم بما نصه: «**وسئل الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن جلال رحمه الله ، من أسلم آخر على رطل ونصف من الحديد، ثم إنه قبض من المسلم نصف الرطل [...] فأجاب: السّلم على الوجه المذكور صحيح**»[4].

وينقل أيضا فتاوى لابنه "أبو العباس أحمد بن محمد"، منها ما جاء في باب الحجر بمانصه: «**وأجاب الفقيه المحسن المفتي أبو العباس أحمد بن جلال رحمه الله بما نصه: ماذكره المجيب[القاضي أبو سالم ابراهيم الكولالي] والجواب أعلاه صحيح، وأن أفعال الوصي المسند إليه الوصية نافذة ثابتة، ولاسبيل غلى نقض المفاصلة الواقعة على الوجه الشرعي[...]**»[1]

كما سئل الفقيه "محمد بن هبة الله شقرون" في باب الأنهار والسواقي حول حكم حوز الماء بما نصه: «**وسئل الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن هبة الله المعروف بشقرون بن هبة رحمه الله عن**

---

(1) أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمان بن جلال التلمساني"ت1048هـ/1638م"، محمد الصغير الإفراني، صفوة من انتشر، ص:

(2) أبو عبد الله محمد بن هبة الله الزياتي المعروف بشقرون"ت: 983هـ/1575م"، مفتي تلمسان وفقيهها، محمد بن أحمد الحضيكي، المصدر السابق،ج1، ص: 274.

(3) عبد العزيز بن الحسن الزياتي، المصدر السابق، ج2، ص:175، للمزيد من الاطلاع ينظر الملحق رقم 4.

(4) المصدر نفسه، ص:167.

(1) نفسه، ص:264.

ماء منبعه في أرض أناس، وحوزه بين أناس آخرين يسقون به أملاكهم[...] فأجاب: يقضي بالبينة المذكورة على الوجه الموصوف والله سبحانه أعلم»[1].

ويورد "الزياتي" إشارة هامة، تخص ورود أحد فقهاء تلمسان على حضرة فاس، بحيث كانت له مشاركة في علوم شتى فيقول: «[...]**كما نقله[أبو فارس عبد العزيز بن علي المغراوي الفلالي] من خط الحاج الزموري وكان من تلمسان، وورد على حضرة فاس، وكانت له مشاركة في علوم شتى، وكتب بخطه ما لم يكتب غيره في عصره رحمه الله تعالى [...]**»[2].

ويُستفاد من نصوص نوازل"الزياتي" معرفة مدى تفاعل الفقهاء الجزائريين ومساهمتهم في الحياة الدينية بالمغرب الأقصى وخصوصا بحاضرة"فاس"، كما تُبرز لنا دورهم من حيث تولي خطة الفتوى، ومكانتهم ضمن الشبكة العلمية للفقهاء.

2-3-2/ كتاب "النوازل" لمحمد بن عبد الكريم بن محمد الفكون التميمي[3]:

ضمت نوازل "الفكون" العديد من الفتاوى لفقهاء المغرب العربي ومصر، قام بجمعها وترتيبها "محمد بن عبد الكريم الفكون"[4]، امتد مجالها الزمني من القرن 09هـ/ 15م إلى القرن11هـ/ 17م[5]، ومن الفقهاء المغاربة الذين استشيروا في هذه النوازل خلال القرن 11هـ/17م، محمد بن بلقاسم القيسي القصار[1] مفتي فاس، وعلي عبد الرحمان بن عمران قاضي فاس، وأبو عبد الله محمد بن مزيان الراشدي التواتي نزيل قسنطينة.

وقد تصدر الإفتاء في نوازل "الفكون" المفتي "أبو عبد الله محمد التواتي"[2]، ويرجع ذلك إلى

---

(1) عبد العزيز بن الحسن الزياتي، المصدر السابق، ج2، ص:230.

(2) المصدر نفسه، ص ص:165-166.

(3) محمد بن عبد الكريم الفكون، كتاب النوازل، مخ، خ، نسخة مصورة.

(4) محمد بن عبد الكريم الفكون ابن العلامة عبد الكريم الفكون، وهو جامع كتاب النوازل(ت1114هـ/1702م)، فاطمة الزهراء قشي، **شهود العدالة في قسنطينة القرن التاسع عشر، الانتماء العائلي والمسار المهني**، مجلة انسانيات،العدد المزدوج35-36،2012، ص:2.

(5) فاطمة الزهراء قشي، **الحياة الفكرية في قسنطينة خلال العهد العثماني مساهمة عائلة الفكون**، المجلة التاريخية المغاربية العدد، 57-58، السنة17، ص: 322.

(1) عبد الله محمد بن قاسم القيسي القصار الأندلسي الأصل ت1012هـ / 1603م، مفتي فاس ومحدث المغرب في وقته محمد بن أحمد الحضيكي، المصدر السابق،ج1،ص: 335.

(2) فاطمة الزهراء قشي، الحياة الفكرية في قسنطينة ، ص: 328.

توطنة حاضرة قسنطينة و مساهمتة الفعالة في إثراء الحياة الثقافية بها، ومن مشاركاته ما أفتى به في نازلة فسخ الحبس بما نصه: «[...] **الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، تأملت ما ذكرته بمحوله، فإذا السؤال فيه أربعة أشياء [...]، فاعلم وفقني وإياك أن ما ذكرته من التصرف على غير وجه النظر[...] والله أعلم**»[1]، وقد طُرحت فتاويه في المجلس الذي عُقد بالجامع الأعظم ضد ادعاءات ابن محجوبة الذي أراد فسخ الحبس[2]

ويُستفاد أيضا من نصوص نوازل "الفكون"، ذلك التفاعل بين الشيخ عبد الكريم الفكون وأستاذه محمد التواتي من خلال رسالة بعثها إليه لحل إشكال عقدي يخص وجود الله وعدم الوقوع في الشرك[3]، كما ترد فتوى لمفتي فاس "محمد بن بلقاسم القصار" في نفس نازلة فسخ الحبس مؤرخة في: 02 صفر 1009هـ/ 13 أوت 1600م، بما نصه: «**وأجاب عن السؤال المذكور مفتي الحضرة الفاسية العلامة سيدي محمد بن أبي القاسم القصار بما نصه: الحمد لله [...]إن كانت صورة هذه المسألة كما ذكر السائل، فالحبس صحيح، وكتبه محمد بن أبي القاسم القيسي القصار عفى الله عنه**»[4].

كما يبرُز بصورة جلية مدى تفاعل الفقهاء والعدول المغاربة مع نص جواب الشيخ المفتي القصار، وذلك من خلال التعقيب على جوابه، بحضور خطي بشهادة عدلين من عدول حاضرة فاس، أوردها جامع النوازل مع فتوى القصار بما نصه: « **ويعقُب جوابه [القصار] رحمه الله ما نصه: بخط قاضي الجماعة بحضرة فاس حرسها الله وهو العلامة الحافظ سيدي علي عبد الرحمن بن عمران [...] وبطرة خطيهما مكتوب بشهادة عدلين من عدول فاس** »[1].

كما يظهر أيضا تفاعل مفتي حاضرة الجزائر"عبد الله عمار" مع فتوى الشيخ القصار، من خلال التعقيب على جوابه بما نصه: «**[...] ما أُجيب به لهو صحيح، وعليه أوافق [...]وكتبه عبد الله عمار وفقه الله**»[2]، وهذا يدّل على مدى تفاعل فقهاء الحواضر العلمية في الجزائر مع

---

(1) محمد بن عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص: 302. ينظر الملحق ر قم6.

(2) أبو القاسم سعد الله، عبد الكريم الفكون، ص:148.

(3) المصدر نفسه، ص ص: 562-563.

(4) محمد بن عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص: 314. ينظر الملحق ر قم5.

(1) المصدر نفسه، نفس الصفحة. ينظر الملحق ر قم3.

(2) نفسه، ص:314.

الفتاوى الواردة من حاضرة فاس.

من خلال نصوص نوازل "الفكون" يدرك الباحث مدى أهمية قسنطينة كحاضرة تفاعل علمي، وكيف شارك الفقهاء المغاربة في حل المشاكل الاجتماعية متجاوزين بذلك المسافات البعيدة، وكما برز "أحمد المقري" بفاس، نجد أن "أبو عبد الله محمد التواتي" برز بقسنطينة، هذا ما بيّن أحد أوجه التفاعل الثقافي من خلال تبادل الفتاوى.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3/ مجالس الدرس وترويج المؤلفات:

تُعد مجالس الدرس الحقل الخصب للتفاعل الثقافي، حيث أنها تُظهر جوانب هامة من النشاطات العلمية من خلال الدروس والمحاورات والكتب المقروءة وتأليفها وتبادلها، كما أنّ لحضور الكتاب دور مهم في نقل المعارف وترويجها، ومنه سنركز الدراسة على نماذج لأبرز مجالس العلم في الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، تصدّرها أبرز العلماء خارج بلدانهم، كما سنبرز حضور أهم المؤلفات المتداولة.

3-1/مجالس الدرس في الجزائر:

يقدم "منشور الهداية" للفكون، معلومات مفيدة عن مجلس "أبو عبد الله محمد التواتي"- الذي حلّ بقسنطينة قادما من المغرب الأقصى سنة 1023هـ/ 1614م-، وعن كيفية انتشار علمه وذيوع صيته في أوساط الطلبة، وكيف أن أهل قسنطينة قدّروا منزلته العلمية، يقول الفكون: «**فاجتمع إليه خواص البلد لإمساكه وقالوا له: عندك ما يكفيك من العلم وهذا فرض كفاية واشتغالك بتعليم أولاد المسلمين ربما يكون أرجح**»[1].

كما يُستفاد من ما حصّله "عبد الكريم الفكون" عن مجلس درس شيخه التواتي، أن مجلسه كان متعدد الاختصاصات ولم يقتصر على علم واحد، فقد شمل تدريس العقيدة والنحو والتفسير والحديث[2]، كما لم تخل إشارات "الفكون" من أن مجلس شيخه التواتي كانت تتم فيه المحاورات والمناقشات، فقد كان يباحث شيخه وكان يسُّر بذلك[1]، كما أن زميله "أبو عبد الله محمد بن راشد الزواوي" كان أيضا كثيرا ما يناظر شيخه التواتي في النحو[2].

---

(1) عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص: 58.

(2) المصدر نفسه، ص: 59.

(1) جرت للفكون مباحثة مع شيخه التواتي حول إعراب كلمات من القرآن "**عدد خلقه**"، "**رضى نفسه**"، "**زنة عرشه**"، نفسه، ص: 59.

(2) كانت المناظرة تقع بين التواتي والزواوي بسبب اعتماد كل واحد منهما على مصدر في النحو، فالتواتي كان يعتمد على كتاب التسهيل لابن السراج، والزواوي كان يعتمد على كتاب ابن ببشاذ، نفسه، ص: 107.

كما يقدم لنا "الفكون" وصفا لطريقة تدريس التواتي في مجلسه، بقوله: «**[...]وكان في مجلس تدريسه متواتر الكلام ، في علم ما يقريه كأن ما ينفصل منه درر منظومة لا [يتلعثم]**[1]**، ولا يفصل بين اللفظين،ولا يتروى إلاّ قليلا، كل ذلك دليل علـى كثـرة حفظـه وعلّـو شـأنه في بسـط العبارة[...]**»[2].

ومن خلال التراجم التي أوردها الفكون في "المنشور" يستطيع الباحث أن يحصي عددا من الأعلام الذين تخرجوا من مجلس الشيخ التواتي، وكان له تأثير بارز في تحصيلهم، فنجد منهم المفتي والمدرس مثل "أبو عمران موسى الفكيرين[3]، والنحوي الفقيه مثل "أبو عبد الله محمد بن راشد الزواوي[4]، والموثق مثل "أبو عبد الله بن باديس»[5].

ويبدو أن قسنطينة قد وفرت لأبو عبد الله محمد التواتي كل ظروف التألق، والذي استطاع بدوره أن يترك بصماته من خلال مجلسه في العديد من الأعلام أبرزهم "عبد الكريم الفكون".

أما في حاضرة الجزائر فقد برز مجلس الشيخ "عبد الواحد الأنصاري" الذي حلّ بها سنة 1043هـ/1633م بعد رجوعه من مصر[6]، حيث لقي حظوة كبيرة، والتف حوله طلاب العلم يقول العياشي في رحلته "ماء الموائد" حول مجيء الأنصاري إلى الجزائر بمانصه: «[...]**وصول العالم العلامة حافظ وقته سيدي علي بن عبد الواحد الأنصاري الفيلالي إليها [الجزائر]، وإقباله على نشر العلم بين أهلها، وتصدّيه للتعليم بكليته، وحصول القبول التام له عند عامتها وخاصتها**»[1].

ويصف"أبو مهدي عيسى الثعالبي"مجلس شيخه الأنصاري وطريقة تدريسه بقوله: «**وأما حاله في إلقاء العلوم، ونشر مطارف المنثور منها المنظوم، فكان فارس ميدانها[...]ينقادُ لقلم بيانه تنقيحها وتحريرها، وطوع يده تواريخها وسيرها، ونصب عينيه إنشاؤها وخبرها**»[2]، كما يصف مجلسه في

---

(1) الكلمة في أصل متن الكتاب "يتعلم"، لكن وضعت كلمة "يتلعثم" ليستقيم المعنى، وقد وضعها المحقق في الهامش، عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، الهامش رقم: 5،ص: 58.

(2) المصدر نفسه، ص ص: 58-59.

(3) نفسه، ص: 93.

(4) نفسه، ص ص: 105-109.

(5) نفسه، ص: 209.

(6) محمد أمين المحبي، المصدر السابق، ج3، ص ص: 173-174.

(1) أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، ج2، ص ص: 182-183.

(2) محمد بن أبي القاسم السلجماسي ، المصدر السابق، ص ص: 29-30 نقلا عن: فهرسة كتر الرواة.

القراءات بقوله: «**والتزم لنا–رحمه الله– حين قراءته إيراد سورة من قصار المفصل، فيسألنا أولا عن رسمها بما تقتضيه قواعد الرسم، ثمّ عن ضبطها كذلك، ثمّ عن قراءتها، ثمّ عن إعرابها، وكل ذلك تمرين للطالب وتشحيذ لذهنه**»[1]، وهي طريقة كان الأنصاري يعتمدها لجلب اهتمام الطلبة وإثارتهم.

ومما يثبت أن مجلسه كان متعدد الفنون من العلوم، وصف تلميذه "الثعالبي" بما نصه: «**كلما أقرأ فنا من الفنون، ظنّ السامع أنه لا يحسن غيره**»[2]، وفي نص إجازة "المانجلاتي" لابن زاكور ما يثبت هذا التنوع في الاختصاصات،«[...]**وأخذت عنه[المانجلاتي عن الأنصاري] فن الأصول والبيان والمنطق ومصطلح الحديث والفقه والحديث والسّير والتصوف**»[3].

وقد تخرج العديد من الأعلام الجزائريين من مجلس "عبد الواحد الأنصاري"، وبرزوا في تنشيط الحياة الثقافية بالمغرب والمشرق، أبرزهم أبو مهدي عيسى الثعالبي وأبو حفص عمر بن عبد الرحمن المانجلاتي وأبو زكريا يحي بن محمد الشاوي الذي تصدر للتدريس بالأزهر في مصر[4].

3-2/مجالس الدرس في المغرب الأقصى:

يعد مجلس درس **محمد بن أحمد الوقاد التلمساني**"ت1001هـ/ 1593م" **بتارودانت** من أبرز المجالس العلمية التي تصدرها أعلام من الجزائر نهاية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر ميلادي ففي "الفوائد الجمة" للتمنارتي إشارات مهمة تدل على المكانة التي لقيها شيخه "ابن الوقاد" لدى عامة وخاصة تارودانت، وأهمية مجلسه بالجامع الكبير بها، فيقول: «[...]**ثم رُد لتارودانت قاعدة السوس المذكورة، وقدم للفتوى والإمامة والخطبة بالجامع الكبير بها، وحصل له بها حال ووجاهة عند الخاصة والعامة، وهو أول من قرأ بها الجامع الصحيح للإمام البخاري قراءة ضبط وإتقان [...]مشاركا في عدة فنون من سواه مواظبا على التدريس والتفسير والحديث بالجامع المذكور**»[1] .

---

(1) محمد بن أبي القاسم السلجماسي، المصدر السابق، ص: 30، نقلا عن: فهرسة كتر الرواة.

(2) المصدر نفسه، ص: 29، نقلا عن: فهرسة كتر الرواة.

(3) محمد بن قاسم بن زاكور ، المصدر السابق، ص:47.

(4) محمد أمين المحبي، المصدر السابق، ج4، ص ص: 486-488.

(1) عبد الرحمان التمنارتي ، المصدر السابق، ص: 86.

و لم تقتصر دروس ابن الوقاد على القراءات وقواعد اللغة بل شملت فنونا شتى، استطاع من خلالها التأثير في ساكنة تارودانت وطلبتها بحيث انطلقت ألسنتهم وتهذبت عباراتهم،كون أن أهلها من البربر لا يعرفون العربية[1].

كما يصف "التمنارتي" طريقة درس شيخه "ابن الوقاد" والمدة التي لازمه فيها بالمجلس والعلوم التي أخذها منه بقوله: «**لازمته برسم القراءة والأخذ عنه عشر سنين [...]، سمعت منه صحيح البخاري مرارا عديدة بتمامه، وقرأت عليه رسالة أبي محمد[...]، ومختصر الشيخ خليل بتمامها، والشامل للعلامة بهرام وعقائد أبي عبد الله السنوسي والتفسير والعربية [...] وكان حسن العبارة، جيد الإشارة سلس الطبع، غير متكلف[...]**»[2].

وقد خلفه بالتدريس ابنه **عبد الرحمن بن الوقاد**"ت: 1057هـ/ 1647م" الذي تولى سرد صحيح البخاري مكان والده، ويذكر التمنارتي ما أخذه عن شيخه بالمجلس ويصفه بما نصه: «**سمعت منه البخاري مرارا عديدة [...] وكان حسن الإنشاء**»[3]، كما يترجم له الرسموكي في "وفياته" بقوله: «[...]**خطيب الجامع الأعظم بالحضرة المحمدية[تارودانت]عرفته ورأيته مرات وجالسته**»[4]، ويُعد أبوزيد عبد الرحمان التمنارتي –مؤلف كتاب الفوائد الجمّة في إسناد علوم الأمة– من أبرز من تخرج من مجلسي محمد بن الوقاد وابنه عبد الرحمان.

أما في فاس فيبرز مجلس **أبو العباس أحمد المقري** بالقرويين، والذي صار مجلسا مقصودا يؤمه طلاب العلم ورواد الأدب، ويقبل عليه الفقهاء والمثقفون[1]، والباحث في كتب الفهارس يجد العديد من النصوص الدالة على نشاطه العلمي، ففي فهرسة "محمد بن أحمد ميارة" وصف لمجلسه وللفنون التي كان يقرئها لطلابه، وللمدة التي لازمه فيها، يقول: «**قرأت عليه رحمة الله زيادة على الجامع المذكور [صحيح البخاري]: مختصر الشيخ خليل من أوله إلى آخره مرتين في ست سنين: ثلاث سنين في كل ختمة، ينقل عليه جل كلام الشراح[...]كان ظفر بطرر وتقاييد على المختصر[مختصر خليل]لم يظفر بها غيره، وقرأت عليه أيضا رسالة ابن أبي زيد[...]وقرأت عليه**

---

(1) محمد حجي، الحركة الفكرية في عهد السعديين، ج2، ص: 412.

(2) عبد الرحمان التمنارتي، المصدر السابق، ص: 87-88.

(3) المصدر نفسه، ص: 137.

(4) الرسموكي، المصدر السابق، ص ص: 23-24.

(1) أحمد المقري، روضة الآس، مقدمة التصدير، ص:11.

بلفظي شمائل الترمذي [...]وقرأت عليه أيضا طرفا من ألفية ابن مالك»[1].

وفي الرسالة التي بعث بها "أبو الحسن علي الشامي" إلى أحمد المقري بمناسبة إقرائه لكتاب الشفا للقاضي عياض بفاس، ما يثبت تعدد مجالسه العلمية وإقبال الناس عليها بقوله: «**[...]وتشهد بصحة دعواه مدارسه العلمية ومجالسه، خصوصا مجلس درسه بالبردة [...]حتى كانت تنثال عليه الناس لذلك،انثيال السيل [...] من كل حدب من أقاصي المدينة**»[2]، وبالرغم من المدة القصيرة التي قضاها أحمد المقري بالمغرب الأقصى –ثمانية عشر سنة– إلاّ أن مجالسه العلمية بالقرويين عرفت نشاطا علميا حافلا، تخرج منها العديد من الأعلام، هذا ماساهم في تنشيط الحياة الثقافية بفاس.

من خلال النصوص التي وردت حول مجالس الدرس في كل من الجزائر والمغرب الأقصى يتضح جليا مدى تفاعل العلماء خارج بلدانهم مع نظرائهم من الأعلام و مع طلبة العلم، كما يبرز مدى التكامل الثقافي بينهم، حيث نجدهم قد أصبحوا أساتذة وطلبة للعلم في آن واحد في الحواضر الجزائرية والمغربية، كما يتضح أن حدود طلب العلم غير موجودة.

3-3/ترويج المؤلفات:

يعد نقل المؤلفات وتداولها والتعريف بها، من أوفى عمليات التفاعل الثقافي لا سيما إذا كانت هذه المؤلفات التي تناقلها الرحالة وأشاعوها في بيئتهم قد أثارت الاهتمام والنقاش سواء بالشروح أو التحشية، أو الإعارة والنسخ، ومنه فعملية انتقال المؤلفات من وسط إلى وسط تعد أكبر رابط لعملية التفاعل الثقافي.

يتحدث "المرغيتي" في فهرسته عن الرحالة "ابن أبو عبد الله الرجراجي"[1] ولقائه العلامة "عبد الكريم الفكون" بقسنطينة، وكيف أطلعه على مجموعة من تآليفه، والتي من دون شك نسخها أو نقل أفكارها، يقول:«**أخبرني الحاج الرحالة الفقيه النبيه العفيف ابن أبي عبد الله**

---

(1) محمد بن أحمد ميارة، **فهرسة ميارة**، تق، تص، تع: بدر العمراني الطنجي، ط1، الدار البيضاء ،مركز التراث الثقافي المغربي 2009، ص: 32.

(2) أحمد المقري، الرحلة، ص:209.

(1) لم يرد اسمه لكن من خلال اسم والده فهو: محمد بن عبد الله الرجراجي المراكشي، شيخ الجماعة بها،"ت: 1022هـ/ 1613م"، محمد الصغير الإفراني، صفوة من انتشر، ص ص: 186-187.

الرجراجي النسب، المراكشي المنشأ والدار، أنه أطلعه فقيه وقته العلامة سيدي عبد الكريم الفكون في [قسنطينة][1]على تآليف منها: منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، وفتح المالك في شرح ألفية ابن مالك، وفتح الهادي في شرح المحادي، ومحدد السنان في نحور إخوان الدخان وشرح على الرسالة[أبي زيد القيرواني] عجيب»[2]، ويُستفاد من هذا النص مدى شغف الرحالة بالاطلاع على خزائن الكتب ولقاء أقرانهم والاستفادة من مؤلفاتهم، ثم نقل أفكارها إلى بيئاتهم العلمية.

كما تحفل "رحلة المقري" بالعديد من النصوص الدالة على اهتمام الأدباء بمؤلفاته وعلى أهمية استعارة الكتب ونسخها، لما تمثله من رصيد ثقافي هام، ومنها ما جاء في خطاب الفقيه "علي الشامي" إلى احمد المقري من أجل تضمين أمداح في النعال النبوية ضمن مؤلفه مؤلفه 'أزهار الرياض" يقول المقري «[...]**وأرسل بها إليّ لأثبتها في موضوعي المسمى بأزهار الرياض في أخبار عياض [...] وقد أثبتُ ذلك في الكتاب المذكور،وفي فتح المتعال في مدح النعال**»[3]، وهذا يدل على مدى اهتمام الأعلام بمؤلفات أقرانهم، ومدي التكامل بينهم من حيث إنتاجهم المشترك للمؤلفات.

كما استغل أحمد المقري فترة وجوده بفاس، حيث استعار واطلع على العديد من المؤلفات ومنها ما أورده في رحلته بقوله:«**وكتبت لسيدي علي الشامي بفاس المحروسة، استعير منه شرح البردة لابن مرزوق أو للأليري وشرح التوزري للشقراطسية**»[1]،كما يبادله المؤلفات فبعد تأليفه لكتاب أزهار الرياض وتصنيفه أوقفه على صاحبه علي الشامي يقول: «**ولما صنفت أزهار الرياض وأوقفته عليه كتب[الشامي]ما نصه: [...] فلمّا أوقفني على هذه الرياض [...] السيد السند أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد المقري**»[2].

---

(1) تذكر في أصل المتن، قسطنطينة والصواب قسنطينة.

(2) محمد بن سعيد المرغيتي ، المصدر السابق، ج1، ص ص: 205-206.

(3) أحمد المقري، الرحلة ، ص:189.

(1) المصدر نفسه، ص: 97.

(2) نفسه ، ص: 202.

وفي ترجمة المقري للفقيه "أحمد بن محمد الآيسي" الذي لقيه بمراكش يبرُز مدى التفاعل العلمي من خلال إهداء المؤلفات، يقول: «**وهب لي صاحب الترجمة عدة كتب علمية**»[1]، كما يورد نصا آخرا يُستفاد منه مدى شغف العلماء بخزائن الكتب والتعريف بها ففي ترجمة "أحمد بن الغرديس التغلبي" الذي لقيه بفاس يقول: «**وخزانتهم بفاس مشهورة وبها انتفع الإمام الكبير الشهير أبو العباس سيدي أحمد بن يحي الونشريسي ومنها ألف كتابه المعيار**»[2]، ومن دون شك أن المقري استفاد منها أيضا.

كما أورد صاحب "الاعلام بمن غبر" في ترجمته لـــ"أبو عبد الله محمد بن يحي الشريف المذبوحي الجزائري" بأنه أول من أدخل للمغرب كتاب "الجوهرة في التوحيد"، كما قام بشرحه أيضا[3].

وفي رحلة "ماء الموائد" للعياشي الإشارات العديدة على أنه كان حريصا على مطالعة ونسخ واقتناء الكتب وزيارة المكتبات العامة والخاصة بالمدن التي يحل بها، وأن أول ما يسأل عنه هو الخزائن والمكتبات، ومن ذلك حديثه المستفيض عن كتب ومكتبة الشيخ محمد بن إسماعيل الكوراري وكان قد لقيه أكثر من مرة، يقول:«**خلف كتبا[...]وقد رأيت بعضها بالمدينة المشرفة[...]رأيت منها جملة كثيرة وهي كتب نفسه جدا**»[4].

وفي مدينة طرابلس يستعير العياشي كتبا من الفقيه "محمد بن عبد الكريم الفكون" أثناء عودته من الحج، فيقول:«**[...] ووجدت عنده عدة من مؤلفات والده[عبد الكريم الفكون]، وبعضها بيده رضي الله عنه، فأعارها لي مدة إقامته هناك، فمنها شرحه على أرجوزة المكودي في التصريف، وهو مجلد أجاد فيه غاية الإجادة**»[1]،كما نجده يعقد مقارنة بين شرح الفكون لأرجوزة المكودي وشرح "أبو عبد الله المرابط الدلائي"للأرجوزة، مع إعطاء أفضلية الشرح للشيخ الفكون الذي كان حسبه«**أوسع نقلا و أكثر بحثا وأتم تحريرا**»[2].

---

(1) أحمد المقري، روضة الآس، ص: 191.

(2) المصدر نفسه، ص: 187.

(3) عبد الله بن محمد الفاسي ، المصدر السابق، ص: 303.

(4) أبو سالم العياشي ، الرحلة العياشية، ج1،ص ص:107-108

(1) المصدر نفسه، ج2، ص:514.

(2) نفسه، ص:515.

كما نجد أن العياشي بعد وصوله مدينة تقرت بيوم واحد، قد استعار من أخ أميرها"أحمد" كتابين، وجاء نص طلبه شعرا بما نصه:

فمن بالأبُي[1] على مسلم ثم أرده إليكـــم غـــدا

أنظر فيه لفظة أُشكلـــت علي في بعض الذي أسندا

وابعث إلينا سيرة اليعمري[2] أيضا فأنت خير من أسعد.

ثم نجده يقوم بعملية تبادل للمؤلفات مع " محمد بن إبراهيم" تلميذ عبد الواحد الأنصاري، يقول: «**و أخذ مني سيدي محمد بن إبراهيم الكراسة التي جمعت في معاني لو الشرطية و الكراسة التي سميتها تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية، أعطاني مجموعا فيه عدة تآليف، اغتبطت به كثيرا**»[3]، وقد أكدت عملية تبادل الكتب التي قام بها العياشي أوفى عمليات التفاعل الثقافي من خلال ترويج المؤلفات ونقلها بين الجزائر والمغرب الأقصى.

ومما يدل على التأثير الكبير للعلامة أبو مهدي عيسى الثعالبي على تلميذه العياشي ما صرح به هذا الأخير حول نشاط شيخه من خلال تتبع خزائن الكتب في حواضر المشرق العربي، كما يُستفاد من أن مكتبة الثعالبي بمكة قد استفاد منها كثرا، يقول:«**[...]وتتبع الخزائن الكبار بمصر والحجاز فاستخرج[الثعالبي]منها غرائب المصنفات، قيد الكثير منها[...]ولما علمت إني، وإن اجتهدت فوق طاقتي وطفت ما عسى أن أطوف على المشايخ، لايمكنني أن أجمع ماجمع ولا أن أحصل من النفائس ما حصل، رأيت أنه قد كفاني المؤنة**»[1]، ومن أبرز أوجه التكامل في تحرير المؤلفات، ما ذكره العياشي حين طلب منه الثعالبي إنشاء مقدمة لمؤلفه "كتر الرواة"، حيث ضمّنها إياه، وهذا يعد قمة التفاعل بين التلميذ ومعلمه، يقول العياشي: «**وقال [الثعالبي] لي: أريد منك أن تضع له خطبة في أوله وتسميه، فتعللت واعتذرت فلم يقبل عذري**»[2].

---

(1) أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية ،ج1، الهامش:1،ص:121.

(2) المصدر نفسه، الهامش:2، ص:121.

(3) نفسه، ص:121.

(1) نفسه، ج2، ص:190.

(2) نفسه، ص ص:189-190

ومن خلال هذه النصوص تبدوا أهمية مجالس الدرس وترويج المؤلفات في تحقيق أحد جوانب التفاعل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى، أو حتى بين الأعلام في المشرق العربي، فيتم الأخذ والعطاء بينهم، كما تتضح عملية انتقال الأفكار والمعارف والمؤلفات لتتجاوز بذلك الحدود السياسية، وهذا ما يؤكد استمرارية التأثير والتأثر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خـــاتمـــة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في نهاية كل بحث لابد من وضع **خاتمة**، وفي خاتمة هذه الدراسة وضعت فيها تحليلا لما كشفته فصول البحث حول التفاعل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى، ويمكن حصرها في النتائج التالية:

أولا: التشابه الكبير في سمات النشاط الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى، هذا ما عزز من فرص التفاعل الثقافي بينهما، في ظل وحدة اللغة والدين والمذهب المالكي والعقيدة الأشعرية، وقد ساهم النشاط الديني بوجه كبير في دفع العلاقات الثقافية نحو التبادل، ويعتبر هذا من خصائص الثقافة الإسلامية ذلك أنها مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ثانيا: بالرغم من سلبية الأوضاع التي عرفتها المنطقة خلال القرن 11هـ/17م، إلا أنها كانت من العوامل المؤثرة ايجابيا في التبادل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى، فقد أدت الفتن والاضطرابات إلى الهجرة العكسية للعديد من الأعلام نحو البلدين، كما أن شيوع المعاصي والبدع دفع بالعديد من الأعلام إلى طلب الفتوى من مختلف الحواضر الإسلامية، كل هذا أثرى الحياة الفكرية في البلدين.

ثالثا: بالرغم من العلاقات السياسية العدائية- أزمات الحدود والصراع العثماني الشريفي- إلا أن الجزائر والمغرب الأقصى كانتا على صلات متينة ثقافيا، ويرجع ذلك إلى مجموعة من القنوات أهمها: الهجرة والرحلة وركب الحاج، والتي استطاعت كلها أن تخفف من التوتر السياسي، وتلغي جميع الحواجز بين البلدين من خلال نسج شبكة علمية وصوفية.

رابعا: ارتباط الغرب الجزائري- حاضرة تلمسان- ثقافيا بالمغرب الأقصى، وبروز حاضرة فاس كمنارة لاستقطاب الهجرة الجزائرية-التلمسانية-، هذا ما انعكس إيجابا على الحركة الفكرية بالمغرب الأقصى عموما، كما برزت حاضرتي قسنطينة والجزائر كمناطق استقطاب للهجرة المغربية، وهو ما أثرى الحقل الثقافي بهما.

خامسا: بروز أسر علمية توارثت العلم، وتصدرت المشهد الديني والعلمي بالمغرب الأقصى مثل أسر:"الونشريسي" و"ابن جلال" و"ابن الوقاد" وتواصل أثرها الثقافي خلال القرن11هـ/17م حيث استطاعت أن تكوّن إحدى أبرز حلقات التفاعل الثقافي في المغرب الأقصى، مستفيدين من موقف حكام المغرب الأقصى الذي يرمي إلى تقريب العلماء وتوليتهم المناصب الرسمية، في حين لم نجد أثرا لتوارث أسر علمية مغربية في الجزائر للنشاط العلمي والديني،

أو تصدر أحد الأعلام المغاربة لمنصب رسمي في ظل سكوت المصادر عن الموقف السلبي لحكام الجزائر تجاههم، عدى حالة العلامة"علي بن عبد الواحد الأنصاري" الذي كان مقربا من السلطة.

سادسا: كثرة الرحلات المغربية نحو الجزائر مقارنة بالرحلات الجزائرية، مستفيدة من اختراق ركب الحاج المغربي للمجال الجغرافي للجزائري، والذي استطاع ربط المناطق الجزائرية بشبكة الطرق الصوفية مثل:"الطريقة الناصرية"، وبروز مراكز ثقافية صحراوية مثل:"توات"، "عين ماضي"، "بسكرة"، "سيدي خالد" كلها ساهمت في إثراء التفاعل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى، كم يوضح ركب الحاج المغربي، مدى نجاح الفقهاء والمتصوفة في خلق شبكات تواصل عليا كانت كفيلة برفع الحواجز الجغرافية والحدود السياسية بين البلدين، كما ساهم أيضا في تفعيل التبادل الثقافي طوال محطات الركب بين الأعلام إلى غاية وصوله إلى الحجاز.

سابعا: تجاوز الأعلام الجزائريون والمغاربة الحدود السياسية للبلدين في مجال التفاعل بينهما ثقافيا، حيث شهد المشرق الإسلامي(طرابلس الغرب، القاهرة، مكة، المدينة المنورة) نشاطا معتبرا للتفاعل بينهما، وذلك طلبا للإجازة والإسناد العالي، ومنه فان المجال الجغرافي للتفاعل الثقافي لم يقتصر على حدود البلدين.

ثامنا: بروز أهمية السند التلمساني ممثلا في أسرة المقري(أحمد المقري وعمه سعيد المقري) في ربط البلدين ثقافيا- أفقيا وعموديا- من خلال تداخل شبكة الأسانيد بين الجزائريين والمغاربة فالدارس لكتب الفهارس والأثبات يلاحظ ذلك التداخل والترابط بينهما، واقتصار الإجازات على العلوم الدينية من فقه وحديث وتصوف، كما يلاحظ أن منحها قد تم بصفة فردية وجماعية.

تاسعا: أهمية دور الرسالة وتبادل الفتوى في دراسة العلاقات الاجتماعية والدينية، فمن خلالهما يمكن رسم خريطة للتفاعل الديني والثقافي بين مختلف الحواضر بين البلدين، وذلك لما تنطوي عليه هذه الرسائل والفتاوى على قدر ملحوظ من المادة التاريخية، حيث أنها تعتبر ميدان فسيح للثقافة وتبيّن كذلك التواصل بين أهل العلم والدين، حيث كانت بمثابة وسائل الاتصال، كما ساعدتنا في رسم صورة للوضع السياسي والاجتماعي للبيئة الجغرافية والعلمية بين الجزائر والمغرب الأقصى.

عاشرا: تبرز أهمية المجالس العلمية والمؤلفات في إنتاج المعارف وانتقال الأفكار بين البلدين، دون التأثر بالعراقيل السياسية، هذا ما ساهم في استمرارية التأثير والتأثر بين البلدين، إضافة إلى ذلك فقد وضحت الإجازات نشاط الطرق التعليمية في حلقات الدرس، كما بينت لنا أهم المؤلفات العلمية المتداولة، والتي كانت مشتركة بين البلدين، هذا ما وحد الحقل الثقافي بينهما وزاد من إثرائه، وزيادة مجال التآثر الثقافي، كما كان لخزائن الكتب الأثر البالغ في التبادل الثقافي، فقد بين البحث مدى استفادة "أبو سالم العياشي" من خزانة أستاذه "أبو مهدي الثعالبي" بمكة، واستفادة "أحمد المقري" من خزانة "أحمد بن الغرديس" في فاس بالمغرب الأقصى.

أحدى عشر: تصدر الفقهاء الجزائريون منصب الفتوى رسميا في المغرب الأقصى، فالإشارات التي وردت في كتب النوازل المغربية تثبت ذلك، ولعل أبرزهم"أحمد المقري" وأسرة"ابن جلال" التي توارثت المنصب أبا عن جد منذ هجرة الأسرة خلال القرن10هـ/16م.

اثنا عشر: من خلال العينات المدروسة تتضح لنا حلقات التفاعل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى من خلال مجموعة من الأعلام التي تبادلت التأثير والتأثر بينها، أبرزهم في الجزائر نجد كل من:"أحمد المقري"و"أبو مهدي عيسى الثعالبي"و"عبد الكريم الفكون"، أما في المغرب الأقصى فنجد كل من: "أبوسالم العياشي"و"علي بن عبد الواحد الأنصاري"و"محمد بن سليمان الروداني".

ثلاثة عشر: من خلال النماذج المدروسة في فصول البحث تأكد لدى أن النُخب العلمية ساهمت بقدر كبير في الانفتاح السوسيو-ثقافي بين البلدين، حيث كانوا بمثابة اللحمة القوية التي وحدت المجالين ثقافيا، كما أن التآثرات الثقافية بينهم كانت عادلة دون ضغوط ولا محاولات للقضاء على ما يميز الآخر، على عكس ما عرفته المنطقة قديما من خلال محاولة الرومان مثلا القضاء ثقافة المغاربة وفرض ثقافتهم.

أربعة عشر: تعد العلاقات الثقافية بين البلدين من خلال فئة أهل العلم والدين هي الأقوى والأمتن مقارنة بالعلاقات السياسية بين الحكام، بالرغم من كل الصدامات الحدودية والاختلافات الإيدولوجية، فلم يتأثر بها العلماء بل بقي التواصل عفويا في ظل حرية التنقل.

الملاحق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم: (1): شبكة أسانيد الجزائريين والمغاربة لرواية محمد بن سليمان الروداني.

اعتماد على نص مقدمة كتاب الروداني محمد بن سليمان، المصدر السابق، ص ص:22-23.

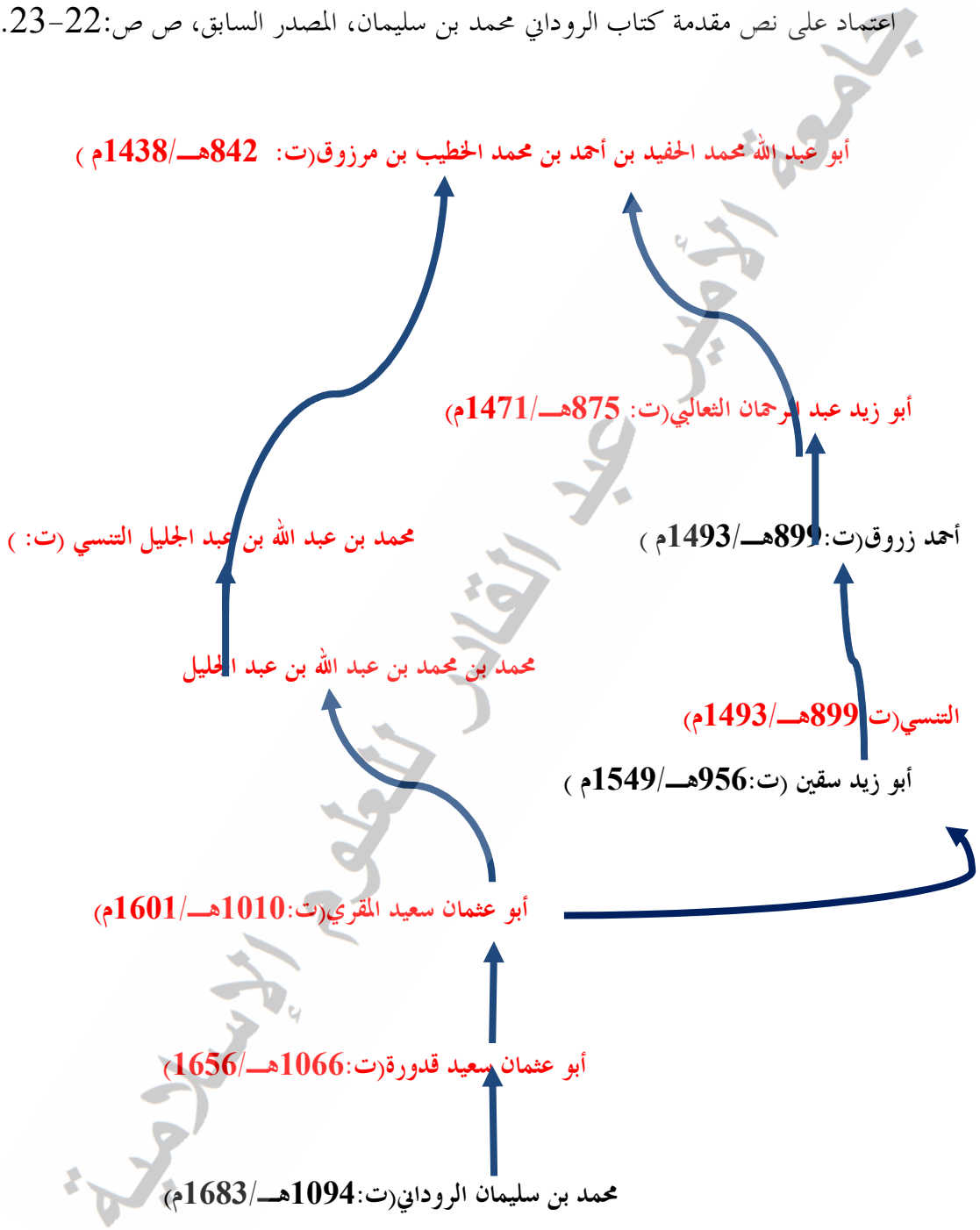

من انجاز الطالب

الملحق رقم: (2): شبكة أسانيد التلمسانيين لرواية أبو عبد الله محمد الصغير الفاسي في باب مرويات المسلسلات الحديثية.

اعتمادا على نص كتاب الفاسي أبو عبد الله، المصدر السابق،ج2، ص:98.

الأعلام الجزائريون

الأعلام المغاربة

من انجاز الطالب

الملحق رقم(3): رسالة عبد الكريم الفكون إلى أبي عبد الله محمد التواتي وجوابه حول سؤال في العقيدة نوازل الفكون، المصدر السابق، ص ص:562-563.

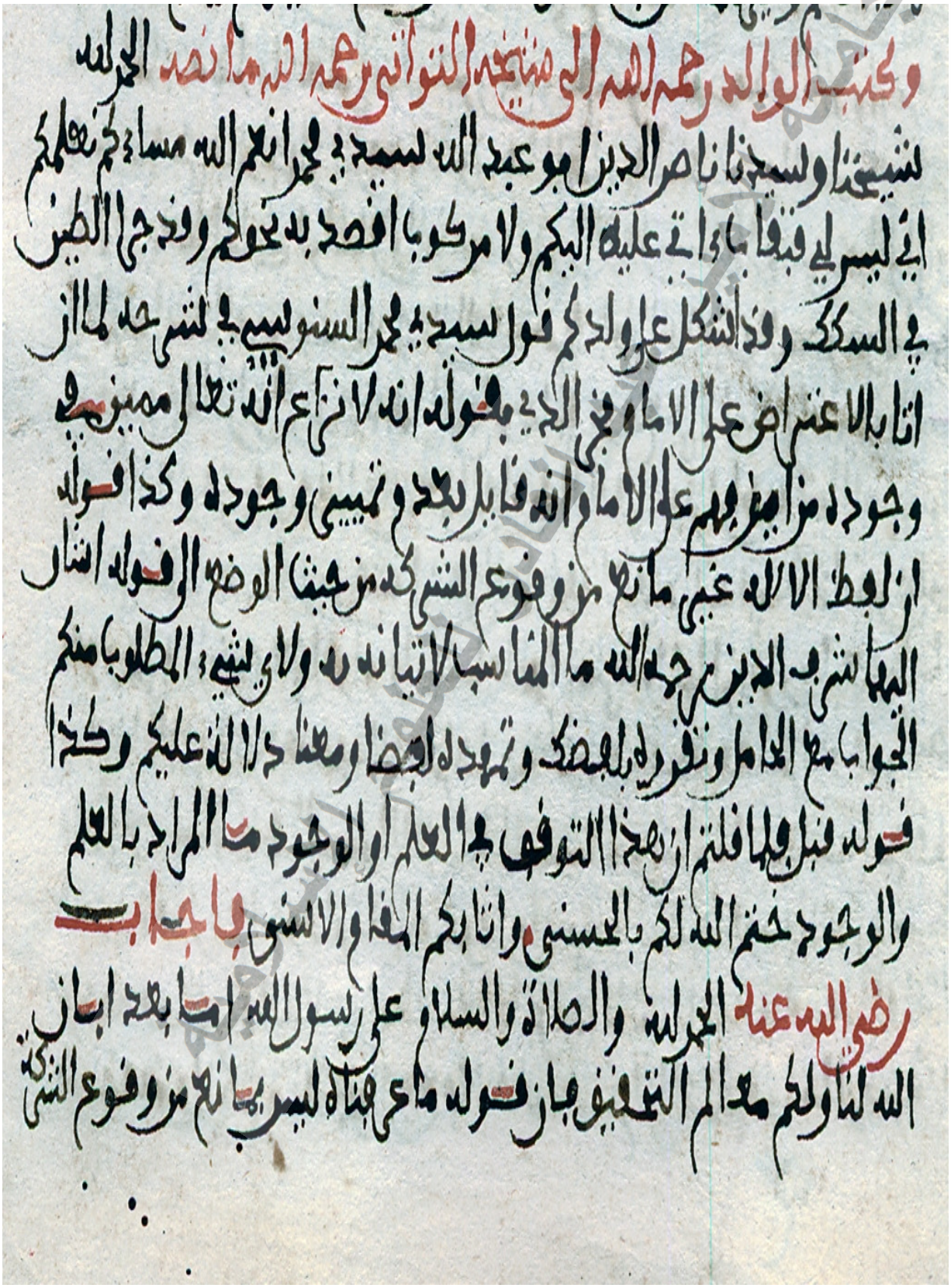

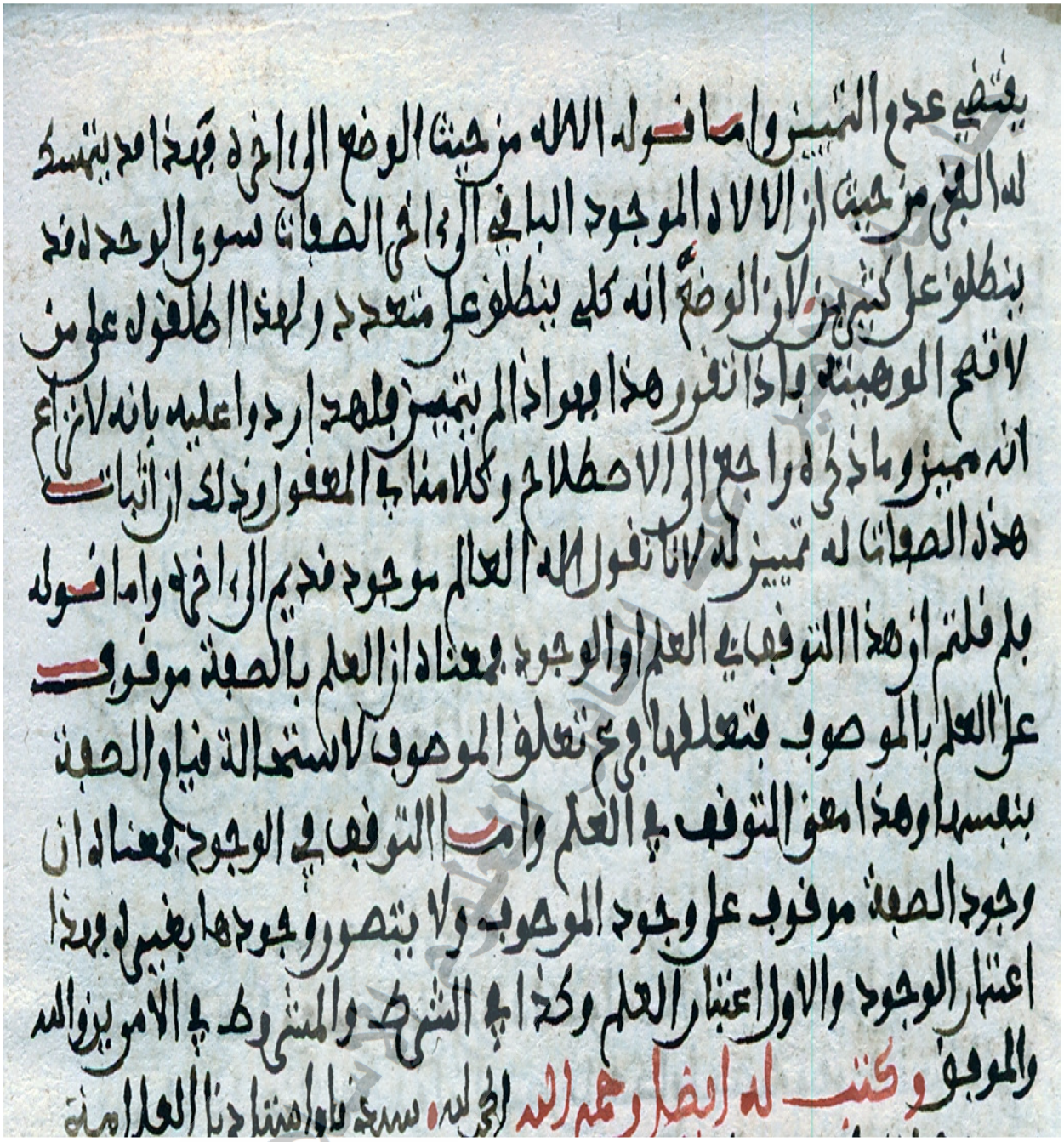

يقتضي عدم التمييز وما قوله الا له من حيث الوضع الى آخره فهذا لا يتمشى
له البتة من حيث ان الالاه الموجود الباقي الى آخر الصفات سوى الوحدة قد
يطلق على كثيرين لان الوضع انه كلي يطلق على متعدد ولهذا الحق قول على من
لا فهم الوهيته واذا تقرر هذا فهو اذا لم يتميز فلهذا اردوا عليه بانه لا نزاع
انه متميز وما ذكره راجع الى الاصطلاح وكلامنا في المعقول وذلك ان اثبات
هذه الصفات له تميز له لانا نقول الله العالم موجود قديم الى آخره واما قوله
بلم قلتم ان هذا التوقف في العلم او الوجود فمعناه ان العلم بالصفة موقوف
على العلم بالموصوف فتعلقها فرع تعلق الموصوف لاستحالة قيام الصفة
بنفسها وهذا معنى التوقف في العلم واما التوقف في الوجود فمعناه ان
وجود الصفة موقوف على وجود الموصوف ولا يتصور وجودها بغيره وهذا
اعتبار الوجود والاول اعتبار العلم وكذا في الشرط والمشروط في الامر بزوال
والموفق وكتب له ايضا رحمه الله الجواب سديد فاعتمدنا العلامة

رسالة عبد الكريم الفكون إلى أبي عبد الله محمد التواتي وجوابه حول سؤال في العقيدة نوازل الفكون، المصدر السابق، ص ص:562-563.(نص مرقون).

«وكتب الوالد رحمه الله إلى شيخه التواتي رحمه الله مانصه: الحمد لله شيخنا وسيدنا ناصر الدين **أبو عبد الله سيدي محمد** انعم الله مساءكم، نعلمكم أني ليس لي قبقاب أتي عليه إليكم ولا مركوب اقصد به نحوكم وقد جرا الطين في السكك وقد أُشكل على ولدكم قول سيدي محمد السنوسي في شرحه لما أن أتا بالاعتراض على الإمام محي الدين بقوله: أنه لا نزاع انه تعالى مميز في وجوده من أين فهم على الإمام انه قايل بعدم تميز وجوده وكذا قوله أن لفظ الإله غير مانع من وقوع الشرك من حيث الوضع إلى قوله أشار إليها شرف الدين رحمه الله ما المناسب لإتيانه له ولأي شيء؟ المطلوب منكم الجواب مع الحامل وتقرره بلفظك وتمهد له لفظا ومعنا دلالة عليكم وكذا قوله قبل فلما قلتم أن هذا التوقف في العلم أو الوجود، ما المراد بالعلم والوجود؟ ختم الله لكم بالحسنى وأثابكم المقام الأسنى.

فأجاب: رضي الله عنه الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد أبان الله لنا ولكم معا لم التحقيق فان قوله ما عرفناه ليس بمانع من وقوع الشركة يقتضي عدم التمييز وأما قوله الإله من حيث الوضع إلى آخره فهذا قد يتمسك له الفجر من حيث أن الإله الموجود الباقي إلى آخر الصفات سوى الوحدة قد ينطلق على كثيرين لان الوضع انه كلي ينطلق على متعدد ولهذا أطلقوه على من لا تصح ألوهيته فإذا تقرر هذا فهو إذا لم يتميز فلهذا ردوا عليه بأنه لانزاع انه مميز ما ذكره راجع إلى الاصطلاح وكلامنا في المعقول وذلك أن إثبات هذه الصفات له تمييز له لا نقول إله العالم موجود قديم إلى آخره وأما قوله فلم قلتم أن هذا التوقف في العلم أو الوجود فمعناه ان العلم بالصفة موقوف على العلم بالموصوف فتعلقها فرع تعلق الموصوف لاستحالة قيام الصفة بنفسها وهذا معنى التوقف في العلم وأما التوقف في الوجود فمعناه أن وجود الصفة موقوف على وجود الموصوف ولا يتصور وجودها بغيره فهذا اعتبار الوجود والأول اعتبار العلم وكذا في الشرط والمشروط في الأمرين والله والموفق».

الملحق رقم: (4): نص فتوى لأبي العباس أحمد المقري حول نازلة في باب الأنهار والسواقي.

الزياني عبد العزيز، الجواهر المختارة مماوقفت عليه من النوازل بجبال غمارة، مخ، ص ص:175-176

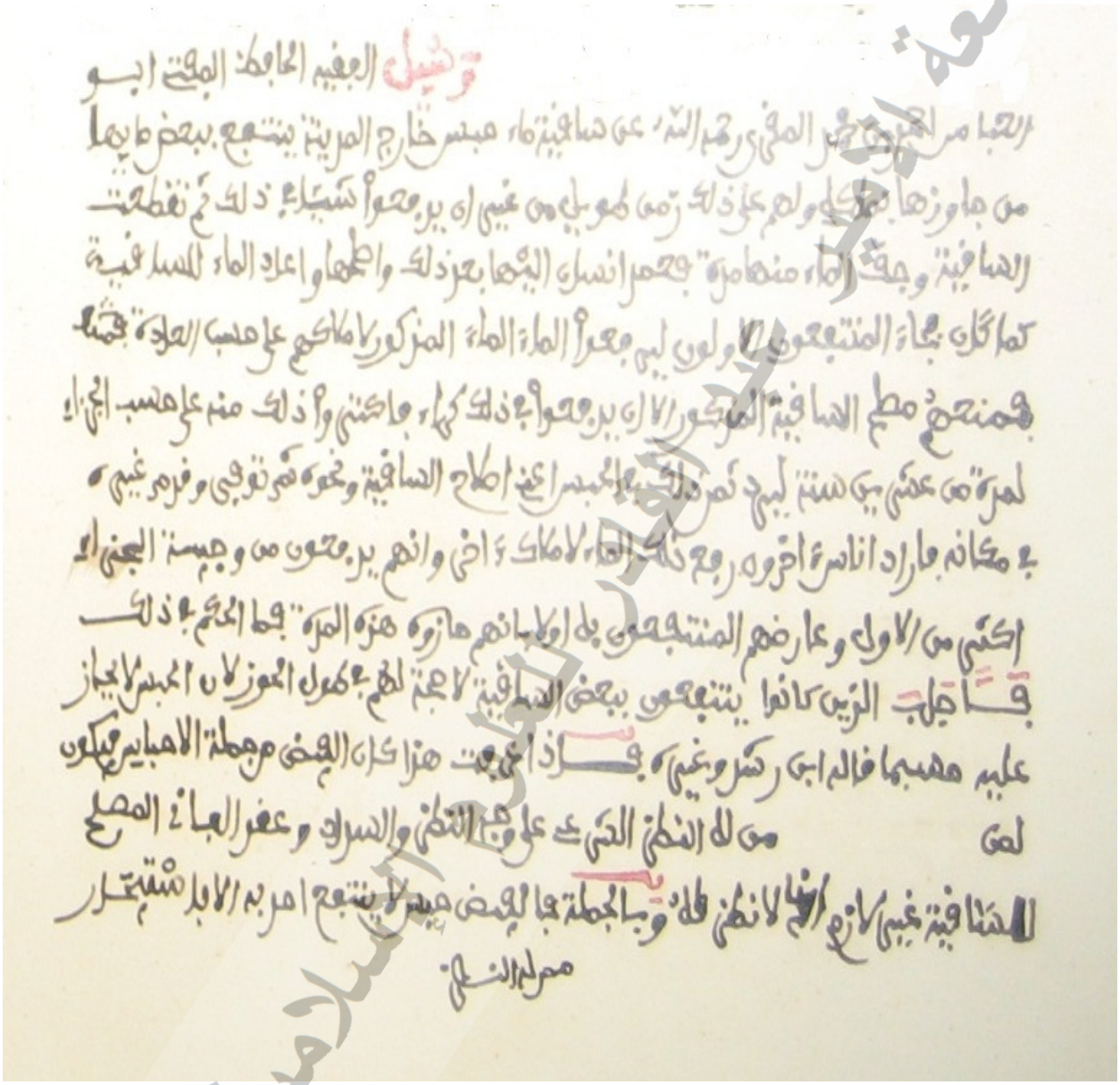

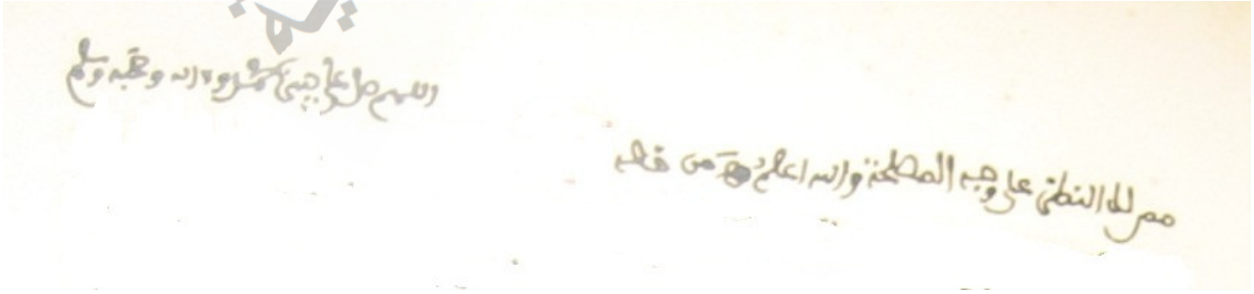

نص فتوى لأبي العباس أحمد المقري حول نازلة في باب الأنهار والسواقي.

الزياني عبد العزيز، الجواهر المختارة ، مخ، ص ص:175-176(نص مرقون).

« وسئل الفقيه الحافظ **أبو العباس احمد بن محمد المقري** رحمه الله عن ساقية ماء حبس خارج المدينة يُنتفع ببعض مائها من جاوزها بملكه، ولهم على ذلك زمن طويل من غير أن يدفعوا شيئا في ذلك، ثم تقطعت الساقية فجف منها الماء مدة، فعمد إنسان إليها بعد ذلك وأصلحها وأعاد الماء للساقية كما كان، فجاء المنتفعون الأولون ليرفعوا الماء الماء المذكور لأملاكهم على حسب العادة، فمنعهم مصلح الساقية المذكور، إلا أن يدفعوا في ذلك كراء، فاكتروا ذلك منه على حسب الجزاء لمدة من عشرين سنة، ليرد ثمن ذلك في الحبس اعني إصلاح الساقية ونحوه، ثم توفي وقدم غيره في مكانه فأراد أُناس آخرون رفع ذلك الماء لأملاك أخر وأنهم يدفعون من وجسة الجزاء أكثر من الأول، وعارضهم المنتفعون به، أولا بأنهم حازوه هذه المدة، فما الحكم في ذلك؟

فأجاب: الذين كانوا ينتفعون ببعض الساقية لاحجة لهم في طول الحوز، لان الحبس لا يحاز عليه حسبما قاله ابن رشد وغيره، فإذا عرفت هذا كان الفيض من جملة الأحباس، فيكون لمن[ ]من له النظر الشرعي على وجه النظر والسداد عقد الباني المصلح للساقية غير لازم إذ لانظر له، وبالجملة فالفيض حبس لاينتفع احد به الا باستجار ممن له النظر على وجه المصلحة والله اعلم انتهى من خطه».

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم: (5): نص فتوى لأبي عبد الله محمد التواتي في باب الحجر.

نوازل الفكون، المصدر السابق، ص:302

نص فتوى لأبي عبد الله محمد التواتي في باب الحجر.

نوازل الفكون، المصدر السابق، ص:302(نص مرقون)

« وأجاب عن السؤال المذكور الشيخ الإمام علم العلماء الأعلام سيدي **محمد التواتي** رضي الله عنه بما نصه: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، تأملت ما رسم بمحوله فإذا السؤال فيه عن أربعة أشياء، هل يرد تصرف الأخ المذكور؟، وهل قوله ما ذكر يوجب عليه حكما شرعيا أم لا؟، وهل هذا الفعل من الإماية أم لا؟، وهل له الانتقال به أم لا؟

فاعلم وفقني وإياك أن ما ذكرته من التصرف على غير وجه النظر والسداد مردود وذلك تعدٍ منه بل يرده الحاكم ولو كان على الصواب، والسداد في الثمن لأنه بيع فضولي وهو متوقف على إجازة المالك أو من يخلفه من وصي أو حاكم، فالواجب رد تصرفاته كلها وهذا ظاهر بيّن لمن خالف أقوال المذهب وأما قوله نحن لانورّث إنما هي من كبير لكبير فالظاهر إنما أراد به العادة أو كلام السفلة الذين يجري على ألسنتهم من غير قصد إلى إنكار حكم شرعي، أو يثبت أنه أنكر أن يكون حكما شرعيا، وأنه لم يكن في الملّة المحمدية، فيدخل والله أعلم فيمن أنكر ماعُلم من الدين ضرورة، وقد علمت ما قالوا فيه من الاستباقة ، وأما كون الفعل المذكور من الأب هل يكون أيضا أم لا؟ فالظاهر أنه أيضا لما ذكرتم من النصوص وذلك أيضا تام في المال والولد، مع أن الناس اليوم إنما يقصدون الوصية باعتبار المال، إذا الوصية بغير مال على الولد فقط لايقصدها الناس، وإنما يقصدون حفظه وحفظها له، وإذا ثبت أنه موصى، فله السفر به وينقطع حق الحاضنة أُماَ أو غيرها، كما نصوا عليه وذلك ستة برد فصاعدا، والله أعلم والسلام عليكم ورحمة الله».

الملحق رقم: (6): نص فتوى للفقيه محمد بن أبي القاسم القصار مفتي فاس حول نازلة فسخ الحبس بقسنطينة وتعقيب من قاضي فاس علي بن عبد الرحمان بن عمران، ثم تعقيب من مفتي الجزائر عبد الله عمار.

نوازل الفكون، مخ ،خ، ص:**314**.

نص فتوى للفقيه محمد بن أبي القاسم القصار مفتي فاس حول نازلة فسخ الحبس بقسنطينة وتعقيب من قاضي فاس علي بن عبد الرحمان بن عمران، ثم تعقيب من مفتي الجزائر عبد الله عمار.

نوازل الفكون، مخ ،خ، ص:314.(نص مرقون)

«وأجاب عن السؤال المذكور مفتي الحضرة الفاسية العلامة سيدي **محمد بن أبي القاسم القصار** بما نصه: الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، إن كانت صورة هذه المسألة كما ذكر السائل فالحبس صحيح، وكتبه محمد بن أبي القاسم القيسي القصار عفى الله عنه.

ويعقب جوابه رحمه الله مانصه: بخط قاضي الجماعة بحضرة فاس حرسها الله وهو العلامة الحافظ سيدي **علي بن عبد الرحمان بن عمران**، الجواب أعلاه لمفتي فاس حاطها الله، وكتبه علي بن عبد الرحمان والسلام.

وبطرة خطيهما مكتوب بشهادة عدلين من عدول فاس حرسها الله ما نصه: الحمد لله فمن يعلم ويتحقق أن الجواب الموسوم عرضه بخط الفقيه الأجل مفتي مدينة فاس حرسها الله في حينه سيدي محمد بن أبي القاسم القصار، والمتكرر به كتبه في سائر أجوبته من غير شك يلحقه في ذلك ولاريب وفيد به شهادته مسؤولة منه ثاني صفر تسعة وألف سنة[13أوت1600م]، ويعقب ذلك الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، الجواب صحيح ولا مزيد عليه لصدوره من مفتي الحضرة الإمامية الفاسية، والسطر الكاين مع العلامة التي تليه ثانية هي لقاضي الجماعة بفاس وهو الفقيه البارع الأعرف الضابط الحافظ السيد على بن عبد الرحمان بن عمران حفظه الله، وبما قال أقول والله الموفق، والسائل سلمه الله أطال حيث لاطول والسلام، وكتبه أحوج العبيد إلى الفعال لما يريد **عبد العزيز الثعالبي** لطف الله بمنه، ويعقب على ذلك موافقة مفتي الجزائر على ذلك نصه: الحمد لله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه، ما أجيب به لهو صحيح وعليه أوافق حسبما تقدم مني الجواب على ذلك والله تعالى أعلم، وكتبه **عبد الله عمار** وفقه الله».

الملحق رقم: (7) إجازة أبو مهدي عيسى الثعالبي للرحالة المغربي أبوسالم العياشي بمكة

المصدر: أبوسالم العياشي، **اقتفاء أهل الأثر**، ص ص:19-20.

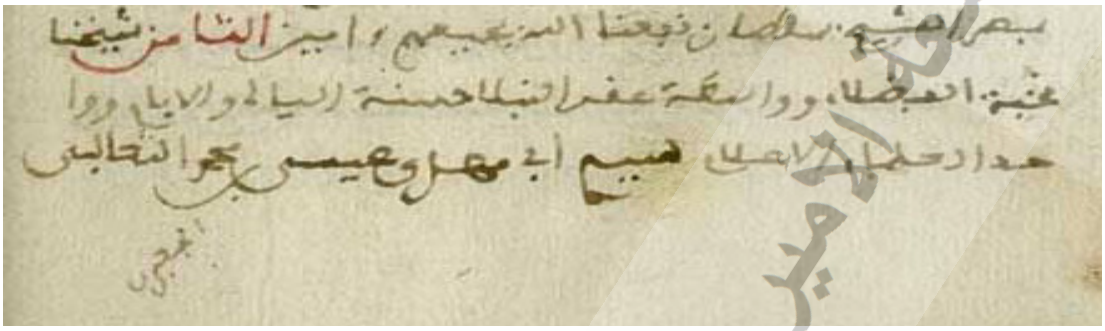

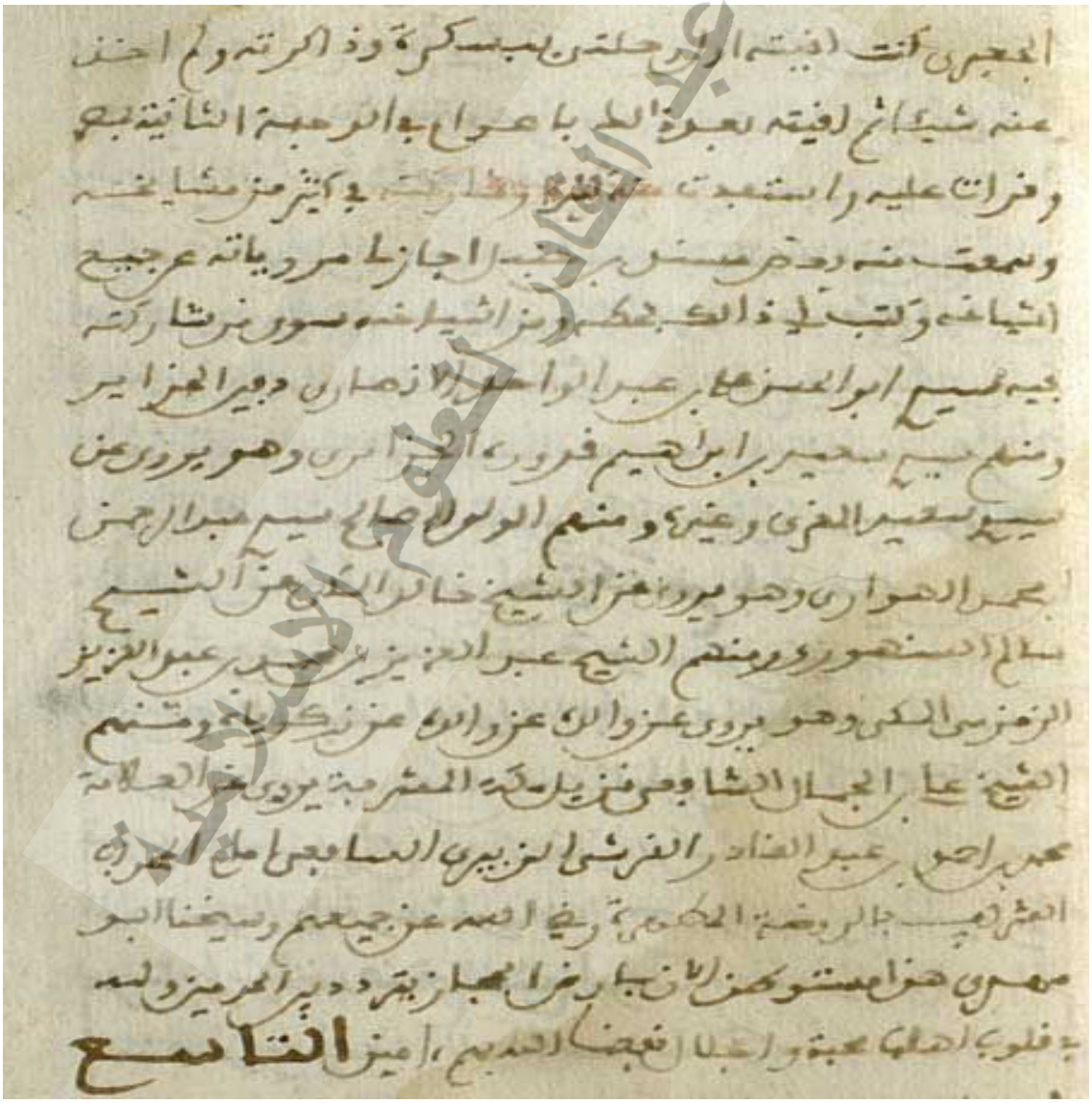

إجازة أبو مهدي عيسى الثعالبي للرحالة المغربي أبوسالم العياشي بمكة

المصدر: أبو سالم العياشي، **اقتفاء أهل الأثر**، ص ص:19-20.

«[...] الثامن شيخنا نخبة الفضلاء وواسطة عقد النبلاء وحسنة الليالي والأيام وواحد العلماء الأعلام سيدي أبي مهدي عيسى بن محمد الثعالبي الجعفري، كنت لقيته أول رحلتي ببسكرة وذاكرته، ولم آخذ عنه شيئا ثم لقيته بعد ذلك بأعوام في الوجهة الثانية بمصر وقرأت عليه واستفدت منه كثيرا وشاركته في كثير من مشايخه، وسمعت منه بعض مسند بن حنبل، أجازني مروياته عن جميع أشياخه وكتب لي ذلك بمكة، ومن أشياخه سوى من شاركته فيه سيدي أبو الحسن على بن عبد الواحد الأنصاري دفين الجزائر، ومنهم سيدي سعيد بن إبراهيم قدورة الجزائري، وهو يروي عن سعيد المقري وغيره ومنهم الولي الصالح سيدي عبد الرحمان محمد الهواري[...]وشيخنا أبو مهدي هذا مستوطن الآن بأرض الحجاز يتردد بين الحرمين، وله في قلوب أهلها محبة وإجلال نفعنا الله بهم. »

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

القرآن الكريم (رواية حفص)

كتب السنة:

1. محمد بن إسماعيل البخاري، **الجامع الصحيح**، محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، بيروت، دار طوق النجاة، 2001، مج2،ج4.
2. مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، **صحيح مسلم بشرح النووي**، شر: يحي بن شرف النووي ط1، (ج1+17)، مصر، المطبعة المصرية بالأزهر،1930،

المصادر المخطوطة:

3. الجزولي محمد بن سليمان الصا يم،**كعبة الطائفين وبهجة العاكفين**، مخ، خ،(ج1)، صورة طبق الأصل بيصغة (P.D.F)ملك للسيد نقادي محمد،تلمسان.
4. الدرعي أحمد ابن ناصر، **الرحلة الناصرية**، ط،ح، (ج1+2)، المغرب الأقصى، المطبعة الفاسية، 1320هـ/1902م.
5. الزياتي عبد العزيز بن الحسن، **الجواهر المختارة مما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة**، مخ، (ج2) مكتبة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، رقم: 3/7/217.
6. العياشي أبوسالم، **اقتفاء أهل الأثر**، مخ، الدار البيضاء، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، رقم: 334/1.
7. الفكون محمد بن عبد الكريم، **كتاب النوازل**، مخ، خ، نسخة مصورة بصيغة(JPG)، تحصلت عليها من طرف الأستاذ الدكتور علاوة عمارة بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة.

المصادر المطبوعة:

8. ابن المفتي حسين بن رجب شاوش ، **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**،در،تح، فارس كعوان، ط1، الجزائر، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، 2009.
9. ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون،تح:درويش الجويدي،ط2، صيدا(بيروت)، المكتبة العصرية،2000.

10.ابن زاكور محمد بن قاسم أبو عبد الله ، **نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان**، تح: مصطفى ضيف ومصطفى بوكراع، ط،خ، الجزائر، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، 2011.

11.أبو محلي أحمد بن عبد الله بن محمد، **الإصليت الخريت**، در، تح: عبد المجيد القدوري، د،ط، الرباط مطابع منشورات عكاظ،1991.

12.الإفراني محمد الصغير بن الحاج، **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**، تق، وتح، عبد المجيد خيالي، ط1، الدار البضاء، مركز التراث الثقافي المغربي، 2004.

13.الإفراني محمد الصغير بن الحاج، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تصحيح: هوداس، د،ط، انجيه، مطبعة بوردين، 1888.

14.البوني أحمد بن قاسم، **ثبت أحمد بن قاسم البوني**، تح: محمد شايب شريف، دط، الجزائر، منشورات تالة، 2013.

15.التمبكتي أحمد بابا، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تق: عبد الحميد الهرامةن ط1، طرابلس الغرب منشورات كلية الدعوة الإسلامية، 1989.

16.التمنارتي عبد الرحمان أبوزيد ،**الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة**، إعداد: محمد بن عبد الله الروداني تح: اليزيد الراضي، تق: محمد المنوني، ط1، الدار البيضاء، مطبوعات السنتيسي، 1999.

17.الجزائري محمد بن ميمون ، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تق، تح:محمد بن عبد الكريم، ط1، الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1972.

18.الحضيكي محمد بن أحمد ، **طبقات الحضيكي**، تق وتح: أحمد بومزكو، ط1، (ج1+2)، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة،2006.

19.الخنقي محمد الطيب ، **عمدة الحكام وخلاصة الأحكام في فصل الخصام**، تق، تع: محمد موهوب بن أحمد بن حسين، د،ط، عين مليلة(الجزائر)، دار الهدى للطباعة والنشر، 2002.

20.خوجة حمدان عثمان ، **المرآة**، تق وتع وتح:محمد العربي الزبيري، دط، الجزائر، م.و.ف.م، 2006.

21.الراشدي أحمد بن محمد بن علي بن سحنون، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تح، تق: المهدي البوعبدلي، د.ط، قسنطينة، مطبعة البعث،1973.

22.الرباطي محمد بن احمد الضعيف ، **تاريخ الضّعيف،الدولة العلوية السعيدة1633–1812**، در، تح، محمد البوزيدي الشيخي،ط1،(ج1)، الدار البيضاء المغرب،دار الثقافة، 1988.

23.الرسموكي(...)، **وفيات الرسموكي**، ط1، تح: محمد المختار السوسي، المغرب الأقصى، طبع ونشر:رضى الله عبد الوافي المختار السوسي، 1988.

24.الروداني محمد بن سليمان، **صلة الخلف بموصول السلف**، تح: محمد حجي، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1988.

25.السجلماسي عبد الرحمن بن محمد بن زيدان ، **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**، تح: علي عمر، ط1،(ج2)، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية،2008.

26.السجلماسي محمد بن أبي القاسم، **شرح اليواقيت الثمينة فيما انتمى لعالم المدينة**، در، تح:عبد الباقي بدوي، ط1، (مج1)، الرياض، مكتبة الرشد ناشرون،2004.

27.السخاوي محمد بن عبد الرحمن، **فتح المغيث بشرح ألفية الحديث**، در، تح: عبد الكريم بن عبد الله الخفير و محمد بن عبد الله آل فهيد، ط1،(ج2)، الرياض، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، 2005.

28.العياشي أبو سالم، **إتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء**، تق، تح، محمد الزاهي، ط1، بيروت دار الغرب الإسلامي، 1999.

29. **الرحلة العياشية"ماء الموائد"**، تح، تق: سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، ط1،(ج1+2)، أبو ظبي، دار السويدي للنشر والتوزيع، 2006.

30.الفاسي عبد الله بن محمد ، **الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر**، تق، تح:فاطمة نافع، ط1، الدار البيضاء، مركز التراث الثقافي المغربي، بيروت، دار ابن حزم،2008.

31.الفاسي محمد الصغير، **المنح البادية في الأسانيد العالية والمسلسلات الزاهية والطرق الهادية الكافية**،در، تح: محمد الصقلي الحسني،ط1،، ج1 الرباط، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2005.

32.الفكون عبد الكريم ، **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، تق،تح،أبو القاسم سعد الله،ط1،بيروت دار الغرب الإسلامي،1987.

33.القادري محمد بن الطيب ، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**،(من خلال موسوعة أعلام المغرب)، تح: محمد حجي وأحمد التوفيق،ط1،(ج2+3+4+5)، بيروت، دار الغرب الإسلامي،1996.

34.القرافي أحمد بن إدريس، **كتاب الفروق"أنوار البروق في أنوار الفرق"**، در، تح: محمد أحمد سراج وعلي جمعة محمد، ط1،(مج4)، القاهرة ،دار السلام، 2001، مج4.

35.القيسي محمد بن مليح السراج ، **أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب**، تح، تق، تع: محمد الفاسي،د،ط، فاس، مطبعة الخامس الثقافية والجامعية، 1970.

36.المحبي محمد أمين بن فضل الله، **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، ط،ح،(ج1+3+4)، مصر، المطبعة الوهبية،1867.

37.المرغيتي أبو عبد الله محمد بن سعيد ، **فهرسة العوائد المزرية بالموائد**، تق، تح: محمد العربي اشريفي، ط1، (ج2)، الرباط، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2007.

38.المقري أ حمد بن محمد، **رحلة المقري إلى المغرب والمشرق**، تح: محمد بن معمر،د،ط، سيدي بلعباس (الجزائر) مكتبة الرشاد للطباعة والنشر،2004.

39. ، **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس**، تص: عبد الوهاب بن منصور، ط2، الرباط، المطبعة الملكية، 1983.

40. ، **فتح المتعال في مدح النعال**، تح: علي عبد الوهاب وعبد المنعم فرج درويش، ط1، القاهرة، دار القاضي عياض للطباعة والنشر والتوزيع، 1997.

41. ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح: إحسان عباس، د،ط، (ج7)، بيروت، دار صادر،1968.

42.المكناسي أحمد بن محمد(ابن القاضي)، **درة الحجال في معرفة أسماء الرجال**،تح: محمد الأحمدي أبو النور، ط1،(ج2)، تونس، المكتبة العتيقة، القاهرة، دار التراث،1971.

43.ميارة محمد بن أحمد، **فهرسة ميارة**، تق، تص، تع: بدر العمراني الطنجي، ط1، الدار البيضاء، مركز التراث الثقافي المغربي 2009.

44.اليوسي الحسن بن مسعود ، **رسائل اليوسي**، در، تح، فاطمة خليل القبلي، ط1،(ج1)، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1981.

الرسائل الجامعية:

45.بونفيخة فتيحة، **الإنتاج الفكري الجزائري المخطوط في المكتبة الوطنية الجزائرية**، مذكرة ماجستير، غير منشورة، معهد علم المكتبات والتوثيق،(ج2)، جامعة الجزائر،،1999.

46.حماش خليفة، **العلاقات بين أيالة الجزائر والباب العالي1798-1830**، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة الإسكندرية، مصر،1988م.

47.رموم محفوظ، **الثقافة والمثاقفة في المجتمع الحضري الجزائري خلال العهد العثماني1519-1830 دراسة تاريخية أنثروبولوجية**، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة الامير عبد القادر بقسنطينة، 2012.

48.غويني ليلي، **التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية**، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر2،.2011.

49.لبصير سعاد، **هجرة ونفي أهل العلم والدين من الجزائر في العهد العثماني1516-1830**،مذكرة ماجستير غير منشورة،قسم التاريخ،جامعة قسنطينة2،2008.

50.لزغم فوزية، **الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518-1830**، مذكرة ماجستير غير منشورة، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران،2006.

51.معاشي جميلة، **الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق من ق16-19م**، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة قسنطينة2،1992.

52. ، **الانكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة نهاية العهد العثماني**، رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة قسنطينة2،2008م.

53.المكي جلول، **مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب1234-1847م**،رسالة ماجستير،غير منشورة، جامعة الجزائر، 1993.

المراجع بالعربية:

54.أبو عرقوب إبراهيم ، **الاتصال الإنساني ودورة في التفاعل الاجتماعي**، ط4، الأردن، دار مجدلاوي للنشر، 1993.

55.أحمد الطريبق أحمد، **الخطاب الصوفي في الأدب المغربي على عهد السلطان المولى إسماعيل**(الرسائل-الشعر)، د،ط،(ج1)، طنجة (المغرب الأقصى)، مطبعة سليكي إخوان، 2008.

56.بالحميسي مولاي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، ط2، الجزائر، ش.و.ن.ت،1981.

57.بن خروف عمار، **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب الأقصى في القرن10هـ/16م**، دط، (ج2)، دار الأمل للطباعة والنشر، 2008.

58.بنحادة عبد الرحيم ، **العُثمانيون المؤسسات والاقتصاد والثقافة**، ط1، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 2008.

59. ، **المغرب والباب العالي من منتصف القرن 16الى نهاية 18م**، ط1، تونس، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات،1998.

60.الترغي عبد الله المرابط، **السفر في العالم العربي الإسلامي**، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 2003.

61.جون.ب.وولف، **الجزائر وأوربا**، تر.وتع، أبو القاسم سعد الله، د.ط، الجزائر، م.و.ك، 1986.

62.حجي محمد ، **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، د،ط،(ج2)، المحمدية(المغرب الأقصى)، مطبعة فضالة،1978.

63. ، **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**، ط2، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1988.

64.حركات إبراهيم ، **المغرب عبر التاريخ**، ط1، (ج2)، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، 1978.

65.خليف يوسف الطراونة ، **أساسيات في التربية**، ط1، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2004.

66.دلندة الأرقش وآخرون، **المغرب العربي الحديث من خلال مصادره**،د،ط، تونس، مركز النشر الجامعي ميديا كوم،2033.

67.روزنبرجي برنار و حميد التريكي، **المجاعات و الأوبئة في المغرب القرنين 16و17**،تر: عبد الرحيم حزل،ط،2، الرباط منشورات دار الأمان، 2010.

68.سعد الله أبو القاسم ،**أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**، ط،خ،(ج3) الجزائر، دار الرائد، عالم المعرفة،2009.

69. ، **شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية**، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي،1986.

70. ، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ط6، (ج1+2) الجزائر، دار البصائر،2009.

71.سعيدوني ناصر الدين والمهدي بوعبدلي، **الجزائر في التاريخ "العهد العثماني"** د،ط،الجزائر،دار الكتاب العربي،2009.

72.الشاذلي عبد الطيف ،**الحركة العياشية حلقة من تاريخ المغرب في القرن 17م** ط1، الرباط، منشورات،كلية الأدب والعلوم الإنسانية،1982.

73.الشهري يحي بن عبد الله ، **النفحة الإلهية بشرح الحديث المسلسل بالأولية**، ط1، بيروت، دار ابن حزم،2005.

74.عباد صالح، **الجزائر خلال الحكم التركي1514–1830 م**، د،ط،الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،2007.

75.عمالك أحمد، **أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي(ت1129هـ) الشيخ الصوفي المصلح**، ط1، الرباط، دار الأمان للنشر والتوزيع،2012.

76.القدوري عبد المجيد ، **المغرب وأوربا مابين القرنين15–18م**،ط2، المركز الثقافي المغربي، الدار البيضاء،2012.

77.قيداري قويدر، **بستان الأزهار في سيرة يحيى بن صفية وسيرة أولا نهار**، د،ط، وهران، دار الغرب للنشر والتوزيع،2009.

78.كريم عبد الكريم، **المغرب في عهد الدولة السعدية**، ط3، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة،2006.

79.كوش دينيس، **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**، تر: منير السعيداني، ط1، بيروت، المنظمة العربية للترجمة،2007.

80.محمد اعبيد الزناتي، **الهجرة غير الشرعية والمشكلات الاجتماعية**، ط1، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2002.

81.المدني احمد توفيق، **حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792**، ط1، الجزائر، ش.و.ن.ت، 1965.

82. ، **محمد عثمان باشا داى الجزائر** د،ط، الجزائر، م.و.ك، 1986.

83.المنوني محمد، **المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث**، د،ط، الرباط منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1983، ج1.

84.الناصري أحمد بن خالد، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**،تح،تع:جعفر ومحمد الناصري، د،ط، (ج1+2+5+6+7)،الدار البيضاء، دار الكتاب،1955.

85.نويهض عادل، **معجم أعلام الجزائر**، ط2، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية،1980.

86.هنية عبد الحميد، **تونس العثمانية بناء الدولة والمجال**، د،ط، تونس، منشورات تبر الزمان،2012.

المراجع بالفرنسية:

87.(Henri Delmas)De Grammont, **Histoire d'Alger sous la domination turque** 1515/1830, présentation: Lemnouar Merouche, editions: Bouchene, paris,2002.

88. (Jacques)Berque, **Ulémas, fondateurs, insurgés du Maghreb XVII siècle**, Paris Sindbad, 1982 .

المعاجم والقواميس والموسوعات:

89.إبراهيم أنيس وآخرون، **المعجم الوسيط**، ط2، ج2،مصر، دار المعارف، 1972.

90.ابن فارس أحمد أبو الحسن ، **معجم مقاييس اللغة**،تح: عبد السلام محمد هارون، ط2،(ج6)، دار الجيل، بيروت، 1999.

91.ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم ، **لسان العرب**، ط4،(ج3+6+7+15)، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر،2005.

92.بدوي أحمد زكي، **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، ط2، بيروت، مكتبة لبنان،1982.

93.جبران مسعود، **الرائد**، ط3، بيروت، دار العلم للملايين، 1992.

94.الفراهيدي الخليل بن أحمد، **كتاب العين**، تر وتح: عبد الحميد هنداوي، ط1،(ج2)، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

95.القلقشندي أحمد بن علي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، شر،تع، محمد حسين شمس الدين، ط1،(ج14)، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987.

96.مجمع اللغة العربية، **المعجم الوجيز**، تصدير: إبراهيم مذكور،د،ط، مصر، وزارة التربية والتعليم، 1994.

97.وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، **الموسوعة الفقهية**، ط2،(ج1+4+17)، الكويت، طباعة ذات السلاسل، 1990.

98.اليونسكو، **معجم العلوم الاجتماعية**، تص: إبراهيم مدكور، د،ط، القاهرة،الهيأة المصرية العامة للكتاب،1975.

الدوريات والمقالات بالعربية:

99.التويجري عبد العزيز ، **التفاعل المتبادل والتواصل بين الحضارة الإسلامية والحضارة الأخرى**، بحث مقدم في مؤتمر: التسامح في الحضارة الإسلامية، القاهرة، 28 أفريل-01 ماي، 2004.

100. جاسم محمد ، **أحكام الهجرة في الشريعة الإسلامية**، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج8، العدد1، كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، 2008.

101. الحسني محمد بلبشير ، **أي وجهة للثقافة الإسلامية**، بحث مقدم في ندوة: الثقافة الإسلامية والثقافية الغربية الأخذ والعطاء أكاديمية، المملكة المغربية، مكناس، 4-5 ديسمبر 1991.

102. عمار بن خروف، **العلاقات بين المغرب والجزائر في عهد أبناء المنصور1603-1627**، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد4، جامعة الجزائر،2004.

103. العمري محمد، **الثقافة والأدب في مغرب ما بين منتصفي القرنين 17،18م**، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد: 7، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، 1983،1984.

104. فيلالي كمال ، **الهجرة العلمية والطلابية إلى قسنطينة في عهد عبد الكريم الفقون علامة العصر1580-1662 م**، الملتقى العلمي الأول حول سوسيولوجية الهجرة الجزائرية في التاريخ الماضي والحاضر، قسنطينة ماي2008.

105. قشي فاطمة الزهراء، **الحياة الفكرية في قسنطينة خلال العهد العثماني مساهمة عائلة الفكون**، المجلة التاريخية المغاربية،العدد:57-58، السنة.17.

106. ، **شهود العدالة في قسنطينة القرن التاسع عشر، الانتماء العائلي والمسار المهني**، مجلة انسانيات، العد المزدوج35-36،2012.

107. لبصير سعاد، **دوافع الهجرة الدينية والعلمية من الجزائر في العهد العثماني 1830/1516**، الملتقى العلمي الأول سوسيولوجية الهجرة الجزائرية في التاريخ الماضي والحاضر، قسنطينة ماي2008.

المقالات بالفرنسية:

108. (A),berbrugger, **Notes relatives à la révolte BenSakheri**,R ,A,N°10,1866.

المواقع الالكترونية:

109. الغاشي مصطفى عبد الله، **طرق الحج خلال القرن19م**: www.attarikh-alarabi.ma

110. تفسير ابن كثير: Ar.Wikisource.org

فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة 1

المدخل: واقع الثقافة في الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن 11هـ/17م

1-ضبط المفاهيم 13

2-النشاط الثقافي في الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن 11هـ-17م 17

الفصل الأول: مؤثرات التفاعل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن 11هـ/17م

1- الفتن والاضطرابات..... 24

2-الأوبئة وانتشار اللصوصية 37

3- تدهور القيم وشيوع المناكر 44

الفصل الثاني: قنوات التفاعل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى

1-الهجرة 52

2- الرحلة 65

3-الحج 75

الفصل الثالث: أدوات التفاعل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى

1- تبادل الإجازات والأسانيـــــد..... 87

2-تبادل الرسائل والفتـــــــاوى..... 99

3- مجالس الدرس وترويج المؤلفات..... 111

الخاتمة 121

الملاحق 125

قائمة المصادر والمراجع 139

فهرس الموضوعات 150

ملخص البحث بالعربية

العنوان: التفاعل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن11هـ/17م.

تعد المواضيع الخاصة بدراسة العلاقات الثقافية بين الجزائر والمغرب الأقصى حجر الزاوية في التاريخ المغاربي خلال العهد العثماني، ذلك أن الإرث الثقافي والتاريخي للبلدين يبدوا واحدا، لكن العديد من الحواجز حالت دون توحيد هذا الفضاء المجالي سياسيا بسبب الصراع العثماني-الشريفي، هذا ما يدفع بالدارسين إلى تبني أحكام تاريخية يكون لها أرضية تاريخية مرتبطة بذلك الصراع، و تزداد أهمية البحث في الموضوع خاصة إذا علمنا مدى غزارة المادة التاريخية المتوفرة في كتب التراجم والرحلات والمناقب والنوازل الفقهية، وذلك لأجراء دراسة تاريخية تخلص إلى أحكام موضوعية، وتتضمن إشكالية البحث في تاريخ العلاقات الثقافية بين الجزائر والمغرب الأقصى، المكونات الثقافية التي توحد علميا البلدين في القرن 11هـ/17م، حيث تنطلق الدراسة أساسا من رصد أوجه التفاعل الثقافي بين البلدين، وبالتالي كل المكونات الدينية والعلمية، ولهذا تنوعت مصادر البحث من كتب التراجم والطبقات والمناقب والرحلات والنوازل الفقهية، والكتب الإخبارية.

وقد قسمت البحث إلى **مدخل** وثلاثة فصول فبعد المدخل الذي عرفت فيه بمفردات البحث، ثم تطرقت في **الفصل الأول** إلى دراسة مؤثرات التفاعل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى، فتعرضت بالبحث **أولا** إلى الفتن والاضطرابات الحاصلة في البلدين، **وثانيا** إلى دراسة الأوبئة و انتشار اللصوصية التي ضربت المنطقة في القرن11هـ/17م، **وثالثا** درست ظاهرة شيوع المناكر والمعاصي في البلدين، أما **الفصل الثاني** فخصصته لدراسة قنوات التفاعل الثقافي بين البلدين، فتعرضت **أولا** بدراسة الهجرة **وثانيا** درست نماذج لحالات رحلة معاكسة لأهل العلم والدين الجزائريين و المغاربة **وثالثا** تعرضت بالدراسة لمحطات الركب الحجازي المغربي في الجزائر وأثره الثقافي خلال القرن11هـ/17م، أما **الفصل الثالث** فتناولت فيه أدوات التفاعل الثقافي بين البلدين، **أولا** الإجازة والإسناد وذلك بدراسة نماذج لإجازات متبادلة بين العلماء الجزائريين والعلماء المغاربة، **وثانيا** الرسالة والفتوى من خلال تبيان نماذج للمراسلات والفتاوى المتبادلة بين أعلام البلدين **وثالثا** بينت مجالس الدرس بين البلدين ثم درست نماذج لأهم المؤلفات التي تُبودلت أو أُعيرت بين أعلام البلدين.

وختمت الموضوع **بخاتمة** وصلت من خلالها إلى نتائج محددة تبرز مجالات التأثير والتأثر بين العلماء الجزائريين والمغاربة.

الكلمات المفتاحية: "التفاعل"، "الثقافة"، "الثقافة الإسلامية"، "الجزائر"، "المغرب الأقصى".

Résumé en français

Titre deThèse:

L'interaction culturelle entre l'Algérie et le Maroc Au cours du 11è se 'h /17g

Les sujets de l'étude des relations culturelles entre l'Algérie et le Maroc pierre angulaire de l'histoire du Maghreb au cours de la période ottomane, ainsi que le patrimoine culturel et historique pour les deux pays semble à un, mais de nombreux obstacles ont empêché l'unification de cet espace politiquement en raison du conflit ottoman - Sharifi, ce qui pousse ses chercheurs à adopter dispositions de la historique ont terre historique associé au conflit, et de plus en plus l'importance de la recherche sur le sujet, surtout si nous savons que la mesure de l'abondance du matériel historique disponible dans les livres de biographie, les voyages et Nawaazil, et de mener une étude historique conclut dispositions de fond, y compris le problème de la recherche dans l'histoire des relations culturelles entre l'Algérie Maroc et les composantes culturelles Far qui unissent scientifiquement les deux pays dans le 11e siècle de l'Hégire / 17 g, qui commence comme une base pour surveiller les aspects de l'interaction culturelle entre les deux pays, et donc toutes les composantes de religieux et scientifique, mais ce divers moyens de recherche d'biographiques, des classes et des qualités, des voyages et de Nawaazil et les livres newsletter.

divisé la recherche de l'entrée des trois saisons après l'entrée, qui connaissaient la recherche de vocabulaire, alors abordé dans le premier chapitre d'étudier les effets de l'interaction culturelle entre l'Algérie et le Maroc, le maximum, a été frappé par la recherche d'abord à la sédition et les troubles en cours dans les deux pays, et d'autre part d'étudier l'épidémiologie et de la propagation du banditisme, qui a frappé la région au 11ème siècle de l'hégire / 17 g, et la troisième a étudié le phénomène de généralisation Almnakr et le péché dans les deux pays, tandis que le second chapitre étudier les canaux d'interaction culturelle entre les deux pays, a été frappé par une étude préalable de la migration et des modèles d'autre part étudié des situations voyage face aux gens de la science et de la religion Algériens et Marocains et troisièmement été l'étude des plantes derrière Hijazi marocaine en Algérie l'impact de la culture au cours du 11ème siècle de l'hégire / 17 g, tandis que le troisième chapitre a attrapé un des outils de l'interaction culturelle entre les deux pays, premier congé et l'attribution par l'examen des modèles pour des vacances corrélation entre la religion des gens Algériens et des scientifiques marocains et, d'autre part, le message et la fatwa en montrant des exemples de correspondance et des avis échangés entre les scientifiques et III a montré conseils leçon entre Ensuite, j'ai étudié les deux modèles pour les travaux les plus importants qui ont été échangés ou prêtés entre clercs dans les deux pays.

En conclusion, le sujet a abouti à une conclusion sur les résultats mettent en évidence des domaines spécifiques de l'influence et l'impact de la religion parmi les gens d'Algériens et de Marocains.

Mots-clés :"Interaction","Culture","culture islamique","Algérie", "Maroc".

Abstract in English

thesis:

Cultural interaction between Algeria and Morocco During the 11th is' h / 17g

The subjects of the study of cultural relations between Algeria and Morocco cornerstone of the history of the Maghreb during the Ottoman period, as well as cultural and historical heritage of the two countries seem to, but many obstacles prevented the unification of this area politically because of Ottoman conflict - Sharifi, prompting researchers to adopt its provisions have the history associated with historic land conflict, and more and more the importance of research on the subject, especially if we know that the measure of the abundance of historical material available in books of biography, travel and Nawaazil, and conduct a historical study concludes substantive provisions, including the problem of research in the history of relations cultural relations between Algeria and Morocco Far scientifically cultural components that unite the two countries in the 11th century AH / 17 g, which begins as a base to monitor aspects of cultural interaction between the two countries, and therefore all components of religious and scientific, but various means of biographical research, classes and qualities, travel and Nawaazil newsletter and books.

divided seeking entry three seasons after entry, who knew the search vocabulary, then discussed in the first chapter to study the effects of cultural interaction between Algeria and Morocco, the maximum has was struck by the first research to sedition and ongoing unrest in both countries, and secondly to study the epidemiology and spread of banditry, which hit the region in the 11th century the AH / 17 g, and the third has studied the phenomenon of generalization Almnakr and sin in the two countries, while the second chapter study the channels of cultural interaction between the two countries, was struck by a preliminary study of migration models and other travel situations studied face to the people of science and religion Algerians and Moroccans and thirdly was the study of plants in Algeria behind Moroccan Hijazi the impact of culture in the 11th century AH / 17 g, while the third chapter grabbed one of the tools of cultural interaction between the two countries, first and leave the allocation by examining models for holidays correlation between religion and people Algerians Moroccan scientists and, secondly, the message and the fatwa showing examples of correspondence and opinions exchanged between scientists and III showed advice lesson between Then I studied the two models for the most important work were exchanged or loaned between clerics in both countries.

In conclusion, the subject has reached a conclusion on the results highlight specific areas of influence and impact of religion among people of Algerians and Moroccans.

Keywords:

"Interaction", "Culture", "Islamic culture", "Algeria", "Morocco".